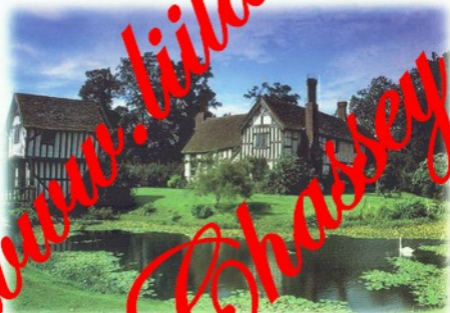


أَخْبَارَاتِي كِلَابِسِي



مَوْتِ السَيِّدَةِ مَاغْنَتِي



Agatha Christie



Mrs
McGinty's Dead

موت السيدة ماغنتي

قُتلت السيدة ماغنتي بضربة وحشية على رأسها. الشكوك توجهت على الفور إلى السيد جيمس بتلي، المستأجر الشاب الذي يقيم في بيتها والذي اكتشفت على ملابسه آثاراً من دماء القتيلة وشعرها.

مع ذلك، يبدو في المسألة شيء ما غير طبيعي: إن بتلي لا يكاد يبدو قاتلاً!

بوارد مقتنع بأن وسعه إنقاذ الرجل من المشنقة، ولكن الغريب أن المتهم نفسه لا يبدو حريصاً على النجاة!

هيريكيول بواردو



رواية جديدة من روايات الكاتبة العملاقة التي تُعتبر أعظم مؤلفة في التاريخ من حيث انتشار كتبها وعدد ما يقرأ منها من نسخ، وهي "بلا جدال" - وهي من كتبها التي تُعتبر من أفضلها في القرنين وفهمنا العصور. وقد تُرجمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما طُبِع منها ألفي مليون نسخة!

Chassey

رقم التسجيل ٥١ www.lilias.com

الناشر وصاحب الحق الحصري
بالطبعة العربية في جميع أنحاء العالم



الأجيال
للترجمة والنشر

AJIAL Publishers

ISBN 2-1957-2597-1



978219572597

US \$ 4.00

سعر البيع ١٥ ريالاً

الفصل الأول

خرج هيركيول بوارو من مطعم فييل غراندمير إلى سوهو، ورفع ياقة معطفه إلى عنقه من قبيل الحذر لا من قبيل الحاجة، إذ أن الطقس لم يكن بارداً تلك الليلة. وكان لسان حاله يقول: "ولكن المرء -في مثل سني- لا يجازف".

كانت في عينيه سعادة ناعسة متأملة، وكانت وجبة المأكولات البحرية في مطعم فييل غراندمير شهية. ذلك المطعم الصغير البسيط كان كسباً بالنسبة لبوارو الذي راح يمرر لسانه على شفثيه متأملاً كالكلب الشبعان ثم أخرج منديلته من جيبه ومسح به شاربيه.

نعم، لقد تناول عشاء جيداً، فماذا يفعل الآن؟ تباطأت سيارة أجرة كانت تمر بجانبه كأنها تدعوه للركوب. وتردد بوارو قليلاً ولكنه لم يصدر أي إشارة، فلماذا يستأجر سيارة؟ إنه سيصل إلى بيته -على أية حال- في وقت مبكر عن موعد نومه.

تمتم مخاطباً شاربه: "من المؤسف أن لا يستطيع المرء أن يأكل أكثر من ثلاث مرات في اليوم". ذلك أن الوجبة التي يتناولها الإنكليز مع الشاي عصراً كانت وجبة لم يستطع بوارو التأقلم معها، وكان

أن أنطق بكلمة واحدة غير صحيحة، وحيرته، ودهشته الهائلة وهو يدرك -في النهاية- الحقيقة التي كانت واضحة جلية لي منذ البداية. آه يا صديقي العزيز! إن نقطة ضعفي كانت دوماً حبي للمباهاة. تلك الصفة التي لم يفهمها هيستنغر أبداً. ولكن من الضروري جداً -في الحقيقة- أن يُعجب رجلٌ له مثل قدراتي بنفسه... ومن أجل ذلك لا بد له من مُحفّر خارجي. إنني لا أستطيع، لا أستطيع حقاً، الجلوس على كرسي طوال اليوم وأنا أفكر كم أنا مثير للإعجاب؛ فالمرء يحتاج إلى لمسة إنسانية. يحتاج -كما يقولون في هذه الأيام- إلى التابع الذي تظهر بالنيقوض معه عبقرية المرء.

تهد هيركيول بوارو وانعطف إلى شارع شافنبري. أيقطع الشارع ويذهب إلى ساحة ليستر ليقضي مساءه في إحدى دور السينما؟ هز رأسه بالنفي وهو متجهماً قليلاً؛ إذ غالباً ما كانت السينما تثير غضبه بسبب ضعف حبكة أفلامها وقلة الترابط المنطقي في حواراتها. وحتى التصوير -الذي كان الكثيرون يسهون في امتداحه- لم يبدو في نظر هيركيول بوارو إلا مجرد رسم لمشاهد وأشياء بحيث تبدو مخالفة تماماً لحقيقتها في الواقع.

رأى بوارو أن كل شيء غداً صناعياً هذه الأيام. لم يبقَ في أي مكان حب النظام والمنهجية اللذين يقدرهما بوارو غالباً، وكان نادراً ما يجد تقديراً للرقعة والذوق الحساس الدقيق. كانت مشاهد العنف والوحشية الغظة هي الموضة السائدة، ولأن بوارو كان ضابط شرطة سابقاً فإنه سئم الوحشية. لقد شاهد الكثير من الوحشية الغظة في شبابه، إذ كانت تلك هي القاعدة وليست الاستثناء. وقد وجدها مرهقة وسخيفة.

يشرح ذلك قائلاً: إن تناول أي شيء عند الساعة الخامسة سيفقد المرء شهيته للعشاء، ويجب أن لا ننسى أن وجبة العشاء هي وجبة اليوم الفاخرة!

ولم يكن أيضاً معتاداً على شرب قهوة الضمحي. لا، بل كان يفضل مشروب الشكولاتة مع بعض المعجنات في وجبة الفطور، ثم يتناول الغداء في حدود الساعة الثانية عشرة والنصف إن أمكنه ذلك، بشرط أن لا يتجاوز موعد الغداء الساعة الواحدة. وأخيراً تأتي وجبة التويج: العشاء.

كانت تلك المواعيد هي لحظات الذروة في يوم هيركيول بوارو. كان رجلاً يأخذ حاجة معدته دائماً على محمل الجد، وها هو ذا يجني ثمار ذلك في شيخوخته. لم يعد الطعام متعة جسدية فحسب بل أصبح عملية بحث عقلية؛ لأنه كان -بين الوجبات- يبحث ويفتش عن مصادر جديدة للطعام الشهي. وكان مطعم فيل غراندمير نتيجة إحدى عمليات البحث التي قام بها، وقد حظي هذا المطعم لثوه بقبول بوارو ورضاه. والآن بقي عليه -مع الأسف- أن يقضي فترة المساء.

تهد هيركيول بوارو، وفكر قائلاً لنفسه: لو أن هيستنغر كان موجوداً فقط!

استغرق بسرور في ذكرياته مع صديقه القديم: إنه أول صديق لي في هذه البلاد... وما زال أعز أصدقائي. صحيح أنه كان يفضيني أحياناً، ولكن هل أتذكر ذلك الآن؟ لا. إنني لا أذكر إلا تعجبه الساذج وتقديره -بغم مفتوح- لقدراتي... البساطة التي كنت أضلله بها دون

ينتظر مقابلتك". ثم قام بمساعدة بوارو على خلع معطفه برفق.

انتبه بوارو لتلك الوقفة الخفيفة جداً قبل كلمة سيد. لقد كان جورج خبيراً باعتبارها ممن يتكئون تقديراً مبالغاً به للمكانة الاجتماعية. سأله بوارو: حقاً؟ ما اسمه؟

- رجل يُدعى السيد سينس يا سيدي.

- سينس؟

لم يعن هذا الاسم شيئاً بالنسبة لبوارو لأول وهلة، ومع ذلك أدرك أنه يجب أن يعنى شيئاً.

وقف قليلاً أمام المرأة ليعدل شاربيه إلى درجة الكمال، ثم فتح باب غرفة الجلوس ودخل. ونهض الرجل الذي كان يجلس في إحدى الكنبات المربعة الكبيرة وقال: مرحباً يا سيد بوارو. أرجو أنك تتذكرني؛ لقد مضى وقت طويل. أنا المفتش سينس.

- بالطبع!

صافحه بوارو بحرارة. المفتش سينس من شرطة كيلستر. كانت تلك قضية مثيرة جداً... قبل زمن طويل كما قال سينس.

عرض بوارو على ضيفه أنواعاً مختلفة من المرطبات؛ عصير الرمان، أو شراب النعناع، أو الكاكاو الحار؟ وفي تلك اللحظة دخل جورج يحمل طبقاً عليه يريق الشاي وقال: لعلك تفضل الشاي يا سيدي.

وعندما اتجه بوارو إلى بيته فكر قائلاً لنفسه: الحقيقة هي أنني غير منسجم مع هذا العصر، وأنتي (وإن بطريقة متفوقة) عبدٌ كغيري من الناس. لقد استعديني عملي كما استعبدت الناس أعمالهم، فعندما تتوفر لديهم ساعة فراغ لا يدرون ماذا يفعلون بها، فتجد المصرفي المتقاعد يمارس الغولف، والتاجر الصغير يزرع الورد في حديقة منزله، أما أنا فلنني أكل. ولكن ها أنا ذا أعود إلى نفس المشكلة: إن المرأة لا يستطيع أن يأكل أكثر من ثلاث مرات في اليوم، وبين هذه الوجبات تكون الثغرات.

مر بوارو بجانب بائع صحف ووقف قليلاً يستعرض العناوين: «نتيجة محاكمة ماغنتي. الحكم النهائي».

لم يثر ذلك اهتمامه، وتذكر -بشكل مبهم- فقرة صغيرة قرأها في الصحف. لم تكن حالة قتل مثيرة، فقد قُتلت امرأة عجوز بانسة بضربة على رأسها من أجل جنينها قليلة، وكل ذلك جزء من الوحشية الفظة الفاسية لهذه الأيام.

دخل بوارو إلى ساحة المُجمع الذي توجد به شقته. وكعادته، امتلاً قلبه بالاستحسان للمجمع. كان فخوراً ببيته، ذلك البناء الرائع المتناسق. وحمله المصعد إلى الطابق الثالث حيث توجد شقته الفاخرة المفروشة بكنبات مربعة الشكل وتحفّيات مستطيلة بشكل صارم تماماً. يمكن القول -بالفعل- إن البيت يخلو من أي شكلٍ مُتحنٍ.

وفيما هو يفتح الباب ويدخل الصالة المربعة البيضاء، تقدم خادمه جورج لاستقباله قائلاً: "مساء الخير يا سيدي. يوجد... سيد

أنتجتها العام الماضي، كانت عملاقة! والأزهار أيضاً... أنا مغرم
بزراعتها، وسأحصل على...

ثم توقف عن هذا الحديث فجأة وقال: ليس هذا ما جئت
للحديث عنه.

- نعم، نعم، لقد جئت لترى صديقاً قديماً لك، وهذا لطف
منك. إنني أقدر ذلك.

- أظن أن الأمر أكبر من ذلك يا سيد بوارو. سأكون صادقاً
معك، إنني أريد شيئاً.

همهم بوارو بحذر: لعل بيتك مرهون؟ وأنت تريد قرضاً...
قاطعه سبنس بصوت مرتعب: يا إلهي! ليست المسألة مسألة
مال! لا شيء من هذا القبيل.

لوح بوارو بيديه معتدراً وقال: أرجو المعذرة.

- سأخبرك مباشرة. إن مجيئي إلى هنا وقاحة، ولن أستغرب
إذا ما أخرجتني مذموماً.

- لن يكون ذم. أكمل.

- إنها قضية ماغتي. لعلك قرأت عنها؟

هز بوارو رأسه بالنفي وقال: لم أقرأ عنها باهتمام. السيدة
ماغتي... امرأة عجوز في بيت أو دكان. وقد ماتت، نعم. كيف
ماتت؟

تهلل وجه المفتش سبنس الأحمر الضخم وقال: نعم، هذا
ما أفضله.

وعندما قُدم لسبنس كوب الشاي سكب بوارو لنفسه كأساً
من شراب النعنع الأخضر اللامع وقال: كم هو رائع منك أن تأتي
لزيارتي! رائع. من أين جئت؟

- جئت من كيلشستر. سأقاعد خلال ستة أشهر، وقد استحق
موعد تقاعدي عملياً قبل ستة ونصف، ولكنهم طلبوا مني البقاء في
الخدمة ففعلت.

قال بوارو بحرارة: لقد كان قراراً حكيماً... حكيماً جداً.

- أحقاً؟ أشك في ذلك. لست متأكداً من صحة قراري.

أصر بوارو قائلاً: بلى، لقد كنت حكيماً في قرارك. إنك
لا تتصور الساعات الطويلة التي ستقضيها بملل وسأم.

- آه، سيكون لديّ الكثير من الأعمال عندما أتقاعد؛ فقد
انتقلنا إلى بيت جديد في العام الماضي وفيه حديقة لا بأس بها
ولكنها مهملة إلى حدٍّ مُعيب، ولم يسعفني الوقت - بعد - لأعني
بها بالشكل المناسب.

- آه، نعم، أنت ممن يحبون ترتيب الحدائق. أما أنا فقد
قررت - مرةً - أن أعيش في الريف وأزرع الكوسا، ولكن محاولتي
لم تنجح؛ ليس لديّ الميل لذلك.

قال سبنس متحمساً: كان يجب أن ترى ثمار الكوسا التي

مدخراتها التي تبلغ ثلاثين جنيهاً بعد أن تم تفتيش غرفتها. كانت تعيش وحيدة في بيت صغير، باستثناء مستأجر اسمه جيمس بنتلي.
- آه، نعم، بنتلي.

- لم يُقْتَحَم البيت بالكسر والخلع، ولا آثار للعبث بالنوافذ والأقفال. كان بنتلي مفلساً؛ إذ فقد عمله، وتراكمت عليه أجرة شهرين. وقد عُثِر على الأموال مخبأة تحت حجر خلف المنزل، ووجدت على كُفّ سترة بنتلي بعض الدماء والشعر. وكان الدم من نفس زمرة دم القتيلة، وكذلك الشعر من شعرها، ووفقاً لما قاله بنتلي في أول إفادة له فإنه لم يقترب أبداً من الجثة، ولذلك لا يمكن أن يكون الدم والشعر قد جاء إلى كُفِّه بالمصادفة.

- مَنْ الذي عثر عليها؟

- جاء الخباز إليها بالخبز في اليوم الذي يتقاضى فيه حسابها. وفتح له الباب جيمس بنتلي وقال إنه طرق باب غرفة نوم السيدة ماغتي فلم يردّ عليه أحد. اقترح الخباز أنها قد تكون أصيبت بسوء، فطلبها من صاحبة البيت المجاور أن تصعد وترى. لم تكن السيدة ماغتي في غرفة نومها، ولم تكن قد نامت في الفراش، ولكن الغرفة قد قُتِّسَت وتم خلع الألواح الخشبية عن أرضيتها. ثم فكروا بالنظر في صالة الاستقبال، فوجدوها هناك مدددة على الأرض، وانفجرت جارتها بالصراخ بأعلى صوتها. ثم استدعي الشرطة بالطبع.

- وهكذا أُلقي القبض على بنتلي وقدم للمحاكمة، أليس كذلك؟

- بلى، وقد انتهت القضية في المحكمة العليا بالأمس، وكانت

حاملت سبنس في بوارو وقال: يا إلهي! إن هذا يذكرني بالماضي. أمر غريب، ولم أفكر به حتى هذه اللحظة.

- عفواً، ماذا تقول؟

- لا شيء. مجرد لعبة... لعبة للأطفال كنا نمارسها ونحن أطفال. كنا ننفق معاً في صف واحد ثم يسأل واحد ويجيب الآخر، وهكذا نستمر إلى النهاية. "ماتت السيدة ماغتي".."كيف ماتت؟".."متنكة على ركية واحدة كما أنكى أنا". ثم يسأل السؤال الثاني: "السيدة ماغتي ماتت".."كيف ماتت؟".."مادة يدها كما أمدها أنا". ثم نركع جميعاً رافعين أيادينا اليمنى. ثم يأتي السؤال: "السيدة ماغتي ماتت".."كيف ماتت؟".."هكذا".."وهوب... يسقط مَنْ في رأس الصف جانباً فنسقط جميعاً معه كحزمة من العيدان!

ضحك سبنس بصوت عالٍ على هذه الذكرى وقال: لقد رَجَعْتَنِي إلى الأيام الخوالي فعلاً.

انتظر بوارو بأدب. كانت تلك لحظة من اللحظات التي وجد فيها الإنكليز غير مفهومين رغم أنه أمضى نصف حياته في إنكلترا. لقد كان يلعب ألعاباً كثيرة في طفولته، ولكنه لم يشعر برغبة في التحدث عنها، ولا حتى بالتفكير فيها.

وعندما سيطر سبنس على انفعاله أعاد بوارو السؤال بأثر بسيط من السأم: كيف ماتت؟

زالت آثار الضحك عن وجه سبنس وعاد إلى طبيعته فجأة وقال: لقد ضُربَت على مؤخرة رأسها بأداة ثقيلة حادة، وقد أُخِذَت

قضية مباشرة لا خلاف حولها. اجتمعت هيئة المحلفين لمدة عشرين دقيقة فقط، وكان الحكم أنه مذنب، وحكم عليه بالإعدام.

أوماً بوارو برأسه وقال: وبعد ذلك، بعد صدور الحكم، ركبت القطار وجات إلى لندن لتقابلني. لماذا؟

كان المفتش سينس جالساً يتأمل كوب الشاي. مرّر إصبعه على حافة الكوب ببطء وقال: لأنني لا أحسب أنه ارتكب الجريمة!

* * *

الفصل الثاني

سادت لحظات صمت، ثم قال بوارو: لقد جئت إليّ...

لم يكمل بوارو الجملة. رفع المفتش سينس نظره إلى الأعلى، وكان وجهه قد احمرّ أكثر من ذي قبل. أصبح وجهاً نموذجياً لرجل ريفي؟ وجهاً متحفظاً خالياً من التعبير، ذا عينيّن حادتين ولكنهما صادقتان. كان وجه رجل ذي معايير ثابتة محددة ليس من شأنه أبداً أن ترعجه شكوك بنفسه أو شكوك في ماهية الصواب والخطأ.

قال: لقد قضيتُ زمناً طويلاً في سلك الشرطة، ولديّ خبرات طويلة ومتنوعة في مختلف الموضوعات، وأستطيع أن أحكم على الرجال كأبي شخص آخر. وقد تعاملت مع حالات قتل أثناء خدمتي. كان بعضها مباشراً سهلاً، وبعضها الآخر لم يكن مباشراً بنفس الدرجة. وأذكر حالة تعرفها أنت يا سيد بوارو.

أوماً بوارو برأسه موافقاً، ومضى سينس يقول: كانت قضية معقدة، ولعلنا ما كنا لنرى الأمور بوضوح لولاك أنت. ولكننا رأينا الأمور بوضوح، ولم يكن في الموضوع أي شك. وينطبق الأمر على القضايا الأخرى التي لا تعرفها: ويسلر الذي قُتل (وكان يستحق

فقد رُفعت القضية إلى المدعي العام وأصبح القرار قراره، وقد قرر ملاحقة الرجل قضائياً. لم يكن بوسع اختيار شيء آخر بعد كل تلك الأدلة. وهكذا اعتقل جيمس بتلي وقدّم للمحاكمة وتقررت إدانته، ولم يكن بالإمكان إصدار حكم آخر في ضوء الأدلة المتوفرة. وهينة المحلفين لا تعتمد إلاً على الأدلة، ولا أحسب أنهم قد شعروا بأي تردد أيضاً. نعم، أحسب أنهم كانوا جميعاً مقتنعين بأنه مذنب.

- ولكنك... لسْتُ مقتنعاً؟

- نعم، أنا غير مقتنع.

- لماذا؟

تنهد المفتش سينس وفرك ذفته بيده الكبيرة متأملاً وقال: لا أدري. ما أقصده هو أنني لا أستطيع إعطاء سبب لذلك... سبب ملموس. لقد بدا لهيئة المحلفين وكأنه قاتل، أما بالنسبة لي فلم يبدو كذلك، وأنا أعرف عن القتلة أكثر بكثير مما يعرفون.

- نعم، نعم أنت خبير.

- أحد أسباب ذلك أنه لم يكن مختالاً. لم يكن مختالاً على الإطلاق، ومن خبرتي فقد لاحظت أن القتلة عادة ما يكونون كذلك؛ يكونون دائماً مسرورين بانفسهم، ويظنون أنهم يخدعونك، وهم متأكدون دائماً من أنهم كانوا أذكيا في كل ما فعلوه. وحتى عندما يكونون في قفص الاتهام حيث يجب أن يعلموا أنهم وقعوا، تجدهم ما يزالون يحسّون بشيء من الإثارة الغربية من الأمر كله. فالأضواء مُسلطة عليهم، وهم الشخصيات الرئيسة... يلعبون دور البطولة،

ذلك)، وأولئك الرجال الذين قتلوا العجوز غوترمان، وفيرال وزربيه، وتراوتر الذي تمكن من أن ينجو من العقاب... ولكنه قام بعمله بشكل جيد، والسيدة كورتلاند التي كانت محظوظة، فقد كان زوجها ضالاً منحرفاً مما جعل هيئة المحلفين تبرزها، ليس بدافع العدالة... بل بسبب العاطفة. لا بد للمرء أن يضع في الحسبان ورود مثل هذا الأمر بين الحين والآخر. أحياناً لا تتوفر أدلة كافية، وأحياناً تندخل العواطف، وقد يستطيع قاتل أحياناً أن يوهم المحلفين ببراءته... وهذه الحالة الأخيرة لا تحدث كثيراً، ولكنها يمكن أن تحدث. أحياناً يكون السبب تصرفاً ذكياً من الدفاع، أو بسبب استخدام الادعاء العام أسلوباً خاطئاً. نعم، لقد شاهدت حالات كثيرة من هذا النوع. ولكن... ولكن...

لوح سينس بستابة ثقيلة وقال: أنا لم أشهد -طوال فترة خبرتي - رجلاً يربطني يُهدم لشيء لم يرتكبه، وهذا أمر لا أريد أن أراه يا سيد بوارو. ليس في هذا البلد.

نظر بوارو إليه وقال: وأنت تظن أنك ستراه الآن؟ ولكن لماذا؟

قاطعته سينس قائلاً: أعرف بعضاً مما ستقوله، وسأجيبك عنه قبل أن تسأل. لقد كُلفْتُ بهذه القضية، وطلب مني جمع الأدلة على ما حدث. استعرضت القضية كلها بكل دقة، وتوصلت إلى الحقائق... جميع الحقائق التي استطعت التوصل إليها. وقد أشارت كل هذه الحقائق إلى اتجاه واحد... إلى شخص واحد. وبعد أن جمعت الحقائق رفعتها إلى رئيسي، وبعد ذلك خرج الأمر من يدي؛

حقاً. لي ابن عم يشبهه في هذه الصفة، فإذا ما أفسد أمراً جاءك بكذبة سخيفة لا يمكن لأحد أن يصدقها.

- لا يبدو صاحبك جيمس بتلي جذاباً.

- آه، أبدأ. لا يمكن لأحد أن يجبه، ولكني لا أريد أن أراه يعدم لأنه كذلك.

- أوتظن أنه سيعدم؟

- لا أرى ما يمكن أن يمنع ذلك. لعل محاميي يقدم استئنافاً، ولكن إذا حدث ذلك فستكون المبررات واهية جداً... اعتماداً على نقطة فنية ما، ولا أرى لها فرصة للنجاح.

- هل توفر له محام جيد؟

- لقد عُيِّن له المحامي يونغ غريبروك بموجب قانون الدفاع عن الفقراء. أحسبه كان حيّ الضمير ويذل قصارى جهده.

- إذن فقد نال الرجل محاكمة عادلة وأداته هيئة محلفين من مواطنيه.

- هذا صحيح. كانت هيئة المحلفين ذات مستوى جيد، سبعة رجال وخمس نساء، وكلهم شخصيات شريفة معقولة. وكان القاضي هو العجوز ستانديل. وهو شديد التحرز في إنصافه وليس ذا هوى.

- أليس لدى بتلي -إذن- ما يشكو منه وفق القوانين الوضعية؟

ربما لأول مرة في حياتهم. إنهم... إنهم مختالون!

قال سينس كلمته الأخيرة بشيء من الحسم النهائي، ثم قال: أنت تدرك ما أعنيه بذلك يا سيد بوارو.

- أدرك ذلك جيداً. وهذا الرجل، جيمس بتلي... ألم يكن على هذا النحو؟

- بل كان... خائفاً جداً فقط، خائفاً جداً منذ البداية. ومن شأن ذلك أن يدل -في رأي بعض الناس- على أنه مذنب، أما أنا فلا أتخذ ذلك.

- نعم، أوافقك الرأي. كيف هو، هذا السيد بتلي؟

- إنه في الثالثة والثلاثين من عمره. وهو متوسط الطول، وشاحب البشرة، ويلبس نظارات...

تدخل بوارو ليوقف استرسال محدثه قائلاً: لا، لا أقصد صفاته الجسدية. ما نوع شخصيته؟

- آه... شخصيته.

فكّر المفتش سينس ثم قال: شخص غير جذاب، ومرتبك التصرف، ولا يمكنه أن ينظر مباشرة في وجهك، وله طريقة جانبية مأكرة في النظر إليك. وهذا أسوأ نمط يمكن عرضه على هيئة المحلفين. تجده أحياناً متذللًا متملقاً، وأحياناً تجده مشاكساً متحدياً ويتودع بطريقة لا يتقنها تماماً.

سكت قليلاً ثم أضاف بأسلوب عرضي: إنه من النوع الخجول

أجده. ليس من سبب يدفعك للعمل في هذه القضية، ومن الواقعة البالغة أن أفترح عليك ذلك، ولكن هذا ما حصل. لقد جئت إليك لأن ذلك كان الشيء الوحيد الذي استطعت التفكير فيه، ولكن إذا كنت لا تريد إزعاج نفسك... ولماذا عساك ترغب بذلك...

قاطعه بوارو قائلاً: ولكن في الحقيقة عندي أسباب. لدي وقت فراغ، وقت فراغ طويل، وقد أثرت اهتمامي. نعم، لقد أثرت اهتمامي كثيراً. إنه تحدّ... تحدّ لخلايا دماغي الرمادية الصغيرة. وبعد ذلك فأنا أكن لك احتراماً، وبوسعي أن أتصورك وأنت تعمل في حديثك بعد ستة أشهر، مشغولاً ربما بزراعة الأزهار، وفيما أنت تزرعها لن تكون سعيداً كما يجب، لأن في خلفية عقلك ألماً أو ذكرى تحاول التخلص منها، ولن أجعل هذا الشعور يتأبك يا صديقي. وأخيراً...

جلس بوارو منتصباً في كرسبه وأوماً برأسه بقوة وقال: "وأخيراً يوجد مبدأ في هذا الأمر. إذا لم يرتكب الإنسان جريمة قتل فلا يجب أن يُشتمّ". وتوقف قليلاً ثم أضاف قائلاً: ولكن ماذا لو تبين في نهاية الأمر أنه هو الذي قتلها؟

- في تلك الحالة سأكون شاكراً لك لاقتناعي بالأمر.

- ورأي اثنين خير من رأي واحد، أليس كذلك؟ حسناً، انتهى الأمر. سأكرس نفسي للعمل في هذه القضية. من الواضح عدم وجود وقت نصيعة؛ فقد بهتت آثار الجريمة أصلاً. متى قُلت السيدة ماغتي؟

- إذا ما شئتُ لجريمة لم يرتكبها فسيكون له ما يشكو منه.

- ملاحظة متصفة جداً.

- وقد كانت قضية إدانته قضيتي أنا؛ أنا الذي جمعت الحقائق وقدمتها، وقد أُدين بموجب تلك الأدلة والحقائق. وأنا غير مرتاح لذلك يا سيد بوارو... غير مرتاح لذلك.

أطال بوارو النظر إلى وجه المفتش سبنس الأحمر المتشعل ثم قال: حسناً. ماذا تقترح؟

بدا سبنس محرّجاً بشدة وقال: أحسب أنك قد عرفت تماماً الآن ما سيحدث. لقد أغلقت قضية بنتلي، وأنا الآن أعمل في قضية أخرى؛ قضية اختلاس. وعليّ أن أذهب إلى اسكتلندا هذه الليلة. لست رجلاً حر التصرف.

- وهل أنا... كذلك؟

أوماً سبنس برأسه بخجل وقال: لقد غلبتني. ستظن أنها وقاحة بالغة مني، ولكني لا أستطيع أن أفكر بأي تصرف آخر... بأية طريقة أخرى. فعلت كل ما بوسعي في ذلك الوقت، درست كل احتمال ممكن، ولم أصل إلى شيء، ولا أظن أنني سأصل إلى شيء أبداً. ولكن من يعلم، ربما كان الأمر مختلفاً معك أنت؛ فأنت تنظر إلى الأشياء بطريقة غريبة، وأرجو المعذرة على هذا التعبير. ولعل تلك هي الطريقة التي ينبغي النظر بها إلى الأمور في هذه القضية، فإن لم يكن جيمس بنتلي قد قتلها، فلا بد أن شخصاً آخر قد قتلها. لا يمكن أن تهشم مؤخرة رأسها بنفسها. ولعلك تستطيع العثور على شيء لم

للثروة قليلاً، وتبدو محبة لمخالفتها باعتماد. ولم تكن لأي منها
حاجة ماسة لممتي جنيه، رغم أنهما فرحا تماماً بالحصول عليها
كما أظن.

- ماذا بشأن البيت الصغير؟ هل يحصلان عليه؟

- لقد كانت القتيلة مستأجرة لا غير، وبموجب قانون
محددات الإيجار لم يكن يوسع صاحب العقار إخراج العجوز
منه. أما الآن فقد ماتت، ولا أظن أن بمقدور ابنة أختها السكن فيه.
وعلى أية حال فإنها وزوجها لا يريدان ذلك؛ فلدتهما بيت صغير
حديث من البيوت التي توزعها البلدية، وهما فخوران جداً به.

ثم تنهد سبنس وأضاف: لقد درستُ حالة ابنة الأخت وزوجها
عن كتب، فقد بدا أنهما أفضل مُرشحين كما ستري، ولكني لم
أستطع العثور على شيء ضدهما.

- حسناً، دعنا نتحدث الآن عن السيدة ماغتي نفسها. صفها
لي... ليس من الناحية الجسمية فقط إذا سمحت.

ابتسم سبنس وقال: ليس وصف الشرطة هو ما تريده، أليس
كذلك؟ حسناً، كانت أرملة في الرابعة والستين من العمر، وكان
زوجها يعمل في قسم الخياطة في محلات هودجيز في كيلشستر
ومات قبل سبع سنوات على أثر إصابته بذات الرئة، ومنذ ذلك الحين
اعتادت السيدة ماغتي أن تخرج يومياً للعديد من البيوت في المنطقة
للقيام ببعض الأعمال البيتية. إن بروديني قرية صغيرة أصبحت مؤخراً
منطقة سكنية. يسكن فيها واحد أو اثنان من المتقاعدين، وأحد

- في الثاني والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي.

- إذن دعنا ندخل فوراً في حقائق القضية.

- لدي ملاحظاتي الخاصة عن القضية وسأضعها بين يديك.

- حسناً! نحن الآن بحاجة إلى الصورة العامة فقط. إذا لم يقتل

جيمس بنتلي السيدة ماغتي فمن الذي قتلها؟

رفع سبنس كفيه حيرة وقال بحزن: لا أحد بقدر ما أرى.

- ولكننا لا نقبل هذه الإجابة. وبما أن دافعاً يقف خلف
كل جريمة قتل، فما هو الدافع في حالة السيدة ماغتي؟ الحسد،
الانتقام، الغيرة، الخوف، المال؟ أبدأ بالدافع الأخير والأسهل؟
من الذي استفاد من موتها؟

- لم يستفد أحدٌ كثيراً. كان لديها متنا جنيه في بنك الادخار،
وقد آلت إلى ابنة أختها.

- إن مبلغ متني جنيه ليس كبيراً، ولكنه قد يكون كافياً في
ظروف معينة، لذلك دعنا نفكر في امر ابنة أختها. أعتد -يا صديقي-
لأنني أتبع نفس خطاك؛ فأنا أعرف أنك قد فكرت بكل هذه الأمور،
ولكني مضطرٌ لأن أراجع معك ما سبق تمهيداً في هذا الحقل.

أوما سبنس برأسه الكبير وقال: لقد درسنا وضع ابنة الأخت
طبعاً. إنها امرأة متزوجة في الثامنة والثلاثين من عمرها. زوجها
يعمل رساماً في مهنة البناء والديكور، وهو رجل ذكي ليس بالأحمق
المغفل وذو شخصية جيدة وعمله مستقر. وهي شابة مرحة، تميل

موظفها كان هو ممن فقدوا أعمالهم، ولم يستطع العثور على عمل آخر، ونقذت أمواله. اعتاد أن يدفع للسيدة ماغنتي أجرة غرفته كل شهر، وكانت تقدم له وجبتي الإفطار والعشاء لقاء ثلاثة جنيهات أسبوعياً، وهو سعر معقول عموماً. كان قد تأخر عن دفع الأجرة مدة شهرين، ولم يجد عملاً آخر، وكانت السيدة ماغنتي تطلبه بما استحق عليه من أجور.

- وهل كان يعرف أن لديها ثلاثين جنيهاً في البيت؟ لماذا كانت تحتفظ بثلاثين جنيهاً في البيت بالمناسبة، طالما أن لها حساباً في بنك الادخار؟

- لأنها لم تتق في الحكومة. قالت إن الحكومة حصلت على متي جنيه من أموالها، ولكنها لن تحصل على المزيد، وإنها ستحتفظ بذلك المبلغ حيث يكون في متناول يدها عندما تشاء. أخبرت بذلك شخصاً أو اثنين، وكان المبلغ تحت لوح خشبي مخلوع في أرضية غرفة نومها... مكان واضح جداً. وقد اعترف جيمس بنتلي بأنه كان يعرف بوجود المبلغ هناك.

- هذا فضل بالغ منه. هل كانت ابنة أختها وزوجها يعلمان بذلك أيضاً؟

- نعم.

- ها قد عدنا إلى أول سؤال طرحته عليك. كيف ماتت السيدة ماغنتي؟

الشركاء في ورشة هندسية، وطبيب، وغير ذلك. وتوجد خدمة حافلات وقطارات جيدة بينها وبين كيلشستر، وعلى بعد ثمانية أميال منها تقع مدينة كولينكيه التي تعتبر مصيفاً كبيراً، ولكن بروديني نفسها ما زالت ريفية وجميلة، وهي تبعد نحو ربع ميل عن الطريق العام المؤدي إلى درايموث وكيلشستر.

أوماً يوارو برأسه، فيما مضى سبنس قائلاً: كان منزل السيدة ماغنتي أحد البيوت الأربعة التي تشكل مجمل القرية. ويوجد مكتب بريد ومحل للقرية، ويسكن عمال الزراعة في البيوت الأخرى.

- وقد أسكنت عندها مستأجرأ؟

- نعم. قبل موت زوجها كانت تستقبل نزلاء لفترة الصيف فقط، وبعد وفاته أخذت تكتفي بنزول واحد دائم، وكان قد مر على إقامة جيمس بنتلي عندها بضعة أشهر.

- وهكذا نصل إلى... جيمس بنتلي؟

- كان آخر عمل لجيمس بنتلي مع أحد المكاتب العقارية في كيلشستر، وقبل ذلك كان يعيش مع والدته في كولينكيه. كانت والدته مقعدة وكان يقوم على رعايتها ولا يخرج كثيراً. ثم توفيت، وتوفي بوفاتها الزاتب السنوي الذي كانت تتقاضاه. ولذلك باع ابنها البيت الصغير ووجد له عملاً. إنه رجل ذو تعليم جيد، ولكن ليست لديه مؤهلات أو قابليات خاصة. وكما قلت لك، فإنه ذو سمع مُنْفَر. وجد صعوبة في الحصول على عمل. ولكن شركة بريثر أند سكاتل منحته عملاً، وهي شركة من الدرجة الثانية تقريباً. لا أحسبه كان متميزاً أو ناجحاً بشكل خاص، وعندما قامت الشركة بتخفيض عدد

مغلقة من الداخل، ولم توجد آثار لعبت بأقفالها أو كسر أو اقتحام من الخارج.

قال يوارو: لذلك إما أن يكون جيمس بتلي هو القاتل، وإما أنها قد أدخلت قاتلها بنفسها إلى البيت أثناء غيابه.

- بالضبط. لم تكن عملية سرقة أو سطو. والآن: مَنْ هو -يا ترى- الذي يمكن أن تُدخله إلى بيتها؟ أحد جيرانها أو ابنة أختها أو زوج ابنة أختها؟ هذه هي النقطة الرئيسة. لقد استبعدنا الجيران، وكانت ابنة أختها وزوجها في إحدى دور السينما في تلك الليلة. من الممكن... من الممكن فقط أن يكون أحدهما قد غادر السينما خلسة وركب دراجة لمسافة ثلاثة أميال وقتل العجوز ثم غاباً الأموال خارج البيت وعاد إلى السينما دون أن يلاحظه أحد. لقد درسنا هذا الاحتمال ولم نجد ما يؤكد، وإن كان الأمر كذلك فلماذا يخبرني المال خارج بيت ماغنتي؟ سيكون من الصعب عليه أن يأخذه فيما بعد. لماذا لم يخبرني في مكان آخر على الطريق الممتد ثلاثة أميال. لا، إن السبب الوحيد لإخفاء الأموال في المكان الذي كانت فيه هو...

أكمل يوارو الجملة عنه: هو أن القاتل يعيش في البيت، ولم يشأ أن يخبرني في غرفته أو في أي مكان داخل البيت. أي أننا نعود في الحقيقة إلى جيمس بتلي.

- هذا صحيح. أينما ذهبنا وكيفما حللنا تجد نفسك أمام بتلي. وأخيراً كان الدم على كفته.

- مانت في ليلة الثاني والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر)، وقدّر الطبيب الشرعي وقت وقوع الوفاة بين الساعة السابعة والعاشرية مساءً. كانت قد تناولت عشاءها المكون من سمكة وخبز وزبدة، وتشير جميع المعلومات إلى أنها كانت تتناول عشاءها نحو الساعة السادسة والنصف. ولئن كانت قد التزمت بذلك تلك الليلة، فإن الدليل الطبي المتعلق بمستوى الهضم يشير إلى أنها قُتلت ما بين الساعة الثامنة والنصف والتاسعة. أما جيمس بتلي فقد أفاد بأنه كان خارجاً يتمشى ما بين الساعة السابعة والربع والتاسعة. كان يخرج للمشي كل مساء تقريباً بعد حلول الظلام، ووفقاً لروايته هو، فقد رجع إلى البيت في نحو التاسعة (وكان لديه مفتاح خاص به) وصعد فوراً إلى غرفته (وكانت السيدة ماغنتي قد ركبت مغاسل في غرف النوم لاستخدام زوار الصيف). قرأ لمدة نصف ساعة ثم أوى إلى فراشه، ولم يسمع أو يلاحظ شيئاً خارجاً عن العالوف. وفي صباح اليوم التالي نزل إلى الطابق الأول ونظر إلى المطبخ فلم يَرَ فيه أحداً، ولم يَرَ ما يدل على إعداد الإفطار. قال إنه تردد قليلاً ثم طرق باب السيدة ماغنتي فلم يحصل على إجابة، فظن أنها ما تزال مستغرقة في نومها، ولم يشأ الاستمرار في طرق الباب. ثم جاء الخياز فذهب بتلي وطرق الباب مرة أخرى، وبعد ذلك ذهب الخياز -كما قلت لك- إلى البيت المجاور وأحضر سيدة تُدعى السيدة إليوت، هي التي عثرت أخيراً على الجثة فكادت تفقد عقلها. كانت السيدة ماغنتي ممددة على أرض الصالة، وكانت قد صُربت على مؤخرة رأسها بأداة تكاد تشبه ساطور اللحم ذات حافة حادة جداً. وقد قُتلت على الفور. كانت الأدرج قد فتحت، والأشياء قد بعثرت، واللوح المرثخي في الأرضية قد خُلع، وكان المخبأ تحته فارغاً. كانت النواذ كلها

الأمر، وما كان ينبغي لي أن آتي إلى هنا الليلة. سأذهب إلى فراشي وكأنتي لم ادخل إلى هنا أبداً. وبالطبع فإن خلف ذلك كله الخوف، الخوف من الاشتباه في تورطه في العملية. لقد ظنّ أنه سيُبعد نفسه عن القضية أطول وقت ممكن، وهكذا تورط هذا الساذج الغبي في الأمر حتى أذنيه. من الممكن أن يكون هذا ما حدث.

قال بوارو متأملاً: ممكن.

- أو أنها لا تعدو أن تكون أفضل قصة فكر له بها محاميه!
تقول النادلة في مقهى كيلشستر - حيث كان يتناول غداءه عادة - إنه كان دائماً يجلس على مائدة بحيث يكون نظره متجهاً إلى حائط أو زاوية، بحيث لا يرى الناس. لقد كان من هذا النوع من الرجال؛ فيه شيء من غرابة الأطوار، ولكن لا يبلغ به ذلك درجة القتل. ليست لديه عقدة اضطهاد أو شيء من هذا القبيل.

نظر سبنس إلى بوارو بشيء من الأمل، ولكن بوارو لم يستجب له، فقد كان متجهماً. وجلس الرجلان صامتين لبعض الوقت.

* * *

- كيف فسر ذلك؟

- قال إنه تذكر احتكاكه بمحل جزار لدى مروره أمامه في اليوم السابق. مجرد هراء؛ فلم يكن الدم دم حيوان.

- وهل تمسك بهذا التفسير؟

- لا، بل روى في المحكمة قصة مختلفة تماماً. فقد كانت على كُم معطفه شعرة أيضاً... شعرة ملطخة بالدم، وكانت الشعرة مطابقة تماماً لشعر السيدة ماغتي، وكان عليه تفسير ذلك. اعترف -وقتها- أنه دخل إلى الغرفة في الليلة السابقة عندما رجع من نزهته. قال إنه دخل بعد أن طرق الباب فوجد السيدة ماغتي هناك ممددة على الأرض، ميتة. وقد انحنى ولمسها ليتأكد من حالتها. ثم فقد صوابه؛ فقد كان دوماً يتأثر لرؤية الدم، فذهب إلى غرفته منهاراً يكاد يُغمى عليه. وفي الصباح لم يستطع حمل نفسه على الاعتراف بأنه يعرف ما حدث.

علق بوارو قائلاً: قصة مريبة جداً.

قال سبنس: "إنها كذلك بالفعل". ثم أضاف متأملاً: ومع ذلك فقد تكون صحيحة. إنها ليست مما يمكن للإنسان العادي (أو حتى لهيئة المحلفين) تصديقه، ولكنني قابلت أناساً على هذا النحو. أنا لا أقصد قصة الانهيار، بل أقصد أولئك الذين يواجهون موقفاً يتطلب منهم عملاً مسؤولاً فلا يستطيعون مواجهته. فنقل إنه دخل فعثر عليها ميتة. إنه يعرف أن عليه أن يفعل شيئاً: أن يتصل بالشرطة، أو يذهب إلى أحد الجيران، أو يقوم بالتصرف الصحيح كائناً ما كان. ولكنه جيّن وترك الأمر، قال لنفسه: "لست بحاجة لمعرفة شيء عن

- وماذا عن سنواتها الأربعين قبل ذلك؟

- ما من أُلغاز في حياتها. إنها ابنة مزارع من نورث ديفون، وقد عاشت مع زوجها فترة من الزمن في إنفراكوم ثم انتقلا إلى كيلسستر. استأجرا بيتاً في الجانب الآخر من القرية، ولكنه كان رطباً فانتقلا إلى بروديني. ويبدو أن زوجها كان هادئاً ومستقيماً ورفيقاً، ولم يكن من النوع الذي يتردد على الحانات. كل ما في حياتهما محترم وواضح؛ ما من أُلغاز ولا أسرار.

- ومع ذلك قُتلت؟

- ومع ذلك قُتلت!

- ألا تعرف ابنة أختها أحداً يحمل ضغينة لخالتها؟

- قالت إنها لا تعرف.

فرك بورو أنه بغيط وقال: لعلك تدرِك -يا صديقي العزيز- أن من شأن هذه القضية أن تكون أسهل بكثير لو أن السيدة ماغتني لم تكن السيدة ماغتني إذا صح التعبير. لو أنها كانت ما يُسَمَّى «المرأة الغامضة»... لو كانت امرأة ذات تاريخ.

قال سبنس بعناد: ولكنها لم تكن كذلك، بل كانت السيدة ماغتني وحسب. امرأة لا تكاد تكون متعلمة، تزجر الغرف وتخرج للخدمة في البيوت. يوجد الألاف من أمثالها في طول إنكلترا وعرضها.

- ولكنهن لا يُقتلن جميعاً.

الفصل الثالث

وأخيراً خرج بورو من استغراقه بزرقة وقال: حسناً، لقد فرغنا من دراسة دافع المال. دعنا نتقل لدراسة نظريات أخرى. أكان للسيدة ماغتني أعداء؟ هل كانت خائفة من أحد؟

- لا دلائل تشير إلى ذلك.

- ماذا قال جيرانها؟

- لم يقولوا الكثير. وما كانوا ليخبروا الشرطة بالكثير، ولكني لا أحسبهم أخفوا شيئاً. قالوا إنها كانت منطوية على نفسها، ولكن هذا يُعتبر طبيعياً تماماً. إن قرانا -يا سيد بورو- لا تنسم بالود والاجتماعية، وقد لاحظ ذلك اللاجئون الذين تمَّ إخلاؤهم أثناء الحرب. كانت السيدة ماغتني تقضي صحابة نهارها مع الجيران، ولكن العلاقة لم تكن حميمة.

- كم سنة عاشت هناك؟

- أظنها قضت هناك نحواً من ثمانية عشر عاماً أو عشرين.

أنت بقعة الدم إلى كُتْمه بالكيفية التي وصفها في المحكمة، أم كان ذلك مدبراً أيضاً؟ هل اصطدم به أحدهم في الظلام ولطَّخَ كُتْمه بدليل موحٍ وحاسم؟

- أظن أن هذا مُستبعد قليلاً يا سيد بوراو.

- ربما، ربما. ولكن علينا أن نتوسع في افتراضاتنا. أعتقد أن علينا -في مثل هذه القضية- أن نذهب أبعد مما يستطيع خيالنا أن يقودنا لرؤية الطريق بوضوح؛ لأنه إذا كانت السيدة ماغنتي -يا صديقي سينس- مجرد خادمة عادية فإن القاتل لا بد أن يكون استثنائياً. نعم... هذه نتيجة منطقية. إن اهتمامنا في هذه القضية ينصب على القاتل وليس على القتيلة، والحالة لا تكون هكذا في معظم الجرائم؛ إذ عادة ما يكمن لب القضية في شخصية القاتل. إن الموتى الصامتين هم الذين أهتمُّ بهم عادة. أهتمُّ بما كانوا يكرهونه، وما كانوا يحبونه، وما كانوا يفعلونه. وعندما تعرف حقاً شخصية الضحية فإنك تجدها تتكلم وتنبس شفاتها الميتان بالاسم... بالاسم الذي تريد معرفته.

بدا على سينس شيء من عدم الارتياح، وبدا وكأنه يقول لنفسه: يا لهؤلاء الغرباء!

مضى بوراو قائلاً: ولكن الصورة معكوسة في هذه القضية. إننا هنا نطلق تخميناتنا على شخصية مجهولة... على شخص مازال مختفياً في الظلام. كيف ماتت السيدة ماغنتي؟ لماذا ماتت؟ أنت لن تجد الجواب في حياة السيدة ماغنتي، بل ستجده في شخصية القاتل. هل توافقني في هذه النقطة؟

- نعم، أوافقك الرأي.

- إذن لماذا تُقتل السيدة ماغنتي؟ الجواب الواضح غير مقبول لدينا، فماذا يبقى؟ ابنة أخت مبهمة غير مُحتملة، وغريب أكثر إيهاماً وأبعد احتمالاً. الحقائق؟ دعنا نلزم جانب الحقائق المجردة. ما هي الحقائق؟ خادمة عجوز تُقتل، وشاب حي جلف يُعتقل ويُدان بجرime القتل. لماذا اعتقل جيمس بنتلي؟

حدق سينس إليه وقال: للأدلة التي كانت ضده. لقد أخبرتُك...

- نعم، الأدلة. ولكن أخبرني يا صديقي، أكانت أدلة حقيقية أم ملفقة؟

- ملفقة؟

- نعم.. إذا سلّمنا بفرضية براءة جيمس بنتلي يبقى لدينا احتمالان. إما أن تكون الأدلة ملفقة عمدًا لإثارة الشكوك حوله، أو أنه كان مجرد ضحية عائرة الحظ بسبب الظروف.

فكر سينس وقال: نعم، أنهم ما ترمي إليه.

- ليست لدينا أدلة تشير إلى صحة الاحتمال الأول، ولكن ليست لدينا أيضاً أدلة تنفي صحته. أخذ المال وأخفي خارج البيت في مكان يسهل العثور عليه. إن إقدام القاتل على إخفاء الأموال في غرفة بنتلي سيكون أمراً أوضح من أن يصدقه الشرطة. ارتكبت جريمة القتل في وقت كان فيه بنتلي ينتزه وحيداً خارج البيت كالمعتاد. هل

وقت- الخط الصحيح الذي يجب أن نسلكه.

- كيف ستشعر في هذا الأمر يا سيد بوارو؟ أوجد ما أستطيع عمله؟

- أولاً، أريد مقابلة جيمس بتلي.

- يمكن ترتيب ذلك؟ سأتصل بمحاميه.

- وبعد ذلك، وبناء على نتيجة المقابلة (إذا خرجنا بنتيجة، وأنا لست متفائلاً)، سأذهب إلى بروديني. وهناك وبمساعدة الملاحظات التي سأأخذها منك، سأستعرض -بأسرع ما يمكن- الأمور التي سبق لك استعراضها.

قال سبنس بإتسامة كثية: لعلي أكون قد أغفلت شيئاً.

- بل أفضل القول: لعل بعض الأمور تثير انتباهي بطريقة تختلف عما أثارته لديك. إن ردود الفعل البشرية تختلف، وكذلك الخبرة الإنسانية. إن تشابهاً بين رجل مصرفي وآخر صانع صابون كنتُ أعرفه في منطقة ليغ قد أدى مرة إلى نتيجة مُرضية تماماً، ولكن لا حاجة للدخول في هذا الموضوع. إن ما أريده الآن هو استبعاد أحد المسارين اللذين ذكرتهما قبل قليل. وإن استبعاد المسار المتعلق بالسيدة ماغتي (ولنسمه المسار رقم ١) سيكون أسرع وأسهل من معالجة المسار رقم ٢. والآن، أين يمكنني أن أقيم في بروديني؟ أوجد فيها فندق يحقق الحد الأدنى من الراحة؟

- يوجد هناك نُزل ثري داكس، ولكنه لا يقدم خدمات النوم. وفندق لامب في كولافون على بعد ثلاثة أميال، وأيضاً نُزلٌ في

قال المفتش سبنس بحذر: أظن ذلك.

- ما الذي أراده أحدهم؟ أن يقضي على السيدة ماغتي؟ أم أن يقضي على جيمس بتلي؟

أطلق المفتش سبنس همهمة مرتابة، فيما مضى بوارو قائلاً: نعم، نعم. هذه واحدة من أولى النقاط التي يجب أن نُحسم. من هو الضحية الحقيقي؟ ومن كان الضحية المُقصودة؟

قال سبنس غير مصدق: أتظن حقاً أن من شأن امرئ أن يقتل امرأة مسالمة تماماً لمجرد جعل شخص آخر يُعدم بتهمة القتل؟

- يقال إن المرء لا يستطيع صنع العجة دون أن يكسر بيضاً. ربما كانت السيدة ماغتي هي البيضة، وكان جيمس بتلي هو العجة. لذلك أخبرني: ماذا تعرف عن جيمس بتلي؟

- لا أعرف الكثير عنه. كان والده طبيباً، وقد توفي عندما كان جيمس في التاسعة من عمره. والتحق بإحدى المدارس الحكومية الصغيرة، ولم يكن يصلح للخدمة العسكرية لمرض في صدره، وقد عاش مع أم مسيطرة مستحوذة.

قال بوارو: توجد احتمالات معينة فيما تقوله... أكثر من الاحتمالات الموجودة في تاريخ حياة السيدة ماغتي.

- هل تعتقد جدياً بما تقول؟

- لا. أنا لا أؤمن بشيء حتى الآن، ولكنني أقول إن أمامنا خطين منفصلين للبحث والتحري، وإن علينا أن نقرر -في أقرب

نظر المفتش سبنس بقلق إلى الرجل الضئيل وقال: اسمعني يا سيد بوارو، لا تذهب إلى هناك وتعرض نفسك للمخاطر. لا أريد أن يمستك مكروه.

- ولكن إذا مسني مكروه فسيثبت أنك على حق دون أدنى شك، أليس كذلك؟

قال المفتش سبنس: لا أريد إثبات ذلك بهذه الطريقة المكلفة.

بروديني نفسها. إنه ليس نُزلاً حقاً، مجرد بيت ريفي بالٍ يملكه زوجان شابان يستضيفان فيه النزلاء، ولا أظنه مريحاً جداً.

أغمض بوارو عينيه ألماً وقال: إن لم يكن من المعاناة بَدُّ فلتنكن، فلا بد من ذلك.

تابع سبنس بارتياح وهو ينظر إلى بوارو: لا أدري بأي صفة ستذهب إلى هناك؟ بوسعك أن تدعي أنك مغني أوبرا، وقد ذهب صوتك مؤقتاً بحيث اضطررت للاستراحة. قد ينجح ذلك.

قال بوارو بلهجة ملوكية: سأذهب بصفتي الحقيقية.

استقبل سبنس هذا التصريح بزم شفتيه وقال: أتحسب ذلك تصرفاً محموداً؟

- بل أحسبه جوهرياً. نعم، جوهري. تذكر - يا صديقي - أن الوقت هو العامل الحاسم في عملنا. ما الذي نعرفه؟ لا شيء. ولذلك فالأمل الوحيد والأفضل هو أن أذهب إلى هناك متظاهراً بأنني أعرف الكثير، وعندها سيقال إنني أنا (هيركيول بوارو، هيركيول بوارو العظيم والفريد) غير مقتنع بقرار المحكمة في قضية ماغنتي، وإن لديّ أنا (هيركيول بوارو) حدسٌ يكاد يكون مصيباً بحقيقة ما حدث. وبذلك سيكون ظرفه لا يقدر قيمته إلا أنا فقط. هل فهمت؟

- وبعد ذلك؟

- وبعد ذلك، بعد أن أثير التأثير المطلوب، سأراقب ردود الأفعال؛ إذ ستظهر ردود أفعال بالتأكيد... ستظهر ردود أفعال.

الهواء البارد ويلف الغرفة.

قال بوارو وهو يرثي كثيراً لنفسه: إنني أعاني. نعم! أعاني.
وفجأة فُتح الباب ودخل الهواء والسيدة سمرهيز معاً. أجالت
نظرها في الغرفة ثم صرخت لشخص بعيد: "ماذا؟"، وخرجت.
كان للسيدة سمرهيز شعر أحمر ووجه منمش على نحو جذاب،
وكانت دوماً في حالة من الشرود الذي يتوزع بين وضع الأشياء في
أي مكان وبين البحث عن تلك الأشياء.

نهض بوارو مسرعاً وأغلق الباب، وبعد لحظة قصيرة فتح
الباب وظهرت السيدة سمرهيز مرة أخرى، وهي تحمل -هذه المرة-
وعاء معدنياً ضخماً وسكيناً.

سُمع صوت رجل ينادي من بعيد: مورين، لقد مرضت تلك
القطعة مرة أخرى. ماذا أفعل؟

نادت السيدة سميرهيز تجيبه: أنا قادمة يا عزيزي، لا تلمس
شيئاً.

وضعت الوعاء والسكين أرضاً وخرجت مرة أخرى. ونهض
بوارو وأغلق الباب من جديد قائلاً: إنني أعاني بكل تأكيد.

وقفت سيارة خارج البيت، فقفز الكلب الضخم عن الكرسي
ورفع نباحه الأبحش، ثم قفز على طاولة صغيرة بجانب النافذة
فانهارت الطاولة محدثة صوتاً عالياً، فقال بوارو: يا إلهي! شيء
لا يُحتمل.

الفصل الرابع

نظر هيركيول بوارو حوله إلى الغرفة التي يقف فيها بتفرز شديد.
كانت غرفة رحبة الأبعاد، ولكن جاذبيتها تنتهي عند هذا الحد،
وتجهم وجهه وهو يُجري إصبعاً مرثابة على طول سطح خزانة كتب؛
فقد وجد شكوكه في محلها... تراب! ثم جلس بحذر على أريكة
فانخسفت لوالبها المكسورة تحته، فأدرك أن الكنتيتين باهتتي اللون
أفضل نسبياً من الأريكة. زمجر كلب شرس المنظر يجلس على كرسي
رابع مريح قليلاً، وكان بوارو يشك بإصابة الكلب بالجرب.

كانت الغرفة كبيرة وعلى جدرانها ورق باهت اللون، وعلى
الجدران عُلقَت -بشكل مائل- منقوشات فولاذية ذات موضوعات
كربيهة، مع لوحة أو لوحين زيتيين جديتين. أما قماش الكرسي
فكان قذراً وباهتاً في الوقت ذاته، وقد كثرت الثقوب في السجادة
التي لم يكن نقشها جميلاً أصلاً، وتناثرت أشياء كثيرة متنوعة هنا
وهناك في الغرفة. وكانت الطاولات تتأرجح على نحو خطير، وقد
فُتحت إحدى النوافذ ولم يبدُ أن قوةً في الأرض تستطيع إغلاقها،
أما الباب الذي كان مُغلقاً مؤقتاً فلم يكن من المحتمل أن يبقى هكذا
طويلاً. المزلاج لا يثبت، ومع كل هبة ريح يتفتح الباب ليدخل

صرخت السيدة سمريز: خادمة؟ يا لها من أمنية! أنا لا أستطيع حتى تأمين خادمة نهارية. لقد قُبلت خادمتنا التي كانت جيدة حقاً، وهذا من سوء حظي.

قال بوارو بسرعة: لا بد أنها السيدة ماغنتي.

- نعم؟ كانت السيدة ماغنتي. يا إلهي، كم أفتقدوها! لقد كان قتلها حدثاً مشيراً وقاتها. إنها أول حالة قتل تحدثت في القرية، وكما قلت لجوني فإن ذلك كان من سوء حظنا؛ إذ لا أستطيع تدبّر أمور دون السيدة ماغنتي.

- هل كنت تحبها؟

- يا سيدي العزيز، لقد كانت امرأة موثوقة. وكانت مواظبة، تأتي مساء الإثنين وصباح الخميس من كل أسبوع... كالساعة في مواعيدها. والآن تأتي امرأة تسمى برب من مكان بجانب المحطة، ولديها زوج وخمسة أطفال، ولذلك فمن الطبيعي أن لا تأتي إلا لماماً. فإما أن يتوكل زوجها أو تمرض أمها العجوز، أو يقع أطفالها ضحية هذا المرض أو ذلك. أما السيدة ماغنتي فيكفي أنها كانت الوحيدة التي يمكن أن تمرض، والحقيقة أن ذلك لم يكن يحدث إلا نادراً.

- أكتبُ تجديدها دوماً أمينة موثوقة؟ أكانت لك ثقة بها؟

- آه، لم يسبق لها أبداً أن سرقت شيئاً، ولا حتى الطعام. كانت فضولية قليلاً بالطبع، تُلقِي نظرة على الرسائل أحياناً وغير ذلك، ولكن المرء يتوقع مثل هذه الأمور. أقصد أن هؤلاء الناس يعيشون

تُفتح الباب واندفع الهواء إلى الغرفة، وانطلق الكلب خارجاً وهو ينيح، وجاء صوت مورين عالياً وواضحاً: جوني، لماذا تركت الباب الخلفي مفتوحاً بالله عليك! لقد دخلت تلك الدجاجات إلى مكان حفظ الأغذية.

قال بوارو بحزن: أمن أجل هذا أدفع سبعة جنيهاً أسبوعياً؟

تُفتح الباب من جديد مُحدثاً دويماً، وشمع من النافذة صوت قرق الدجاجات الغاضبات. ثم تُفتح مرة أخرى ودخلت مورين سمريز وانكبت فوق الوعاء وهي تصرخ فرحاً: لم أدر أين تركته. هل سيُرْعجك كثيراً يا سيد... أقصد هل أزعجك إذا قطعت الفاصولية هنا؟ إن رائحة المطبخ كريهة.

- سيسعدني ذلك يا سيدتي.

لعل هذا العبارة لم تكن دقيقة، ولكنها كانت قريبة لما أرادته بوارو؛ فخلال الساعات الأربع والعشرين الماضية كانت هذه أول مرة تُتاح فيها لبوارو فرصة للتحدث مدة تزيد عن ست ثوان.

جلست السيدة سمريز على أحد الكراسي وبدأت تقطع الفاصولية بنشاط محموم ويكثر من عدم المهارة. قالت: أتمنى أن تشعر بالارتياح. أخبرني إن كنت تريد تبديل شيء.

كان بوارو قد أصبح مقتنعاً بأن الشيء الوحيد الذي يمكنه احتمالها في لوغ ميدوز هو ضيفته. أجاب بأدب: أنت شديدة اللطف يا سيدتي. أتمنى لو كان بوسعي أن أوّمن لك خادمة مناسبة.

- لم يظهر له أثر.

- تبا، سنضطر لفتح علبة من شيء آخر. بوسعك أن تفعل ذلك يا جوني! علبة من تلك العلب في زاوية الخزانة. تلك العلبة التي ظننا أنها متنفخة. أحسب حقاً أنها ما تزال على ما يرام.

- وماذا عن السبانخ؟

- أنا سأخضرها.

خرجت مسرعة من الباب الزجاجي، وابتعد الزوجان معاً.

قام بوارو وأغلق الباب الزجاجي بقدر ما يمكن من إحكام، ولكن صوت الميجر سمهيز بقي يصل إليه عبر الأثير وهو يقول: ماذا عن هذا الرجل الجديد يا مورين؟ يبدو لي غريب الشكل. ماذا قلت اسمه؟

- لم أستطع تذكر اسمه وأنا أتحدث معه قبل قليل، واضطرت لمخاطبته بكلمة سيد... آه، بوارو، هذا هو اسمه. إنه فرنسي.

- يبدو أنني رأيت ذلك الاسم في مكان ما.

- ربما رأيته بمجلة تسريحات الشعر؛ يبدو أشبه بحلاق.

تقبض بوارو فيما مضى الميجر يقول لزوجته: لا، يبدو أنني سمعتُ اسمه مقروناً بالمخللات. لا أدري، ولكن اسمه مألوف بالتأكيد. يُفضل أن تأخذي منه الجنيهاً السبعة بسرعة.

ثم ابتعد صوتها وتلاشياً. وقام بوارو بالتقاط ما تناثر من الفاصولية على أرض الغرفة، وما أن انتهى من ذلك حتى دخلت

- دون شك - حياة مملة جداً، أليس كذلك؟

- أكانت حياة السيدة ماغتي مملة؟

قالت السيدة سمهيز بشيء من الغموض: أحسبها كانت حياة كريهة، وهي جائية دوماً تسمح الأرض، وتجد كلما أنت صباحاً أكولاً من أواني الآخرين تنتظر الجلي في المجلى. ولو أنني اضطررت لمواجهة ذلك كل يوم لرأيتُ في مقنني راحة بالتأكيد.

ظهر وجه الميجر سمهيز من خلال الباب الزجاجي. نهضت السيدة سمهيز مسرعة وثرثرت الفاصولية وانطلقت نحو الباب الزجاجي ففتحته عن آخره. قال الميجر: لقد التهم ذلك الكلب الخبيث علف الدجاج مرة أخرى يا مورين.

- آه، تبا. سيمرض الآن هو الآخر.

عرض جون سمهيز عليها وعاءً مملوءاً بالخضار وقال: انظري... هل يكفي هذا القدر من السبانخ؟

- كلا بالطبع.

- يبدو لي أنها كمية كبيرة.

- سيصبح قليلاً جداً عندما يُطبخ. ألا تعرف طبيعة السبانخ حتى الآن؟

- يا إلهي!

- هل وصل السمك؟

توقفت السيدة سمرهيز لحظة قبل أن تستأنف حديثها بصوت مُتكلّف بعض الشيء: سيأتي بائع السمك بعد قليل. أتساءل إن كنت لا تمنع... لا تمنع في دفع أجرة أول أسبوع؟ أنت ستقضي أسبوعاً هنا، أليس كذلك؟

- ربما أكثر من أسبوع.

- أنا أسفة لإزعاجك، ولكن ليست لديّ نقود جاهزة في البيت، وأنت تعرف طبيعة هؤلاء الباعة... دائماً يطالبون بديونهم.

- أرجوك لا تعتذري يا سيدتي.

أخرج بوارو سبعة جنيهات وأضاف إليها سبعة شلنات. وأخذت السيدة سمرهيز النقود بجشع وقالت: شكراً جزيلاً.

- يحسن أن أخبرك بالمزيد عن نفسي يا سيدتي. أنا هيركيول بوارو.

لم يترك الاسم أثراً لدى السيدة سمرهيز، وقالت بلطف: يا له من اسم جميل! إنه اسم يوناني، أليس كذلك؟

دق بوارو بيده على صدره وقال: لعلك تعرفين أنني رجلٌ تحرّ، وربما كنتُ أشهر رجال التحري قاطبة.

صرخت السيدة سمرهيز اهتماماً وقالت: أرى أنك صاحب ظُرفٍ وطرافة يا سيد بوارو. ما الذي تحرى عنه؟ رماد لغائف التبغ وأتار الأقدام؟

عليه السيدة سمرهيز مرة أخرى. أعطها الفاصولية بأدب وهو يقول: هاك يا سيدتي.

- آه، أشكرك كثيراً. يبدو أن لون هذه الفاصولية قد اسود قليلاً. إننا نملّحها ونخزنها في وعاء فخاري، ولكن يبدو أن هذه الكمية قد فسدت، وأخشى أنها لن تكون لذيدة تماماً.

- وأنا أخشى ذلك أيضاً. هل تسمحين لي بإغلاق الباب؟ يوجد تيار هواء قوي.

- آه، نعم، أغلقه. أظنني أترك الأبواب مفتوحة دوماً.

- هذا ما لاحظته.

- ولكن هذا الباب لا يبقى مغلقاً أبداً، والحقيقة أن هذا البيت يتداعى. لقد عاش والدا جوني هنا، وكان المسكينان فقيرين فلم يصلحوا فيه شيئاً. وعندما جئنا من الهند لنسكن هنا لم يكن لدينا ما نُصلحه به أيضاً، ومع ذلك فهو متع للاطفال أيام العطل؛ ففيه مجال واسع للعب، بالإضافة إلى الحديقة وغير ذلك. إن استقبال النزلاء هنا لا يكاد يساعدنا إلّا في الاستمرار بالحياة، رغم أننا تلقينا بعض الصدمات الوقحة.

- أنا نزيلكم الوحيد حالياً؟

- لدينا سيدة عجوز في الطابق العلوي. وقد مرضت فلزمت فراشها منذ يوم قدمها، وما زالت فيه. أنا لا أرى بها علة، ولكنها ترقد طوال الوقت. إنني أقدم لها أربع وجبات يومياً، ولا تشكو شهيتها من شيء. وعلى أية حال فهي ذاهبة غداً لابنة أخت لها أو ما شابه هذا.

- بل أتجرى مسألة مقتل السيدة ماغتي، وأنا لا أمزح.

صاحت: "آه... لقد جرحت يدي". ورفعت أحد أصابعها وتفحصته، ثم حملت في بوارو وقالت: انظر! هل تعني ما قلته؟ أقصد أن الأمر قد انتهى. لقد اعتقلوا ذلك الأحمق الذي كان ساكناً هناك وحوكم وأدين وانتهى الأمر، ولعله سُقِّ الأنا.

الفصل الخامس

- لا يا سيدتي؛ إنه لم يشق بعد، ولم تنته قضية السيدة ماغتي بعد. سأذكرك ببيت من الشعر قاله أحد شعراكم: "إن القضاة لا تُحلّ أبداً حتى تُحلّ بالشكل الصحيح".

قالت السيدة بيرتش: إنني حقاً لا أدري.

كانت قد قالت ذلك ثلاث مرات حتى الآن. لم يكن من السهل عليها التغلب على عدم ثقتها الفطرية برجال غرباء المظهر ذوي شوارب سوداء ومعاطف مخططة من الفرو.

قالت السيدة سمرهيز وقد تحول انتباهها من بوارو إلى الرعاة أمامها: أووه... إن دمي ينزف على الفاصولية، وهذا ليس جيداً لأننا ستناولها على الغداء. ومع ذلك فلن يؤثر ذلك حقاً، لأنها سَتُغلى في الماء، وإذا غلبت المواد الغذائية فلا بأس عليها، أليس كذلك؟ حتى المعلبات؟

تابعت قائلة: لقد كان أمراً بشعاً جداً... أن تُقتل خالتي ويأتي الشرطة للتحقيق؛ فقد أخذوا يعيشون في كل مكان، ويفتشون كل شيء، ويطرحون أسئلة. والجيران مثلهمون تأكلهم اللهفة. لم أشعر في البداية أننا سننسى ذلك، وقد تصرف والد زوجي بشكل سيء جداً إزاء الموضوع، وبقيت تقول إن أسرتها هي لم تشهد شيئاً من هذا القبيل وتردد طوال الوقت: «جو المسكين» وغير ذلك. وماذا عني أنا، ألسنتُ مسكينة؟ لقد كانت خالتي أنا، أليس كذلك؟ ولكنني ظننتُ حقاً أن الأمر قد انتهى الآن.

قال بوارو بهدوء: لا أظنني ساكون هنا لتناول الغداء.

* * *

- وماذا لو كان جيمس بنتلي بريئاً في النهاية؟

صاحت السيدة بيرتش: هراء. إنه ليس بريئاً بالطبع؛ لقد ارتكب الجريمة بالتأكيد. لم تعجبني نظراته أبداً، وقد كان يتجول ويهمهم

غير ذات الصلة. لقد كان يبحث عن إبرة في كومة قش، ولكنه كان يزد - عرضياً - حجم معرفته بالسيدة يسي بيرتش.

لم تكن يسي تعرف الكثير عن خالتها. كانت علاقتهما مجرد رابطة أسرية يجري احترامها على هذا الأساس، ولكنها لم تكن علاقة حميمة. كانت تذهب مع زوجها جو لتناول الغداء مع خالتها مرة كل شهر تقريباً، وكانت زيارات الخالة لهما أكثر ندرة، وكانوا يتبادلون الهدايا في عيد الميلاد. وكان الزوجان يعلمان أن خالتهما قد ادخرت بعض المال وأنهما سيرثانه بعد موتها، وقد شرحت السيدة بيرتش ذلك قائلة وقد احمر وجهها: ولكن هذا لا يعني أننا كنا بحاجة إليه؛ فقد ادخرنا - نحن أيضاً - بعض المال، وقد جهزنا دفنتها بشكل رائع. كانت جنازتها رائعة... باقات الأزهار وكل شيء. وقد كانت خالتي مولعة بالحياكة. لم تكن تحب الكلاب لأنها تسبب فوضى في البيت، ولكنها كانت تحفظ بقعة بنية اللون، وقد ضلّت وضاعت، فلم تعد خالتي لتربية غيرها، ولكن موظفة مكتب البريد كانت ستعطيها قطة صغيرة. كانت تحافظ على بيتها نظيفاً وأنيقاً ولم تكن تحب الأشياء المبعثرة. كانت تحافظ على نحاسياتها في أنظف صورة، وتسمح أرض المطبخ كل يوم. وقد جمعتُ قدرًا لا بأس به من المال من عملها خارج البيت. كانت تحصل على شلن وعشرة بنسات في الساعة... بل تحصل على شلنين في الساعة في منزل هولملي، وهو بيت السيد كاربتنر. كانت أسرة كاربتنر ثرية جداً، وكانوا يحاولون إقناع خالتي بأن تعمل عندهم عدداً أكبر من الأيام، ولكنها لم تشأ خذلان السيدات الأخريات اللاتي بدأت العمل عندهن قبل عملها عند أسرة كاربتنر.

لنفسه. لقد قلت لخالتي: "ينبغي أن لا تُسكني مثل هذا الرجل في بيتك، فربما فقد صوابه". ولكنها قالت إنه رجل هادئ ولطيف ولا يسبب أية مشكلات. قالت إنه لا يشرب، بل لا يدخن أيضاً. لقد عرفت المسكينة الحقيقية بشكل أفضل الآن.

نظر بوارو إليها متأملاً. كانت امرأة ضخمة الجسم ممتلئة، يشع منها لون الصحة ويوحى فيها بالمرح. وكان البيت الصغير مرتباً ونظيفاً تبعث فيه روائح مُنظفات الأثاث والنحاس، وقد انبعثت من ناحية المطبخ رائحة تفتح الشهية.

زوجة صالحة تُعنى بنظافة بيتها وتطهو لزوجها، وقد استحسن بوارو ذلك. كانت متحيزة وعيندة، ولكن لم لا تكون كذلك؟ إنها ليست - بالتأكيد - من ذلك النوع من النساء اللاتي يمكن للمرء أن ينخيلهن وهن يستخدمن ساطوراً لضرب خالاتهن أو يتواطأن مع أزواجهن على ذلك. لم يَزِ المفضش سببس أنها من هذا النوع من النساء، وبشيء من التردد لم يَزِ بوارو بُدأ من الاتفاق مع سببس في رأيه هذا. لقد درس سببس الخلفية المالية لأسرة بيرتش ولم يجد فيها دافعاً للقتل، وكان سببس رجلاً دقيقاً جداً.

تهدد واستمر بمهمته، وهي محاولة تبديد ارتياب السيدة بيرتش بالأجانب. صرف الحديث عن حادثة القتل ليركزه على الضحية. طرح عدة أسئلة عن «الخالة المسكينة»، عن صحتها، وعاداتها، وما تفضله من طعام وشراب، وعن آرائها السياسية، وعن زوجها المتوفي، ونظرتها للحياة، وعن الأطفال، والحيوانات.

لم يكن يعلم إن كان سيجد أية فائدة في أيٍّ من هذه القضايا

وقبل أن يغادر بوارو عاد جو بيرتش إلى البيت ليتناول غداءه. رجل ظاهر الذكاء صغير الجسم، يجد المرء من الصعوبة في الجزم بشأنه أكثر مما يجده في حالة زوجته. بدا على سلوكه أثرٌ قليل من الارتباك، ولكنه لم يُبَدِّ تجاه بوارو ما أبدته زوجته من الريبة والعدوانية، بل إنه بدا متلهفًا على الظهور بمظهر المتعاون. وفكر بوارو بأن ذلك كان غير منسجم -إلى حدٍّ ما- مع شخصيته. فلماذا يكون جو بيرتش حريصاً على مجاملة شخص غريب مزعج؟ السبب الممكن الوحيد هو أن يكون هذا الغريب قد أحضر معه رسالة من المفتش سنيس من شرطة المنطقة.

أكان جو بيرتش حريصاً -إذن- على تبيض صفحته أمام الشرطة؟ أيكون ذلك لأن وضعه لا يسمح له بانتقاد الشرطة كما فعلت زوجته؟ لعله يكون غير مرتاح الضمير. لماذا كان ذلك الضمير مؤرقاً؟ قد توجد أسباب كثيرة... ليس لأيّ منها علاقة بموت السيدة ماغتي. أيمن أن يكون غيابه عن مكان الجريمة (ووجوده في السينما وقتها) عذراً ملفقاً بطريقة ذكية ما، ويكون جو بيرتش هو الذي طرق باب السيدة ماغتي فأدخلته إلى بيتها ليقوم بضرب العجوز الغافلة؟ إن من شأنه أن يفتح الأدراج ويفتش الغرف ليعطي الانطباع بأنها حادثة سطو، وربما أخفى النقود خارج البيت بخبث ليدين جيمس بتلّي الجريمة، إذ أن المال المودع في البنك هو فعلاً ما كان يسعى إليه. مثنا جنبه تأتي لزوجته، وهو مبلغ يحتاجه حاجة ماسة لسبب غير معروف الآن. وتذكر بوارو أن سلاح الجريمة لم يُعثر عليه أبداً! لماذا لم يُعثر على السلاح أيضاً في مسرح الجريمة؟ إن أي مغفل يعرف ضرورة ارتداء قفازين ومسح آثار بصمات الأصابع. إذن لماذا

ذكر بوارو اسم السيدة سمهيز في منطفة لونغ ميدوز فقالت السيدة بيرتش: آه، نعم. كانت خالتي تذهب إليها يومين في الأسبوع. لقد رجعوا من الهند حيث كان عندهم هناك خدم كثيرون من أهل البلاد، ولم تكن السيدة سمهيز تعرف شيئاً عن شؤون البيت. وقد حاولوا أن يزرعوا جزءاً من الحديقة للأغراض التجارية، ولكنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن ذلك أيضاً. وعندما كان الأطفال يأتون إلى البيت لقصاه الإجازة كان البيت يتحول إلى فوضى عارمة. ولكن السيدة سمهيز كانت سيدة لطيفة، وقد أحببت خالتي.

وهكذا انضحت الصورة تدريجياً عن السيدة ماغتي. كانت تحوك الملابس، وتسمح أرضيات المنازل والنحاس، وتحب القطط ولكنها لا تحب الكلاب، وتحب الأطفال (ولكن ليس كثيراً)، وكانت انطوائية. وقد كانت تذهب إلى السينما أحياناً، وإن كان ذلك نادراً. ولم تكن تُقر فساد الأخلاق (وقد تركت العمل لدى فنان وزوجته عندما اكتشفت أنهما غير متزوجين بشكل سليم). لم تكن تقرأ كثيراً، ولكنها كانت تحب قراءة صحيفة يوم الأحد وتحب المجلات القديمة التي تعطيها لها السيدات اللاتي تعمل لديهن. ورغم أنها لم تكن تترانا السينما كثيراً إلا أنها كانت تحب سماع أخبار نجوم السينما. ولم تكن مهتمة بالسياسة ولكنها كانت تصوت للمحافظين كما كان يفعل زوجها دائماً. ولم تكن تنفق الكثير على شراء الملابس لأنها كانت تأخذ معظم ملابسها من سيداتها، وكانت تعيل للتوفير والادخار.

لقد كانت السيدة ماغتي -في الحقيقة- كما توقع بوارو أن تكون، وكانت يسي بيرتش كما وصفها سنيس في ملاحظاته.

الفصل السادس

في مكتب بريذر وسكانل العقاري ، وبعد شيء من الاعتراض ،
شُح ليوارو بالدخول إلى غرفة السيد سكانل نفسه .

كان السيد سكانل نشيطاً حيوياً ذا أسلوب منفتح . قال وهو يفرك
يديه : صباح الخير ، صباح الخير . ماذا بوسعنا أن نقدم لك ؟

ثم ألقى نظرة حاذقة إلى يوارو وهو يحاول تصنيفه ، كما لو
كان يدوّن سلسلة من الملاحظات الهامشية : أجنبي ، ملابس ذات
نوعية جيدة ، قد يكون غنياً . أتراه صاحب مطعم ؟ أم مدير فندق ؟ أم
يعمل في صناعة الأفلام ؟

قال يوارو : أرجو أن لا أخذ من وقتك الكثير . لقد أردت
التحدث معك بشأن موظفك السابق ، جيمس بتلي .

ارتفع حاجبا السيد سكانل المُعتران مقدار بوصة ثم انخفضا ،
وقال : " جيمس بتلي ... جيمس بتلي ؟ " . ثم سأل : أنت صحفي ؟

- لا .

- ألسنت من رجال الشرطة ؟

يُؤخذ السلاح وهو سلاح ثقيل الوزن حاد الشفرة دون شك ؟ ألا
من السهل تمييزه على أنه من أدوات بيرتش المتزلية ؟ أليكون ذلك
السلاح نفسه موجوداً هنا في المنزل الآن بعد أن تم غسله وتلميعه ؟
لقد قال الطيب الشرعي إنه شيء أشبه بساطور اللحم ... ولكن بدا
أنه لم يكن ساطوراً بالفعل . ربما كان شيئاً غريباً نوعاً ما ، شيئاً خارجاً
قليلاً عن المألوف ومن السهل تمييزه ، وقد بحث عنه رجال الشرطة
ولكنهم لم يعثروا عليه . لقد بحثوا عنه بين الأشجار وفي بُرك الماء .
لم يُفقد شيء من مطبخ السيدة ماغنتي ، ولم يكن بوسع أحد القول إن
لدى جيمس بتلي شيئاً كهذا في حوزته ، إذ لم يستطع رجال الشرطة
تتبع أي أثر لشراء جيمس بتلي ساطور لحم أو أي شيء يشبهه . نقطة
صغيرة لصالحه ، ولكنها نقطة سلبية ، وقد تجاهلواها في ضوء الأدلة
الوفيرة الأخرى . ولكنها نقطة رغم ذلك ...

ألقي يوارو نظرة سريعة على غرفة الجلوس الصغيرة المزدهمة
بالأثاث التي كان يجلس فيها . أكان السلاح هنا ، في مكان ما من هذا
البيت ؟ ألهذا السبب كان جو بيرتش مجاملاً وغير مرتاح ؟

لم يعرف يوارو جواباً لذلك . لم يكن يظن ذلك حقاً ، ولكنه
لم يكن متأكداً تماماً .

* * *

- لعلها كانت واحدة من تلك الخلافات العائلية، أليس كذلك؟ حسناً، حسناً. وبقي الشاب بتلي معدماً لا يملك شيئاً. من المؤسف أن هؤلاء الأقارب لم يتدخلوا لإنقاذه من قبل.

- لقد اتضحت لهم الحقائق مؤخراً فقط، وقد استأجروني لأتي بكل سرعة إلى هذا البلد وأقوم بكل ما يسعني عمله.

انكأ السيد سكاتل على ظهر كرسيه متخلياً عن أسلوبه العملي الرسمي وقال: لا أدري ماذا بوسعك أن تعمل. أحسب أن لديه عرق جنون! لقد تأخر الوقت قليلاً الآن عن استخدام هذا العذر، ولكن إذا استطعت إقناع أطباء كبار بالامر... أنا بالطبع لست خبيراً بمثل هذه الأمور.

انحنى بوراو إلى الأمام وقال: لقد عمل جيمس بتلي هنا يا سيدي، وبوسعك أن تحدثني عنه.

- لا أعرف عنه إلا القليل؛ فلقد كان أحد موظفينا الصغار. لا شيء ضده. بدا شاباً شريفاً تماماً وذا ضمير حي، ولكن لم تكن لديه فكرة عن فن البيع، ولم يكن بوسعه أن ينجز مشروعاً يُطلب منه. وهذا لا ينفع في مهنتنا هذه، فإذا ما جاءنا زيون يريد بيع بيت له فإن مهنتنا أن نبيعه له، وإذا ما أراد زيون آخر شراء بيت علينا أن نجد له بيتاً. وإذا كان البيت في مكان منعزل وليست له خصائص جيدة فإننا نركّز على مسألة كونه تحفة أثرية ولا نذكر شيئاً عن تمديداته الصحية! وإذا كان المنزل يُطل مباشرة على مصانع إنتاج الغاز فإننا نتحدث عن الخدمات والمرافق ولا نذكر شيئاً عن إطلالته. إن عملنا هنا هو أن ندفع زيوننا دفعاً لإمضاء الصفقة. ولدينا أنواع كثيرة من

- على الأقل... لست من شرطة هذه البلاد.

- لست من هذه البلاد؟

قام السيد سكاتل بالاحتفاظ بهذه المعلومة كمن يريد العودة لها مستقبلاً، ثم قال: ما الأمر؟

لم يكن يعيق بوراو أبداً أي احترام لحرفيات الحقيقة، فانطلق قائلاً: إنني أشرع في تحقيق جديد في قضية جيمس بتلي... بناء على طلب بعض أقربائه.

- لم أكن أعلم أن له أقارب. وعلى أية حال فقد أدين وحُكم عليه بالإعدام.

- ولكنه لم يعدم بعد.

قال السيد سكاتل: "الأمل باقٍ ما بقيت الحياة. أليس كذلك؟". ثم هز رأسه وقال: ومع ذلك فإنني أشك في الأمر؛ فقد كانت الأدلة قوية. من هم أقاربه هؤلاء؟

- أستطيع أن أخبرك فقط أنهم أغنياء وأقرباء. أغنياء جداً.

لم يملك السيد سكاتل إلا أن يخفف من غلوائه قليلاً؛ فقد كان لعبارة «أغنياء جداً» خاصية رائعة ومهدئة لنفسه، فقال: أنت تدهشني. نعم، أنت تدهشني حقاً.

أوضح بوراو قائلاً: لقد قامت والدة بتلي الراحلة بالانفصال مع ابنها عن العائلة تماماً.

ذلك بقاءه بلا عمل وقلقه وغير ذلك، أمكننا القول إن الكيل فاض
به أخيراً وخرج عن طوره.

- أكان لإنهاء خدماته سبب خاص؟

هز سكاثل رأسه بالنفي وقال: كان الموسم موسم ركود، ولم
يكن لدى الموظفين ما يعملونه، فقمنا بفصل أقلهم كفاءة، وكان هو
بنتلي، وأحسبه سيكون دوماً كذلك. وقد أعطيته رسالة ترقية جيدة،
ومع ذلك لم يحصل على عمل آخر. ليس لديه اندفاع، وهو يعطي
انطباعاً سيئاً للناس.

فكر بوارو وهو يعاقد المكتب بأن الأمور تعود دوماً إلى هذه
النقطة، وهي أن جيمس بنتلي أعطى الناس انطباعاً سيئاً عن نفسه.
واستغرق بالتفكير في العديد من القتلة الذين عرفهم ممن كان معظم
الناس يرونهم شديدي الفتنة والسخر.

* * *

- أنا أسفة، أتماع في أن أجلس لأنحدث إليك قليلاً؟

فوجئ بوارو -المستقر على طاولة في مطعم «بلوكات»- ورفع
نظره عن قائمة الأطعمة التي كان يستعرضها. كان الجو مظلماً قليلاً
في مطعم «بلوكات» المشهور بما يُعطيه من انطباع بالانتساء للعالم
القديم بنوافذه المؤطرة بخشب البلوط المُطعم بالرخاص. ولكن
المرأة التي جلست قبالة لتوها تميزت بإشراقها على تلك الخلفية
المظلمة. كان شعرها ذهبياً تماماً، وكانت ترتدي بدلة زرقاء. وفوق

الحبل الصغيرة للقيام بذلك، كأن نقول للسيدة: «نصحك بأن تقدمي
عضواً سريعاً؛ فأحد أعضاء البرلمان مهم جداً بشراء هذا البيت،
وسيائي لمعاينته مرة أخرى هذا المساء». إنهم يتخذون دوماً بذلك.
إن الإشارة لعضو برلمان تشكل نسبة جيدة دوماً، لا أدري لماذا.
مع أنك لا تجد عضو برلمان يسكن خارج دائرته الانتخابية! لعله
فقط ثقل وتأثير الاسم.

ضحك فجأة مُظهرًا طقم أسنانه اللامع وأضاف: إنه علم
النفس... هذا كل ما في الأمر. مجرد علم النفس.

التقط بوارو هذه الكلمة وقال: علم النفس، كم أنت شحوق في
ذلك. أرى أنك ذو فراسة في الرجال.

قال السيد سكاثل بتواضع: لست سيئاً في ذلك، لست سيئاً.

- ولذلك فإني أسألك مرة أخرى: ماذا كان انطباعك عن
جيمس بنتلي؟ الأمر سري بيننا فقط... أتظنه قتل العجوز؟

حذق سكاثل إليه وقال: بالطبع.

- وهل نظرت أنت أن ذلك كان تصرفاً يُحتمل أن يأتي منه...
أعني من الناحية النفسية؟

- حسناً، إن كنت ستعبر عن الأمر بهذه الطريقة... فلا، لا أظن
ذلك حقاً. لا أحسب أنه كان يمتلك الجرأة على فعل ذلك. وإذا
أردت رأيي بصراحة، فقد كان أحرق. انظر إليه هكذا يتضح لك
كل شيء. لقد كان دوماً ضعيفاً من الناحية العقلية، فإذا أضفنا إلى

ثم توقفت، فقال بوارو: نعم... الأدلة.

- لم يُبَدِّ ممكناً أن يكون أحد غيره ارتكبها. وقتلُ لعله أصيب بغليل من الجنون.

- هل سبق له أبداً أن بدا لك... غريب الأطوار مثلاً؟

- آه، لا. لم يكن غريباً بهذا المعنى. كان فقط حياً لا يُحسّن التصرف ببراعة، كما يمكن لأي شخص آخر أن يكون. والحقيقة أنه لم يقدم أفضل ما عنده، إذ لم تكن له ثقة بنفسه.

نظر بوارو إليها. كانت لديها بالتأكيد ثقة بنفسها، وربما كان لديها من الثقة ما يكفي لاثنتين. سألتها: أكان يعجبك؟

احمَرَّ وجهها خجلاً وقالت: نعم. كان يعجبني. كانت إيمي (الفتاة الأخرى في المكتب) تسخر منه وتسميه أخرق، ولكنني كنتُ أشفق عليه كثيراً. كان لطيفاً ومهدباً، وكان يعرف الكثير حقاً... وأعني بذلك كثيراً من المعلومات من قراءة الكتب.

- آه، نعم. من الكتب.

- لقد فقد والدته، وكانت مريضة لسنوات طويلة. والأخرى أنها لم تكن مريضة فعلاً، بل لم تكن قوية، وقد قام بكل شيء من أجلها.

أوماً بوارو برأسه، فقد كان يعرف ذلك النوع من الأهميات.

- وهي أيضاً كانت تعتنني به طبعاً. أعني أنها كانت تعتنني بصحته ويطعمها وغير ذلك.

ذلك انتاب بوارو شعور بأنه قد لاحظ وجودها في مكان ما قبل وقت قصير.

تابعت حديثها: لم أملك إلا الاستماع إلى شيء من حديثك مع السيد سكانل.

أوماً بوارو برأسه. كان قد أدرك أن الحواجز في مكتب بريذر وسكانل قد وُضعت لأغراض وظيفية، وليس لتأمين العزلة والسرية لكل غرفة. ولكن ذلك لم يثر قلقه وقتها، طالما أنه كان يسعى - أصلاً - للتعريف بمهمته على أوسع نطاق. قال لها: لقد كنتِ تطبعين إلى يمين النافذة الخلفية.

أومات برأسها موافقة، وابتسمت ابتسامة أبدت أسنانها اللامعة. شابة في أتم الصحة ذات جسم ممتلئ، وقدَّرَ بوارو أنها في نحو الثالثة والثلاثين من العمر، وأنها قد وُلدت أصلاً بشعر أسود، ولكنها لم تكن ممن يستسلمون لأحكام الولادة! قالت: أريد الحديث عن السيد بنتلي.

- ماذا عن السيد بنتلي؟

- هل سيستأنف الحكم؟ هل يعني ذلك وجود أدلة جديدة؟ آه، أنا سعيدة جداً. لم أستطع... لم أستطع أن أصدق أنه فعل ذلك.

ارتفع حاجبا بوارو وقال ببطء: أنت لم تري -إذن- أنه ارتكب الجريمة.

- في البداية على الأقل. ظننت في الأمر خطأ دون شك، ولكن جاءت الأدلة بعدها...

- مود ويليامز. هل يوجد ما يمكنني فعله... للمساعدة؟

- نعم، أظن ذلك. يوجد أناس -يا آنسة ويليامز- يظنون أن بنتلي بريء، وهم يعملون لإثبات تلك الحقيقة. وأنا الشخص المُكَلَّف بالتحقيق، ويوسعي أن أخبرك أنني حققت تقدماً كبيراً حتى الآن... نعم، تقدماً كبيراً.

تفوه بوارو بتلك الكذبة دون أن يرف له جفن، فقد رأى أنها كذبة ضرورية جداً؛ ففي مكان ما شخصٌ ما ينبغي أن يتم دفعه للتلملم والفلق. ستتكلم مود ويليامز، والكلام أشبه بحجر يُلقى في بركة ماء فيُطلق دوائر تتسع بآطراد. قال لها: قلت لي إنك وبنتلي كتما تتحدثان معاً، وقد حدثك عن والدته وحياته في بيته. هل ذكر أمامك أحداً كان هو أو أمه على علاقة سيئة معه؟

فكرت مود ويليامز ثم قالت: لا، ليس ما يمكن أن نُطلق عليه عبارة علاقات سيئة، ولكني فهمتُ أن والدته لم تكن تحب الفتيات كثيراً.

- إن الأمهات اللاتي يلقين تعلقاً كبيراً من أبنائهن لا يحبين الفتيات أبداً في العادة. كلا، أنا أقصد أكثر من ذلك. أعني شجاراً عائلياً، أو عداوة ما. شخصاً يحمل ضغينة؟

هزت رأسها بالنفي: لم يذكر لي شيئاً من هذا القبيل أبداً.

- هل حدثك عن صاحبة البيت، السيدة ماغنتي؟

ارتعدت مود قليلاً وقالت: لم يذكر اسمها. قال إنها كانت تُقدّم

أوماً بوارو ثم سأل: أكتما صديقين؟

- لا أدري... لم تكن كذلك تماماً. كنا نتحدث أحياناً، ولكن بعد أن ترك العمل لم يعد... لم أعد أراه كثيراً. أرسلتُ له رسالة ودية مرة ولكنه لم يجب عليها.

قال بوارو بلطف: ولكنك تحبينه؟

قالت بشيء من التحدي: نعم، أحبه.

- هذا رائع.

تذكر بوارو يوم مقابلته للشيخ الممدان. رأى جيمس بنتلي يرسم في مخيلته بوضوح: شعر بلون الفئران، وجسم نحيل غير متناسق، ويدان ذواتا سلاميات بارزة وقبضتين ضحمتين، والحنجرة البارزة في عنقه النحيف. رأى النظرة الزائغة المُحرَّجة... التي تكاد تكون ماهرة. "شاب منكم ماكر ومخادع يتكلم بطريقة سيئة يرش فيها الكلام رشاً على نحو متقطع..." كان هذا هو الانطباع الذي من شأن جيمس بنتلي أن يعطيه عن نفسه لأغلب المراقبين السطحيين. وهو الانطباع الذي أعطاه عن نفسه في قصص الاتهام؛ بأنه من ذلك النوع الذي من شأنه أن يكذب ويسرق المال ويضرب امرأة عجوزاً على رأسها.

ولكنه لم يترك ذلك الانطباع عند المفتش سبنس الذي كان يعرف الرجال. ولا عند بوارو أيضاً... والآن ها هي هذه الفتاة أيضاً.

- ما اسمك يا آنسة؟

- من هو؟ هل تعرفه؟ أليديك فكرة؟

قال بوارو كاذباً: نعم. أظن أن لدي فكرة جيدة جداً عنه، ولكننا في بداية الطريق.

نظرت الفتاة إلى ساعتها: يجب أن أعود. يُفترض أن لا نغيب عن المكتب أكثر من نصف ساعة. إن كيلشستر مكان صغير، وقد كنت أعمل دائماً في لندن فيما مضى. هل سئلبغني في حال وجود أي شيء أستطيع عمله؟ أنا جادة فعلاً.

أخرج بوارو بطاقة له وكتب عليها اسم لونغ ميدوز ورقم الهاتف، وأعطائها لها قائلاً: هذا هو المكان الذي أقم فيه.

ولاحظ بوارو -بازعاج شديد- أن اسمه لم يترك أي انطباع لديها، ولم يملك إلا أن يشعر بأن الجيل الجديد يفتقر بشدة لمعرفة الشخصيات البارزة.

* * *

استقل هيركيول بوارو الحافلة إلى بروديني وهو يشعر ببعض البهجة؛ فقد وجد -على أية حال- شخصاً واحداً يوافقه الرأي بأن جيمس بتلي بريء. لم يكن بتلي بلا أصدقاء كما جعل الناس يظنون.

عاد ذهنه -ثانية- إلى بتلي في السجن. كم كانت مقابلة مُثبِّطة، لم تتم فيها إثارة أي أمل أو تحريك أي اهتمام. كان بتلي قد قال بسم: أشكرك، ولكنني لا أظن أنه يوجد شيء يستطيع أحد عمله.

له السمك المُدخَّن... وقال مرة إنها حزنتم لأنها فقدت قطتها.

- حسناً، سأسألك سؤالاً وأرجو أن تكوني صادقة في الإجابة: هل سبق له أن ذكر لك بأنه يعرف أين كانت تحتفظ بأموالها؟

تغير لون وجه الفتاة قليلاً ولكنها رفعت رأسها بتحدٍ وقالت: نعم، لقد فعل. كنا نتحدث عن عدم ثقة الناس بالبنوك، فذكر أن صاحبة المنزل تحتفظ بأموالها تحت لوح في أرض الغرفة. وقال: "بوسعي أن أخذ منه ما أشاء عندما تكون السيدة خارج البيت". لم يقل ذلك على سبيل المزاح تماماً، بل كما لو كان قلقاً حقاً من إهمالها.

- آه، هذا جيد. أعني أنه جيد من وجهة نظري؛ فعندما يفكر جيمس بتلي بالسرقة فإنه يتخيل هذا التصرف كتصرف يُرتكب في غياب الشخص المعني. ولعله قال: "سيضربها أحدهم على رأسها يوماً ما من أجل هذا المال".

- ولكنه -في كلا الحالتين- ما كان ليقصد ذلك.

- آه، نعم. ولكن الحديث -مهما كان عرضياً ولاهياً- يكشف نوعية قائله. ليس من شأن المجرم الحكيم أن يفتح فمه أبداً، ولكن نادراً ما يتصف المجرمون بالحكمة، وهم عادة مغرورون ويثرثرون كثيراً... ولذلك يلقي القبض على معظم المجرمين.

قالت مود ويليامز فجأة: ولكن لا بد أن أحدهم قد قتل العجوز.

- بالطبع.

كان قد قال إنه متأكد من عدم وجود أعداء له، وعلّق قائلاً:
عندما لا يكاد الناس بلاحظون أنك حي تترق، فليس من المحتمل
أي يكون لك أي أعداء!

- وأمك؟ هل كان لها أعداء؟

- كلا بالتأكيد؛ كان الجميع يحبوها ويحترمونها.

- ماذا عن أصدقائك؟

وكان جيمس يتنلى قد قال وقتها: "ليس لي أي أصدقاء". ولكن
ذلك لم يكن صحيحاً تماماً؛ لأن مود ويليامز كانت صديقة.

فكر بوارو قائلاً لنفسه: "يا لها من حكمة إلهية عجيبة أن يكون
كل رجل -بالعامة ما بلغ قبحه الظاهر- موقع اختيار امرأة ما". فرغم
مظهر الأنسة ويليامز الجذاب، إلا أن بوارو حقن تخميناً ذكياً بأنها
من النوع الذي يحب حب الأم لابنها. كانت لها كل الخصائص التي
يفتقر إليها جيمس بتنلي: الحبورية، والطموح، ورفض الهزيمة،
والنصميم على النجاح.

تهند بوارو. يا لكذبات الفظيعة التي أطلقها في ذلك اليوم!
ولكن لا بأس؛ لقد كانت ضرورية. قال لنفسه وهو ينخرط في سبل
من التبريرات: ذلك لأنها توجد -في مكان ما- إبرة في القش، ومن
بين الكلاب النائمة ثمة كلب ساطعاً عليه، وعندما أرمي السهام في
الهواء سينزل واحد منها ليصيب بيتاً زجاجياً!

الفصل السابع

كان البيت الصغير الذي عاشت فيه السيدة ماغتي على بعد
خطوات من موقف الحافلات. وعلى عتبة الباب كان صبتان يلعبان،
أحدهما يأكل تفاحة تبدو وقد نخرها الدود، فيما راح الآخر يصرخ
ويضرب الباب بطبق معدني. بدا الاثنان سعيدين تماماً، وأضاف
بوارو إلى ضجيجهما ضجيجاً وضرب الباب بقوة.

نظرت من زاوية المنزل امرأة ذات شعر أشعث ترتدي سروال
عمل ملوناً وقالت: كُفّ عن ذلك يا إيرني.
قال إيرني دون توقف: لا، لن أتوقف.

ابتعد بوارو عن عتبة الباب واتجه نحو ركن المنزل. قالت له
المرأة: لا يمكنك عمل شيء مع الأطفال، أليس كذلك؟

فكر بوارو بأن بالإمكان فعل شيء، ولكنه امتنع عن قول ذلك.
وأشارت له المرأة كي يتبعها إلى الباب الخلفي قائلة: إنني أبقى الباب
الأمامي مقللاً بالمزلاج يا سيدي، تفضل بالدخول.

عبّر بوارو غرفة أطباقٍ فذرةً جداً إلى مطبخ يفوقها فذارة،
وقالت المرأة: لم تُقتل هنا، بل في الردهة.

السيدة كيدل باعتزاز: هنا كانت النقود بالبطب.

نظر يوارو حوله. من الصعب التصور أن هذا المعقل المفعم بالحوية والإنجاب العشوائي كان يوماً المملكة النظيفة لامرأة كهلة تعتر بمنزلها. هنا كانت السيدة ماغنتي تعيش وتنام!

سأل يوارو المرأة: لا أحسب أن هذا أثنائها، اليس كذلك؟

- آه، نعم؛ إنه أثنائي. لقد جاءت ابنة اختها التي تسكن كولاقون وأخذت أثنائها كله.

لم يبقَ هنا شيء من السيدة ماغنتي. لقد جاءت عائلة كيدل واحتلت المكان. كانت الحياة أقوى من الموت!

ارتفع عويل شديد لطفل من الطابق السفلي، فقالت السيدة كيدل: "لقد استيقظ الطفل". ثم أسرعت إلى الطابق السفلي وتبعها يوارو.

لم يكن في هذا البيت شيء يهيمه، ولذلك ذهب إلى البيت المجاور.

* * *

- نعم يا سيدي، أنا عثرتُ عليها.

كانت السيدة إليوت تميل للإثارة في حديثها. بيتها مرتب وصغير، ليس فيه من الإثارة إلا السيدة إليوت نفسها؛ امرأة طويلة نحيلة، سوداء الشعر، تسرد اللحظة المجيدة الوحيدة في حياتها.

رمش يوارو بعينه قليلاً من الدهشة فقالت المرأة: لهذا أنت هنا، اليس كذلك؟ أنت السيد الأجنبي القادم من بيت سمرهيز!

قال يوارو: "إذن أنت تعرفين كل شيء عني؟"، ثم أردف وقد انفرجت أساريره: نعم، هو كذلك يا سيدي...

- كيدل. زوجي يعمل في الجص، وقد انتقلنا للعيش هنا قبل أربعة أشهر، وكنا نقيم مع والدة بيرت قبل ذلك. قال بعض الناس: "لا نحسبكم تسكنون بيتاً وقعت فيه جريمة قتل بالتأكيد؟"، ولكن ما قلته أنا هو أن المنزل يبقى منزلاً، وهو أفضل من العيش في غرفة جلوس خلفية ومن التوم على أريكيتين. مُرِب هذا النقص في المساكن، اليس كذلك؟ وعلى العموم لم نواجه أي مشكلات هنا. يزعمون أن أرواح القتلى تمشي في بيوتها، ولكن هذا غير صحيح! ألحج أن ترى أين وقعت الجريمة؟

واقفها يوارو وهو يحس وكأنه سائح يسير به دليل يقوده، واقفاده السيدة كيدل إلى غرفة صغيرة يُنقلها طقم جلوس من طراز عصر جيمس الأول، وبخلاف بقية البيت، لم يظهر على الغرفة ما يشير إلى أنها كانت مأهولة أبداً. قالت السيدة كيدل: كانت ملقاة على الأرض وقد انفلقت مؤخرة رأسها، وقد خلع ذلك فؤاد السيدة إليوت؛ فهي التي عثرت عليها... هي ولازكن الذي يأتي بالخبز من الجمعية. ولكن النقود أخذت من الطابق العلوي. تعال لأريك ابن.

قادت السيدة كيدل الطريق صعوداً على الدرج إلى غرفة نوم كان فيها خزانة كبيرة ذات أدراج، وسرير نحاسي ضخم، وبعض الكراسي، ومجموعة كبيرة من ملابس الأطفال المبتلة والجافة. قالت

قاطع بوارو -بمهارة- هذا السرد الشخصي المثير: نعم، نعم، نعم، تستطيع المرأة أن يرى ذلك. متى كانت آخر مرة رأيت فيها السيدة ماغتي المسكينة؟

- لا بد أن ذلك كان في اليوم السابق، عندما خرجت إلى الحديقة الخلفية لتتفط بعض النعناع. كنت أقوم بإطعام الدجاجات.

- هل قالت لك أي شيء؟

- تحية المساء فقط، وسألتي إن كانت الدجاجات تبيض بشكل أفضل.

- وهل كانت تلك آخر مرة شاهديتها فيها؟ هل شاهديتها يوم موتها؟

قالت السيدة إليوت: "لا، ولكنني رأيته هو". ثم خفضت صوتها وأضاف: في نحو الحادية عشرة صباحاً. وكان يمشي في الطريق، ويجرد قدميه كعادته دائماً.

انتظر بوارو ولكن بدا أنها لا تملك ما تضيفه. سألتها: هل فوجئت عندما اعتقله الشرطة؟

- الحقيقة أنني فوجئت ولم أفاجأ. لقد رأيت دائماً أنه معنوه بعض الشيء، وما من شك أن هؤلاء المعنوهين يصبحون سيئين أحياناً. إن لدى خالي ولدًا ضعيف العقل، وهو يتقلب ليصبح سيئاً جداً أحياناً، ولا يعرف أحد مقدار قوته. نعم إن بنتلي هذا كان معنوهاً حقاً، وما كنتُ لأدهش إذا لم يشفقوه عندما يأتي مواعده، بل أرسلوه

- جاء لاركن الخباز وطرق الباب، ثم قال: "إنها السيدة ماغتي، لا تستعنا. لعلها تعرضت إلى سوء". وفعلاً رأيتُ أنها ربما تعرضت لسوء، فلم تكن شابة أبداً، وأنا أعرف -تمام المعرفة- أنها تعرضت لخفقان في القلب فيما مضى. ظننتُ أنها ربما أصيبت بنوبة قلبية، ولذلك أسرع، إذ لم يكن هناك غير الرجلين، وما كانا ليحبيا دخول غرفة نومها بالتأكيد.

تقبل بوارو هذه التصرف المهذب بتمتة تتم عن الرضا.

- أسرعُ بصعود الدرج، وكان هو على استراحة الدرج شاحياً شحوب الموتى. وهذا لا يعني أنني ارتببتُ به وقتها، فلم أكن أعرف ما الذي حدث بالطبع. قرعت الباب بشدة ولم يأت أي جواب، ونذلك أدت قبضة الباب ودخلت. كانت الغرفة في فوضى عارمة، وكان لوح من الأرضية مخلوفاً. قلتُ: "إنها عملية سطو. ولكن أين المسكينة نفسها؟". عندها فكرنا أن نبحث في غرفة الجلوس. وكانت هناك... ممددة على الأرض ورأسها ممشم. جريمة قتل! عرفت على الفور ما حدث... جريمة قتل! لا يمكن أن تكون أي شيء آخر. سطو وقتل! وهنا في يروديني. صرخت وصرخت! لقد سببتُ لهم مشكلة كبيرة؛ فقد أغمي عليّ تماماً، وقد تعين عليهم أن يحضروا لي شراباً منعشاً، وبقيت بعدها أرتجف لساعات وساعات، وقال لي الرقيب عندما أتى: "لا تخافي هكذا يا خالة، لا تخافي. اذهبي إلى البيت واصنعي لنفسك كوباً من الشاي". وهذا ما فعلته. وعندما جاء إليوت قال وهو يحدق إليّ: "ما الذي حدث؟"، وكنت ما أزال أرتجف. إنني حساسة منذ أن كنتُ طفلة.

شيء، ولا طرف خيط بسيط. بإمكانني أن أفهم جيداً بأس المفتش سبنس، ولكن الأمر ينبغي أن يكون مختلفاً في حالتي أنا! إن المفتش سبنس ضابط شرطة جيد ومثابر، أما أنا، فأنا هيركيول بوارو. أمامي أنا يجب أن يكون كشف!

زلق حذاءه الجلدي اللامع في مخاضة صغيرة فجفل. إنه هيركيول بوارو العظيم، الفريد، ولكنه أيضاً رجل مُسن وحذاءه ضيق.

دخل مكتب البريد. كان الجانب الأيمن مخصصاً لخدمات البريد، أما الجانب الأيسر فقد كان معرضاً لخليط من البضائع التي تشمل الحلويات، والمواد الغذائية، والألعاب، والأدوات، والقرطاسية، وبطاقات الأعياد، وصوف الحياكة، وملابس الأطفال الداخلية.

تقدم بوارو لشراء بعض الطوايع. وكانت المرأة التي تقدمت لخدمته في أواسط عمرها ذات عينين حادتين لامعتين. قال بوارو لنفسه: هنا يكمن - بلا شك - عقل قرية بروديني.

كان اسمها السيدة سويتيمان. قالت وهي تنتزع الطوايع بمهارة من دفتر ضخم: اثنا عشر بنساً أخرى، أي أن المجموع يصبح أربعة شلنات وعشرة بنسات. هل تحتاج شيئاً آخر؟

ركزت عليه نظرة دقيقة متلهفة، وظهر من خلال باب خلفها رأس فتاة تستمع بشغف. كان شعرها غير مرتب وبدا أنها تعاني من الزكام. قال بوارو بتجهم: أنا غريب في هذه المنطقة.

إلى مصحة للمعتمين عوضاً عن ذلك. انظر أين خياً النقود. لا أحد يضع نقوداً في مكان كهذا إلا إذا أراد لها أن تُكشف. مجرد شاب سخيف وساذج، هكذا كان.

تمتم بوارو قائلاً: إلا إذا أراد لها أن تُكشف... هل صدق وفقدت ساطوراً أو بلطعة؟

- لا يا سيدي لم أفقد. لقد سأنتي الشرطة نفس السؤال؛ سألوا جميع ساكني البيوت هنا. ما زال السلاح الذي قتلها به لغزاً مجهولاً.

* * *

اتجه هيركيول بوارو صوب البريد. لقد أراد القاتل للنقود أن تُكشف. ولكن لم يشأ أن يُكشف سلاح الجريمة، لأن من شأن النقود أن تشير إلى جيمس بنتلي، أما السلاح فمن شأنه أن يشير إلى... إلى من؟

هز بوارو رأسه. كان قد زار البيتين الآخرين اللذين كانا أقل حيويةً من بيت السيدة كيدل وأقل إثارة من بيت السيدة إليوت، وقد قال أصحاب البيتين إن السيدة ماغنتي كانت سيدة محترمة وكانت منطوية على نفسها، وإن لها ابنة أخت في كولافون، وإن أحداً لم يكن يأتي لزيارتها غير ابنة أختها، وإن أحداً - حسب علمهم - لم يكن يكرها أو يحمل لها ضغينة. وقد سألوا إن كانت عريضة التماس تُعدّ لصالح جيمس بنتلي، وهل سيطلب منهم توقيعها.

قال بوارو لنفسه: لم أصل إلى شيء... أي شيء. لا يوجد أي

جازف بوارو وطلب ورقة رسائل.

- بالطبع يا سيدي، هل لك أن تأتي إلى الجانب الآخر.

استدارت السيدة سويمان لتأخذ مكانها خلف الحاجز الخشبي الأيسر، ثم قالت وهي تمد يدها إلى الرف الأعلى لتجلب الورقة والمغلف: الأمر الذي يصعب تخيله هو: مَنْ عساه يكون الفاعل إن لم يكن السيد بنتلي؟ إن لدينا بعض المتشردين السيئين هنا أحياناً، ومن الممكن أن يكون أحدهم قد وجد نافذة غير محكمة الإغلاق فدخل منها. ولكنه ما كان ليذهب تاركاً النقود وراءه، أليس كذلك؟ ليس بعد ارتكابه جريمة قتل من أجلها. وهي أوراق من فئة الجنيه الواحد على أية حال، ولا يمكن أن تكون أرقامها مسجلة أو تكون مُعلّمة. تفضل يا سيدي. هذه أوراق فخمة زرقاء، وهذه مغلفات تناسيها.

دفع بوارو الثمن ثم سأله: ألم تتحدث السيدة ماغنتي أبداً عن قلقها أو خوفها من أحد؟

- لم تتحدث معي أنا بشيء كهذا، وهي لم تكن امرأة كثيرة القلق. كانت تتأخر - أحياناً - عند عائلة كاربتر في هولملي على قمة التلة، إذ غالباً ما يكون لديهم ضيوف على العشاء، فكانت تذهب في المساء لتساعد في غسل الأطباق، وكانت تهبط التلة في الظلام، وهذا أظن من أن أقوم به؛ الهبوط عن التلة في الظلام الدامس!

- هل تعرفين ابنة أختها، السيدة بيرتش؟

- معرفة عادية فقط. إنها تأتي هي وزوجها من حين لآخر.

وافقت السيدة سويمان قائلة: هذا صحيح يا سيدي. لقد جئت من لندن، أليس كذلك؟

قال بوارو بإتسامة خفيفة: أحسب أنك تعرفين عملي هنا كما أعرفه أنا تماماً.

قالت السيدة سويمان بطريقة آلية تماماً: آه، لا يا سيدي. أنا حقاً لا أعرف.

- السيدة ماغنتي.

هزت السيدة سويمان رأسها وقالت: كان هذا أمراً مؤسفاً... بل مُفجعاً.

- أحسبك كنتِ تعرفينها جيداً؟

- نعم، يمكنني القول إنني كنتُ أعرفها كما أعرف أي شخص آخر في بروديني. كانت تضي سحابة النهار معي عندما تجيء لأمر ما. نعم، كانت مأساة مريعة، ولم تنته بعد، أو هذا ما سمعت الناس يقولونه على الأقل.

- إن بعض الأوساط تشك في صواب إدانة جيمس بنتلي.

- حسناً، لن تكون هذه المرة الأولى التي يُلقي فيها الشرطة القبض على الرجل الخاطئ... رغم أنني لا أحسب أنهم أخطؤوا في هذه الحالة. وهذا لا يعني أنني كنتُ أتوقع منه مثل هذا العمل حقاً. رجلٌ من النوع الحيى المنفتح للبراعة، ولكنه ليس خطيراً، أو أن هذا ما يراه المرء. ولكن أحداً لا يستطيع الجزم. أليس كذلك؟

قالت السيدة سويتمان بزهو: أحسبها أرادت أن تكتب رسالة.

- يبدو هذا محتملاً. وهل كانت على طبيعتها تماماً وقتها؟ هل بدت مختلفة بأي شكل؟

- كـ... كلا، لا أظن ذلك.

عبرت إدنا من الباب وأسعدت إلى الركن المُستخدم كدكان واشتركت فجأة في الحديث مؤكدة: لقد كانت مختلفة؛ كانت مسرورة لأمر ما. ليست مسرورة تماماً... بل منفعلة.

قالت السيدة سويتمان: ربما كنتِ على حق، مع أنني لم ألاحظ ذلك في حينه. أما وقد ذكرت ذلك الآن، فقد تذكرت... كان بها شيء من الحيوية والنشاط.

- هل تذكرين أي شيء قالته في ذلك اليوم؟

- ما كنتُ لأذكر في الأحوال العادية. ولكن مقتلها ومجيء الشرطة وغير ذلك قد جعل الأشياء تبرز إلى ذاكرتي. لم نقل شيئاً عن جيمس بنتلي، هذا ما أنا متأكدة منه تماماً، بل تكلمت قليلاً عن عائلة كاربتير وعن السيدة أبورد... عن الأماكن التي اشتغلت بها.

- آه، نعم. كنت سأسأل من الذين اشتغلت عندهم بالضبط؟

أجابت السيدة سويتمان بسرعة: أيام الإثنين والخميس كانت تذهب إلى السيدة سمرهيز في لونغ ميدوز. هذا حيث تقيم أنت، أليس كذلك؟

تنهد بوارد وقال: بلى، فلا يوجد مكان آخر للإقامة.

- لقد ورننا بعض المال عند وفاة السيدة ماغتي.

نظرت إليه بعينها السوداوين النفاذتين بشدة وقالت: هذا أمر طبيعي تماماً، أليس كذلك يا سيدي؟ لا نستطيع أخذ المال معك، وإنه لمن الطبيعي تماماً أن يحصل عليه أقاربك الأقربون.

- آه، بلى، بلى؛ أتفق معك كلياً. أكانت السيدة ماغتي تحب ابنة أختها؟

- أظنها كانت تحبها كثيراً، على نحو هادئ.

- وكانت تحب زوج ابنة أختها؟

بدت نظرةً مراوغةً على وجه السيدة سويتمان وقالت: على ما أعلم.

- متى رأيت السيدة ماغتي آخر مرة؟

فكرت السيدة سويتمان، عائدة بذاكرتها إلى الوراء وقالت: دعني أتذكر، متى كان ذلك يا إدنا؟

نشقت إدنا وهي تقف في المدخل دون أن تجيب، ومضت السيدة سويتمان قائلة: أكان ذلك يوم موتها؟ لا، بل اليوم الذي سبقه... أو اليوم الذي سبق ذلك أيضاً؟ نعم، كان يوم الإثنين. هذا صحيح... لقد قُلت يوم الأربعاء. نعم، كان ذلك يوم الإثنين، حين جاءت لتشتري زجاجة حبر.

- زجاجة حبر؟

أعداء، وأن السيدة ماغتي بدت متفعلّة قبل يومين من موتها، وأنها اشترت زجاجة حبر.

توقف بورو متجمداً في مكانه. أكانت تلك حقيقة، حقيقة صغيرة حصل عليها أخيراً؟ كان قد سأل -دون اهتمام- عما يمكن أن يدفع السيدة ماغتي لشراء زجاجة حبر، وكانت السيدة سويتيمان قد أجابت بشكل جاد تماماً بأنها تفترض أن السيدة ماغتي أرادت أن تكتب رسالة.

كانت في هذه النقطة أهمية... أهمية كادت تفوته، لأن كتابة رسالة بالنسبة له (كما هي بالنسبة لمعظم الناس) إنما هي حدث يومي اعتيادي. ولكنها لم تكن كذلك بالنسبة للسيدة ماغتي. كانت كتابة رسالة -بالنسبة للسيدة ماغتي- حدثاً غير عادي بحيث أنها تضطر للخروج وشراء زجاجة حبر إن هي أرادت فعل ذلك.

إذن فإن السيدة ماغتي لم تكذب رسائل أبداً، وقد كانت السيدة سويتيمان (وهي مأمورة البريد) مدركة تماماً لهذه الحقيقة. ولكن السيدة ماغتي كتبت رسالة قبل يومين من وفاتها، فلمن كتبت تلك الرسالة؟ ولماذا؟

قد تكون النقطة غير مهمة أبداً، فلعلها كتبت الرسالة لابنة أختها أو لصديقة غائبة. من السخف أن نضع كل هذه الأهمية على أمر بسيط مثل زجاجة حبر. ولكن هذا هو كل ما استطاع الحصول عليه، وهو عازم على متابعته.

زجاجة حبر...

* * *

- نعم، لا يوجد في بروديني نفسها مكان آخر. أظن أنك نست مرتاحاً تماماً في لونغ ميدوز، أليس كذلك؟ إن السيدة سمريز سيدة لظفة ولكنها لا تعرف أبسط الأشياء عن شؤون المنزل. هؤلاء السيدات القادمات من بلاد أجنبية لا يعرفن هذه الأمور! وأنت تجد هناك دوماً فوضى مريعة بحاجة إلى ترتيب وتنظيف، أو هذا ما كانت تقوله السيدة ماغتي. نعم، كانت تعمل مساء كل ثلاثاء وصباح كل خميس عند السيدة سمريز، وصباح كل ثلاثاء عند الدكتور رندل، وبعد الظهر لدى لسيدة أبورد في منزلها المدعو ليرنامز، أما الأربعاء فكانت للسيدة وذري في هنتركلوز وأيام الجمعة للسيدة سيلكيرك... وهي الآن السيدة كاربتر. إن السيدة أبورد سيدة كهلة تقطن مع ابنتها، ولديها خادمة ولكنها متقدمة في السن، وقد اعتادت السيدة ماغتي أن تذهب مرة في الأسبوع لتقوم بتنظيف شامل للبيت. أما السيدة والسيدة وذري فيبدو أنهما لا يحتفظان بأية خادمة طويلاً، والسيدة وذري مقعدة بعض الشيء. السيد والسيدة كاربتر لديهما بيت جميل ويستضيفان الكثير من الناس... إن هؤلاء الناس لطفاء جميعهم.

ومع آخر تصريح عن سكان بروديني خرج بورو إلى الشارع مرة أخرى، ومشبطاً إلى أعلى الثلثة باتجاه لونغ ميدوز. كان يأمل أن تكون محتويات عربة الفاصولية المنتفضة والفاصولية التي تلوئت بالدم قد أكلت على الغداء، ولم يُحتفظ بشيء منها لإقامة مأدبة عشاء له. ولكن يمكن أن تكون هناك علب أخرى مشكوك بها. إن للحياة في لونغ ميدوز مخاطرها بالتأكيد!

لقد كان -على العموم- يوماً مخيباً للأمال. فما الذي علمه؟ علم أن ليمس بنتلي صديقة، وأنه ليس له ولا للسيدة ماغتي أي

إننا نسكن في منطقة واحدة، ولذلك فالمكالمة لا تكلف سوى بنسين، وفي مكتب البريد في برويني هاتف عمومي.

أوماً بوارو برأسه، فقد قدّر حقيقة أن بنسين أفضل من بنسين ونصف، وكان قد تمكن من تكوين صورة عن السيدة ماغتي كسيدة من النوع المقتصد الموفّر. رأى أنها كانت مفرمة جداً بالمال.

ولكنه تابع إصراره برفق: ولكن أحسب أن عمثك كانت تراسلك في بعض الأحيان، أليس كذلك؟

- كنا تبادل البطاقات في الأعياد.

- وربما كان لها أصدقاء في أجزاء أخرى من إنكلترا كانت تراسلهم؟

- لا علم لي بذلك. كانت عندها أخت زوجها، ولكنها توفيت منذ ستينين، وامرأة تدعى السيدة بيردليب، ولكنها متوفاة أيضاً.

- فلو كتبت إذن لأحد، لكان ذلك -على الأرجح- رداً على رسالة تلقيتها؟

مرة أخرى بدت بيسي بيرتش مرتابة بذلك وقالت: "لا أعلم من يمكنه أن يرأسها". ثم أردفت وقد تهلّل وجهها: باستثناء معاملات الحكومة بالطبع!

وافق بوارو على أن المراسلات القادمة في هذه الأيام مما أسمته بيسي -تعميماً- «الحكومة» كانت هي القاعدة وليس الاستثناء.

الفصل الثامن

- رسالة؟

هزت بيسي بيرتش رأسها بالنفي وأضافت: لا، لم أتلقَ أية رسالة من خالتي. وعن ماذا عساها تكتب لي؟

اقترح بوارو قائلاً: ربما كان لديها شيء رغبت بقوله لك.

- لم تكن خالتي تنقن الكتابة كثيراً. لقد كانت تقترّب من السبعين، وفي صباحها لم تكن الفتيات يتلقين قسطاً وافراً من التعليم.

- ولكنها كانت تستطيع القراءة والكتابة، أليس كذلك؟

- بالطبع. ولكنها لم تكن تميل كثيراً للقراءة، رغم أنها كانت تحب قراءة صحيفة الصندي كوميت. ولكن الكتابة تكون أصعب دائماً، ولو كان لديها شيء أرادت أن تخبرني به، كتأجيل موعد زيارتي لها أو لتخبرني بأنها لا تستطيع زيارتي، فإنها كانت تتصل عادة بالسيد بنسون، الصيدلي الذي يسكن في البيت المجاور لنا، ويقوم هو بإيصال الرسالة لي. وهو رجل بالغ اللطف في هذا الأمر.

بأن أخذها إلى سوق الخرداوات قبل عيد الميلاد، ولكنني نسيت، ولم يبد لي لانقاً أن أخذها لأولئك المتاجرين بالثياب المستعملة.

- إنني لأتساءل... هل بإمكانني رؤية محتويات تلك الحقيقية؟

- على الرحب والسعة بالتأكيد. رغم أنني لا أحسب أنك ستجد ما يساعدك؛ فقد قام الشرطة بذلك من قبل.

- أعلم هذا، ولكن مع ذلك...

قاده السيدة بيرتش بخفة إلى غرفة نوم خلفية صغيرة لاحظت بوارو أنها تُستخدم -بشكل رئيس- لخياطة الملابس البيتية. سحبت حقيبة من تحت السرير وقالت: حسناً، هاك الحقيقية، وأرجو أن تعذرني ولكن علي أن أهتم بالعلماء.

عذرها بوارو بامتنان، وعاد لسمع صوت خطواتها الثقيلة في الطابق الأسفل. سحب الحقيبة نحوه وقام بفتحها. وهبت رائحة الفتالين من الحقيبة لتحييه. وأخرج المحتويات وقد تملكه شعورٌ من الشفقة، فقد كانت قصيحة في تعبيرها عن امرأة ماتت.

كان في الحقيبة معطفٌ أسود طويل لحقه البلي، وسترتان من الصوف، وتنورة، وجوارب (لم يجد ملابس داخلية، على الأغلب أن يبسي بيرتش قد أخذتها لاستخدامها)، وزوجان من الأحذية ملفوفان بصحيفة، وفرشاة ومشط كلاهما عتيق ولكنه نظيف، ومراة قديمة ذات خلفية فضية وتقرقر يشوه الصورة فيها، وصورة داخل إطار جلدي لعروسين يرتديان ثياباً تعود في طرازها لثلاثين سنة خلعت

قالت السيدة بيرتش: وعادة ما يكون معظمها سخيفاً: استمارات للتعبة، وكثير من الأسئلة الوقحة التي يجب أن لا تُطرح على أي إنسان محترم.

- إذن ربما كانت السيدة ماغتي قد تلقت بعض الرسائل الحكومية التي اضطرت للرد عليها؟

- لو كان ذلك صحيحاً لأحضرت الرسالة إلى جو ليساعدها بها. هذه الأشياء كانت تربكها وكانت دائماً تحضرها لجو.

- هل تذكرين وجود أية رسائل بين ممتلكاتها الخاصة.

- لا يمكنني الجزم بدقة. لا أذكر شيئاً، ولكن رغم ذلك فإن الشرطة قد وضعوا أيديهم على كل شيء في البداية، وقد مر وقت طويل قبل أن يأذنوا لي بحزم أشياءها وأخذها معي.

- وماذا حدث لهذه الأشياء؟

- ذلك الصندوق الذي تراه هناك لها، وهو مصنوع من خشب الماهوغاني القوي الجيد، وتوجد أيضاً خزانة في الطابق العلوي، بالإضافة إلى بعض أجهزة المطبخ الجيدة. أما بقية الأشياء فقد قمنا ببيعها لعدم وجود متسع لها.

- قصدتُ أشياءها الخاصة؛ كالفراشي والأمشاط والصور، وأدوات الزينة، والملابس...

- آه، هذه الأشياء! سأكون صادقة معك؛ لقد وضعتها في حقيبة ولا زالت في الطابق العلوي. لم أعرف ماذا أفعل بها، فكرت

نزع الصحيفة عن زوج الأحذية الآخر، ومسد الصحيفة
ثم أخذهما إلى كرسي حيث جلس وشرع في قراءتهما. واكتشف
شيئاً على الفور؛ فعلى إحدى صفحات الصندي كوميت كان شيء
مقصوف. كانت قصاصة مستطيلة منزوعة من الصفحة الوسطى،
وكانت المساحة أكبر بكثير من أن تناسب أيّاً من القصاصات التي
وجدتها!

تفحص كلا الصحفيتين ولكن لم يجد ما يشير للاهتمام، فقام
بلفهما حول الأحذية مرة أخرى وحزم الحقيبة بشكل مرتب، ثم نزل
إلى الطابق الأرضي.

كانت السيدة بيرتس مشغولة في المطبخ. قالت: لا أظنك
وجدت شيئاً؟

قال بوارو: "نعم، لم أجد شيئاً للأسف". ثم أضاف بأسلوب
عرضي غير مكثرت: أتذكرين إن كانت في محفظة خالتك أو حقيبة
يدها قصاصة من صحيفة؟

- لا أذكر وجود أية قصاصة. لعل الشرطة أخذوها.

ولكن الشرطة لم يأخذوها. كان بوارو يعرف ذلك من دراسته
لملاحظات سبنس؛ فقد دُوّنت محتويات حقيبة المرأة المتوفاة في
قائمة، ولم تكن بينها قصاصة صحيفة.

قال بوارو مخاطباً نفسه: حسناً، الخطوة التالية سهلة. إما أن
ينتهي الأمر بفشل ذريع... أو أنني -أخيراً- أحرز تقدماً.

* * *

(ويُفترض أن تكون للسيدة ماغنتي وزوجها)، ويطاقتان بريدتان
على شكل صورتين لمدينة مارغيت، وكتبٌ من خزف، وقصاصة
من صحيفة لوصفةٍ لصنع مُربي الخضار، وقصاصة أخرى تتناول
موضوع «الصحون الطائرة» بطريقة مثيرة.

لم يكن هنا حقائب يد أو قفازات. يُفترض أن تكون بيسي
بيرتس قد أخذت هذه الأشياء أو أعطتها لأحد ما. وختمن بوارو
أن الملابس الموجودة هنا أصغر من أن تناسب بيسي ذات الجسم
المنمى؛ لقد كانت السيدة ماغنتي امرأة نحيلة وصغيرة الحجم.

نزع بوارو الصحيفة عن أحد زوجي الأحذية. كان الحذاء ذا
نوعية جيدة ولم يكن بالياً كثيراً، وكان -بالتأكيد- أصغر من قياس
قدم بيسي بيرتس. وكان على وشك أن يعيد لف الحذاء مرة أخرى
عندما لفت نظره عنوانٌ على قصاصة الصحيفة.

كانت صحيفة صندي كوميت، وكان التاريخ هو التاسع عشر
من شهر تشرين ثاني (نوفمبر)، ولقد قُتلَت السيدة ماغنتي في الثاني
والعشرين من ذلك الشهر!

هذه -إذن- الصحيفة التي اشترتها يوم الأحد الذي سبق وفاتها.
وكانت ملقاة في غرفتها، وقد استخدمتها بيسي بيرتس قديماً بعد لتلف
بها بعض أغراض خالتها.

الأحد ١٩ تشرين ثاني. ويوم الإثنين ذهبت السيدة ماغنتي إلى
مكتب البريد لشراء زوجة من الحبر... أيمن أن يكون ذلك بسبب
شيء رآته في صحيفة يوم الأحد؟

رمش بوارو بعينه، واستعد ليقرأ بدقة متناهية النثر الرومانسي الذي يروي قصة حياة هولاء البطالات الغائبات غير الواضحات.

كان يذكر اسم إيفا كين؟ ذلك لأن قضية كريغ كانت مشهورة جداً. كان ألفرد كريغ موظف البلدية في بارمينستر، وكان رجلاً ضليل الجسم حتى الضمير، عادياً لا يوجد ما يميزه، دقيقاً ولطيفاً في سلوكه. وكان من سوء حظّه أن تزوج امرأة مُتعبّة مزاجية، وقد جعلته زوجته يغرق في الديون وجعلت حياته جحيماً، وكانت تعاني من أمراض عصبية وصفها أصدقاؤه عيشاً بأنها كانت مُتخيلة كلها. وكانت إيفا كين مربية الأطفال الشابة في البيت. كانت في التاسعة عشرة من عمرها، جميلة، بسيطة، مغلوقة على أمرها. وقعت في حب السيد كريغ وبادلها الحب. وبعدها، وفي أحد الأيام، سمع الجيران بأن السيدة كريغ قد نُصحت بالسفر إلى الخارج من أجل صحتها. كانت تلك هي قصة كريغ، وقد أخذها إلى لندن في المرحلة الأولى من الرحلة بسيارة في وقت متأخر من أحد الأمسيات، وقام «بتوديعها» إلى جنوب فرنسا، ومن ثم عاد أدراجه إلى بارمينستر، وكان يشيع -بين فترة وأخرى- كيف كانت صحة زوجته تتدهور حسباً كانت تذكر في رسائلها. وبقيت إيفا كين لتدبر له أمور المنزل، وسرعان ما بدأت الألسن تتحدث. وفي النهاية، تلقى كريغ خيراً يفيد بأن زوجته توفيت في الخارج، فسافر لمدة أسبوع ثم عاد بخبر عن الجنازة.

كان كريغ رجلاً بسيطاً من بعض الجوانب، فقد ارتكب خطأ إذ ذكر المكان الذي توفيت فيه زوجته، وهو منتج معروف -نوعاً ما- في الريفييرا الفرنسية. وبذلك لم يعد الأمر يتطلب إلا أن يقوم

جلس بوارو جامداً تماماً والملفات المعبرة للصحيفة أمامه، وقال لنفسه إن إدراكه لأهمية زجاجة الحبر لم يذهب عبثاً.

كانت صحيفة الصندي كوميت تميل لسرد قصص رومانسية لأحداث خلت. كان العدد الذي ينظر إليه بوارو من صحيفة صندي كوميت عدده يوم الأحد ١٩ تشرين ثاني (نوفمبر)، وفي أعلى الصفحة الوسطى كانت هذه الكلمات مطبوعة بخط كبير: النساء من ضحايا المآسي القديمة... أين هولاء النساء الآن؟

وتحت هذا العنوان وُضعت أربع صور غير واضحة أبداً، أُخِذت منذ سنوات عديدة كما هو واضح.

ثم تبدت صانحات الصور مأساويات الشكل، بل ظهرن -في الواقع- سخيفات إلى حد ما، ذلك أنهن كن يرتدين جميعاً ملابس ذات طراز قديم، ولا شيء يبدو أسخف من طرازات الأمس... رغم أنها قد تستعيد سحرها بعد مضي ثلاثين سنة أخرى!

كان تحت كل صورة اسم.

إيفا كين - «المرأة الأخرى» في قضية كريغ الشهيرة.

جانيس كورتلاند، «الزوجة المأساوية» التي كان زوجها شيطاناً على هيئة إنسان.

ليبي غامبول الصغيرة، طفلة مأساوية من نتاج عصرنا المزدحم.

فيرا بليك، الزوجة الغافلة لقاتل.

أين هولاء النساء الآن؟

الصغر- وضاعة ودناءة الإنسان. أين هي الآن؟ أتراها في إحدى مدن الغرب الأوسط، امرأة كهلة، هادئة مُحترمة من قِبَل جيرانها، وفي عينيها سحابة حزن؟ وهل تأتي إليها شابة سعيدة مرحة (لعل لها أطفالاً) لتزور «ماما»، وتروي لها مصاعب ومشكلات الحياة اليومية دون أن يكون لديها أدنى علم عما كابدهته أمها من أيام الماضي؟

ردّد هيركيول بوارو مع نفسه: "آه، لا، لا!". ثم انتقل إلى الضحية المأساوية التالية:

لقد كانت جاينس كورتلاند (الزوجة المأساوية) سيئة الحظ مع زوجها بالتأكيد؛ فقد عانت لثمانتي سنوات من تصرفاته الغريبة التي أشارت لها الصحيفة بطريقة خفية تثير الفضول فوراً. ثماني سنوات من التضحية، كما أكدت الصندي كوميت. وبعد ذلك وجدت جاينس صديقاً، شاباً مثالياً متفانياً، دُعر إذ رأى -بالمصادفة- مشادة بين الزوج والزوجة فقام بمهاجمة الزوج بقوة كبيرة جداً لدرجة أن جمجمة الزوج تهشمت على الحافة الرخامية الحادة للموقد. وقد وجدت هيئة المحلفين أن ما تعرض له الشاب من استفزاز كان شديداً، وأن المثالي الشاب لم يكن ينوي القتل، وحُكم عليه بالسجن خمس سنوات بتهمة القتل غير العمد.

وقد أفرغت جاينس المتألّمة الضحّة والفضيحة التي أحدثتها القضية، فرحلت إلى الخارج «لتنسى». وتساءلت الصندي كوميت: هل استطاعت النسيان؟ نأمل ذلك. ربما كانت هناك

أحدهم (من له قريب أو صديق يعيش هناك) بكتابة رسالة لذلك القريب أو الصديق، بحيث يكشف عدم وجود وفاة أو جنازة لشخص بهذا الاسم، ثم يقوم -بعد فترة من الشائعات البشعة- بالاتصال بالشرطة.

أما الأحداث اللاحقة فيمكن تلخيصها: لم تذهب السيدة كريغ إلى الريفييرا، فقد تم تقطيعها إلى قطع صغيرة ودفنها في قبر المنزل، وأظهر تشريح البقايا بأنها قد سُمتت عن طريق فلوليات نباتية. تم القبض على كريغ وتقديمه للمحاكمة. أما إيفا كين فقد اتهمت في البداية بالتواطؤ كشريكة له، ولكن تم إسقاط التهمة لأنه ظهر جلياً بأنها كانت طوال الوقت جاهلة تماماً بما حدث. وفي النهاية أدلى كريغ باعتراف كامل ومن ثم حوكم وأُعدم.

وغادرت إيفا كين (التي كانت تنتظر طفلاً) مدينة بارمينستر. وقد مضت صحيفة صندي كوميت لتقول:

أقرباء طيبون في العالم الجديد قدموا لها المأوى. وبعد أن غيّرت اسمها، قامت الفتاة المسكينة -التي أغواها في شبابها الساذج مجرّم عاب- بمغادرة تلك الشواطئ إلى الأبد، لتبدأ حياة جديدة ولنخفي عن ابنتها اسم أبيها وتقبه في قلبها إلى الأبد.

ستكبر ابنتي سعيدة بريئة، ولن تُطْلَع حياتها نسوة الماضي. هذا ما أقسمت عليه، وسأحفظ بذكورياتي المأساوية لنفسي.

يا لإيفا كين المسكينة الساذجة! وقد عرفت -منذ

تهاجم عمته بساطور اللحم وتوجه لها ضربة قوية بحيث تقتلها لا يمكن أن تكون طفلة لطيفة. كانت عواطفه في هذه القضية مع العمّة.

انتقل إلى فيرا بليك.

بدا واضحاً أن فيرا بليك كانت واحدة من أولئك النساء اللاتي يعاكسن الحظ دائماً؛ ففي البداية اتخذت لها صديقاً تبين أنه من رجال العصابات يسمى القانون في أثره لقتله حارس بنك، ومن ثم تزوجت تاجرأ محترماً تبين -فيما بعد- أنه كان يشتري بضائع مسروقة. وبالمثل فإن طفليها لفتا فيما بعد أنظار الشرطة إليهما؛ فقد كانا يذهبان مع أمهما إلى المحلات التجارية الكبرى فيسرقان منها البضائع. ولكن ظهر في نهاية المطاف «رجل صالح» على الساحة، وقدم لفيرا التعمّة بيتاً في إحدى المستعمرات، وغادرت مع طفليها هذا البلد المُنهك.

ومنذ ذلك الحين كانت بانتظارهم حياة جديدة. وأخيراً -وبعد سنوات طويلة من صعقات الحياة المتكررة- انتهت متاعب فيرا.

قال يوارو مشككاً: أشك في ذلك؛ فمن المرجح كثيراً أن تكتشف أنها قد تزوجت مخادعاً أفاكاً يمارس الأعاجيب.

استند يوارو إلى مسند كرسيه وتفحص الصور الأربع. إيفا كين ذات القبعة الضخمة والشعر المموج الأشعث المتدلي على أذنيها، وهي تمسك بياقة أزهار تقربها إلى أذنيها وكأنها سماعة

-في مكان ما- زوجة وأم سعيدة تبدو لها الآن تلك السنوات من الكوايس والمعاناة التي تحملتها أشبه بحلم.

قال يوارو: «حسناً، حسناً». ثم انتقل إلى ليبي كامبول، الطفلة المأساوية من نتاج عصرنا المزدحم.

وقد بدا أن ليبي كامبول كانت قد نُقلت من بيتها المزدحم، فقامت برعايتها عمّة لها. رغبت ليبي أن تذهب إلى السينما، ولكن العمّة قالت لها: «لا»، فالتفتت ليبي بساطور اللحم المُلقى على الطاولة في تناول اليد وعاجلت عمته بضربة به، ورغم أن العمّة كانت استبدادية إلا أنها كانت صغيرة الحجم ضعيفة، فقتلتها الضربة. لقد كانت ليبي كاملة النمو قوية البنية بالنسبة لسنها الذي لم يتجاوز الثانية عشرة. وقد فتحت دأراً للأحداث أبوابها لتختفي فيها ليبي من الحياة العمّة.

ولكنها الآن امرأة، وقد عادت حرة لتأخذ مكاناً لها في حياتنا، ويقال إن سنوكها خلال فترة الاحتجاز والمراقبة كان مثالياً. ألا يشت ذلك بأن علينا أن نلقي اللوم على النظام وليس على الطفلة؟ لقد كانت ليبي الصغيرة (التي تربت في بيئة جاهلة) ضحية بيتتها.

والآن وقد كُفرت عن زنتها المأساوية، نأمل أنها تعيش في مكان ما مواطنة سعيدة، وزوجة وأماً صالحة. يا لئلمسكينة الصغيرة ليبي كامبول!

هز يوارو رأسه عجباً، إذ كان يرى أن طفلة في الثانية عشرة

هورسفول إلا في اليوم التالي. ولم تستطع الأنسة هورسفول أن تعطيه الكثير من وقتها، إذ أوضحت أن عليها أن تسرع إلى شيفيلد.

كانت الأنسة هورسفول طويلةً رجولية المظهر، ولم يكن من شأن الذي يراها أن يتصور أن يكون قلمها هو الذي خط تلك العواطف الساذجة المبتذلة في الصندي كوميت. إلا أن ذلك كان صحيحاً.

قالت الأنسة هورسفول لبوارو بصبر نافذ: هيا، قل ما عندك؟ فقلتي أن أذهب.

- الأمر يتعلق بمقالك في تشرين الثاني الماضي. تلك السلسلة حول النساء المأساويات.

- آه، تلك السلسلة. إنها مُقرقة جداً، أليس كذلك؟

لم يعط بوارو رأيه حول هذه النقطة، بل قال: أنا أشير -بشكل خاص- إلى تلك المقالة التي نُشرت في التاسع عشر من تشرين ثاني حول «نساء ارتبطن بجرائم». وقد تناولت إيفا كين، وفيرا بليك، وجانيس كورتلاند، وليلي غامبول.

ابتسمت الأنسة هورسفول وقالت: "أين هؤلاء المأساويات الآن؟" ... نعم، أذكر ذلك.

- أحسب أنك تتلقين أحياناً رسائل بعد ظهور هذه المقالات، أليس كذلك؟

- آه، بالتأكيد! إذ يبدو أن بعض الناس لا يفعلون شيئاً سوى

هاتف. وجانيس كورتلاند التي ترتدي قبعة تتدلى إلى أذنيها وحرماً يلتف حول ردفها. أما ليلى كامبول فقد بدت طفلة دميمة يعطي فيها المفتوح انطباعاً بإصابتها بالجيوب وتضع نظارات سميقة. أما فيرا بليك فكانت صورتها بالأبيض والأسود غائمة إلى حدٍّ لا تظهر معه أيٌّ من قسماتها.

ولسبب ما، قامت السيدة ماغتي ينزع كل هذه المقالة والصور وكل شيء. لماذا؟ لمجرد الاحتفاظ بها لأن القصص أثارت اهتمامها؟ لم يظن بوارو ذلك، فقليلة جداً هي الأشياء التي احتفظت بها السيدة ماغتي طوال السنوات التي تزيد عن الستين من حياتها. كان بوارو يعرف ذلك من تقارير الشرطة عن مقتناتها.

لقد نزعَت هذه المقالة يوم الأحد، وفي اليوم التالي قامت بشراء زجاجة من الحبر، والاستنتاج هو أنها -وهي التي لم تكتب رسالة قط- كانت على وشك أن تكتب رسالة. فلو كانت تلك رسالة تخص أموراً عملية لغامت -على الأغلب- بطلب المساعدة من جو بيرتش. ولذلك فإن تلك رسالة لم تكن تتعلق بأمور عملية. لقد كانت... ماذا؟

استعرضت عينا بوارو الصور مرة أخرى. لقد تساءلت جريدة الصندي كوميت: "أين هؤلاء النسوة الآن؟" ... وخطر لبوارو أن واحدة منهن ربما كانت في بروديني في تشرين الثاني الماضي!

* * *

لم يستطع بوارو تأمين مقابلة شخصية خاصة مع الأنسة بامبلا

- لست متأكدة. ولكن الاسم... إنه اسم مضحك، أليس كذلك؟ ماغتي! نعم، كانت كتابتها فظيعة، وأمية تماماً. لو أنني أدركت فقط... ولكني متأكدة أن الرسالة جاءت من برودوي.

- أنت نفسك تقولين إن كتابتها كانت سيئة، ويمكن لبرودوي وبروديني، أن تبدوا متشابهتين.

- نعم... يمكن أن يكون الأمر كذلك؛ إذ لا يُحتمل -في نهاية الأمر- أن يعرف المرء تلك الأسماء الريفية الغريبة. ماغتي... نعم أذكر ذلك. ربما ساعدت الجريمة في بقاء الاسم عالقاً في ذهني.

- هل يمكنك تذكّر ما قالت في رسالتها؟

- شيئاً ما عن صورة. قالت إنها تعرف مكان صورة مثل تلك التي نشرت في الصحيفة. وسألت إن كنا مستعدين أن ندفع شيئاً مقابل هذه المعلومة، وكم ندفع؟

- وهل أجبت على الرسالة؟

- يا سيدي العزيز، إننا لا نريد شيئاً من هذا القبيل. أرسلنا لها الإجابة المتعارف عليها: اعتذاراً مؤدباً ليس أكثر. ولكن بما أننا أرسلنا الجواب إلى برودوي، فلا أحسب أنه وصلها أبداً.

- كانت تعرف مكان وجود صورة...

عادت إلى ذهن بوارو ذكري سابقة. صوت مورين سمرهيز اللامبالي وهو يقول: "كانت بالطبع فضولية قليلاً".

كتابة الرسائل، فهذا "شاهد المجرم كريغ يمشي في الشارع"، وتلك تؤذ لو تخبرني "بفصحة حياتها الأكثر مأساوية من أي شيء يمكنني تخيله".

- هل تلقيت رسالة بعد ظهور تلك المقالة من امرأة تدعى السيدة ماغتي من منطقة بروديني؟

- يا سيدي العزيز، كيف لي أن أعرف ذلك بريك؟ إنني أتلقى أكراماً من الرسائل. كيف يمكنني أن أتذكر اسماً بعينه؟

- ظننت أنك ربما تذكرين، لأن السيدة ماغتي قُتلت بعد ذلك بأيام قليلة.

نسيت الأنسة هورسفول نفاذ صبرها للذهاب إلى شيفيلد وجلست على كرسي وقالت: أما وقد ذكرت ذلك، فانتظر. ماغتي... أنا أذكر الاسم. صُربت على رأسها من قبل المُستأجر. ليست بالجريمة المثيرة من وجهة نظر الرأي العام. أتقول إن المرأة كتبت لي؟

- أحسبها كتبت لجريدة الصندي كوميت.

- نفس الشيء، فستصل الرسالة لي. ومع وقوع جريمة القتل... ويظهر اسمها في الصحف... يجب أن أتذكر بالتأكيد.

توقفت الأنسة هورسفول لبرهة ثم تابعت: اسمع، لم تكن الرسالة من بروديني، بل كانت من برودوي.

- إذن فأنت تذكرين؟

فلماذا عانت بصمت لثماني سنوات مع رجل سادي؟ لأنه كان يتقلب في الثروة، ولم يكن حبيبها الرومانسي يملك شيئاً من هذا.

- والطفلة المأساوية، ليلي غامبول؟

- ما كنت لأحب أن تلعب تلك الفتاة حولي ومعها ساطور.

نقر بوارو بأصابعه وقال: لقد غادرن البلد وذهبن إلى العالم الجديد، إلى الخارج، إلى المستعمرات... ليبدأن حياة جديدة" على حد تعبيرك. ولكن ليس لدينا ما يشير إلى عدم عودتهن إلى البلد مرة أخرى، أليس كذلك؟

وافقته الأنسة هورسفول قائلة: بلى، بالتأكيد. والأن... يجب فعلاً أن أسرع بالخروج.

* * *

في وقت لاحق من تلك الليلة اتصل بوارو بالمفتش سينس الذي يادره قائلاً: لقد كنت أتساءل عما جرى معك يا بوارو، هل توصلت إلى شيء؟ أي شيء؟

قال بوارو متجهماً: لقد أجريت تحرياتني.

- وماذا وجدت؟

- نتيجة هذه التحريات هي ما يلي: إن جميع الناس الذين يعيشون في برودبني لطفاه جداً.

كانت السيدة ماغنثي تحشر أنفها. كانت شريفة نزيهة، ولكنها كانت تحب أن تعرف الأمور. وكان الناس يحتفظون بأشياء... أشياء سخيفة لا معنى لها من الماضي، يحتفظون بها لأسباب عاطفية، أو أنهم يفتقلون عنها فقط ولا يذكرون وجودها. وقد رأت السيدة ماغنثي صورة قديمة، وفيما بعد تعرفت عليها عندما أعيد نشرها في الصندي كومبت. وقد تساءلت عما إذا كان في الأمر مال تجنيه.

نهض بوارو بخفة قائلاً: شكراً لك أنسة هورسفول. أرجو أن تعذرني، ولكن هل كانت تلك الملاحظات عن القضايا التي كتبت عنها دقيقة؟ فقد لاحظتُ -مثلاً- أنك قد أخطأت في تحديد الأنسة التي تمت فيها محاكمة كريغ، فقد كانت عملياً بعد سنة من التاريخ الذي ذكرته. وفي قضية كورتلاند كان اسم الزوج -فيما أذكر هيربرت وليس هوبرت. وقد عاشت عمه ليلي غامبول في كينغشمير وليس في بيركشير.

أوضحت الأنسة هورسفول بيدها وقالت: يا سيدي العزيز! لا جدوى من الدقة. لقد كان الأمر برمته مجرد خلطة رومانسية من البداية حتى النهاية. لقد درستُ الحقائق قليلاً، ثم شططت بها عنياً.

- ما أحاول قوله هو أن شخصيات بطلانك ربما لم تكن كما وصفتها تماماً.

أصدرت بامبلا صوت صهيل كصوت حصان: بالطبع لم تكن كذلك. فماذا تحسب أنت؟ أنا لا أشك بأن إيفا كين كانت سيئة بكل معنى الكلمة، لا مجرد فتاة بريئة مجروحة. أما بالنسبة لكورتلاند،

- ماذا تقصد بذلك سيد يوارو؟

- آه، يا صديقي، فكر. «أناس لطفاء جداً»، وقد سبق لهذا

أن كان دافعاً للقتل!

الفصل التاسع

تمتم يوارو مع نفسه وهو يستدير ليدخل بوابة كروشوير قرب المحطة: جميعهم لطفاء جداً!

أظهرت لافتة نحاسية مثبتة قرب الباب أن الدكتور ريندل يسكن في ذلك المكان. كان الدكتور ريندل رجلاً ضخماً مرحاً في الأربعين من عمره، وقد رُحِبَ بضيفه بحفاوة خاصة فائلاً: لقد تشرفت قريتنا الصغيرة الهادئة بوجود هيركيول يوارو العظيم.

رد يوارو وقد طُرب لهذا المديح: آه، أوقد سمعتم بي إذن؟

- بالطبع سمعنا بك، ومن لم يسمع عنك؟

كان من شأن الإجابة على هذا السؤال أن تكون مدمرة لاحترام يوارو لنفسه، ولذا اكتفى بالقول بأدب: من حسن حظي أنني وجدتك في البيت.

لم يكن ذلك من باب الحظ تحديداً، بل كان -على العكس من ذلك- توقيتاً حاذقاً، ولكن الدكتور ريندل أجاب بمرح: نعم. لقد أمسكت بي بصعوبة؟ فلم يبقَ على موعد الالتحاق بالعبادة سوى ريع

أحضر كأسين وجلس بجانب بورو ثم تابع قائلاً: لقد اعتادت أن تأتي مرة في الأسبوع لتقوم بأعمال تنظيف إضافية. لديّ مدبرة منزل جيدة جداً، بل ممتازة. ولكن مدبرة منزلي، السيدة سكوت، لا تستطيع تلميع النحاسيات ومسح أرضية المطبخ لأنها تجد صعوبة في الانحناء على ركبتيها، وقد كانت السيدة ماغتي عاملة ممتازة.

- أنتظن أنها كانت صادقة؟

- صادقة؟ هذا سؤال غريب. لا أحسبني أستطيع الجزم؛ فلم أجد فرصة لمعرفة ذلك. لقد كانت صادقة تماماً وفق ما أعلمه.

- إذن فأنت تظن أنها إذا ما أدلت بقولٍ لأحد، فإن قولها يرجح أن يكون صحيحاً؟

بدا الدكتور ريندل مضطرباً قليلاً وقال: آه، ما كنتُ لأذهب إلى هذا الحد؛ فأنا لا أعرف عنها -حقاً- سوى القليل. بإمكانني أن أسأل السيدة سكوت، فمن شأنها أن تعرف أفضل مني.

- لا، لا. من الأفضل أن لا تفعل ذلك.

قال الدكتور ريندل بمودة: أنت تثير فضولي، فما هو ذلك الشيء الذي كانت تدور وتحدث به؟ أهو شيء شهيري قليلاً؟ أعني: أهو قذف أو تشهير بالآخرين.

اكتفى بورو بهز رأسه بالنفي، ثم قال: أنت تدرك أن الأمر كله سري للغاية في الوقت الحاضر؛ فأنا ما زلت في بداية تحقيقاتي.

فقال الدكتور ريندل بشيء من الجفاء: سيتعين عليك أن تسرع قليلاً، أليس كذلك؟

ساعة. والآن: ماذا بوسعي أن أفعل لك؟ إن الفضول ينهشني لمعرفة ما تفعله هنا. أهي راحة استجمامية؟ أم أن بين ظهرائنا جريمة؟

- يمكنك قول ذلك، ولكن بصيغة الماضي وليس الحاضر.

- الماضي؟ لا أذكر...

- السيدة ماغتي.

- بالطبع، بالطبع، كدت أن أنسى. ولكن لا تقل لي إنك مهتم بذلك... بعد مرور كل هذا الوقت؟

- سوف أبوح لك بسر: لقد قامت هيئة الدفاع باستخدامي لظهور دليل جديد يُمكننا من تقديم استئناف.

قال الدكتور ريندل بحدة: ولكن أي دليل جديد يمكن أن يكون قد ظهر؟!

- هذا -للأسف- ما لا يمكن أن أبوح به.

- آه. تماماً. أرجو أن تعذرني.

- ولكنني صادفتُ أموراً معينة يمكن القول إنها... غريبة جداً. كيف يمكنني أن أعبر عن ذلك؟ أأقول إنها أمور شديدة الدلالة؟ وقد جنتك -يا دكتور- ريندل لأنني أعرف أن السيدة ماغتي كانت تعمل هنا أحياناً.

آه، نعم، نعم، كانت تعمل هنا. هل لك بشرب شيء؟ شدي؟ أم عصير؟ هل تفضل العصير؟ حسناً، وأنا كذلك.

رد بوارو دون حماسه زانده: بلي.

بدا الدكتور ريندل مسروراً، وقال: يا له من نُزُل! إن تلك الشابة لا تعرف شيئاً عن إدارة فندق أو نُزُل. لقد عاشت في الهند طوال حياتها الزوجية والخدم يطوفون حولها من كل جانب. أرأهن على أنك غير مرتاح، فلا أحد يمكث فترة طويلة هناك. أما المسكين سمرهيز فإنه لن يجني شيئاً من محاولته الانكباب على زراعة حديقته بالخضار بقصد تسويقها. إنه رجل لطيف، ولكن لا فكرة لديه عن الحياة التجارية، وعلى المرء أن يُثقف فهم الحياة التجارية إذا ما أراد أن ينجح. ومع ذلك فأنا أحب عائلة سمرهيز؛ فالزوجة سيدة رائعة، ورغم أن الزوج ذو طبع حاد ويميل إلى المزاجية إلا أنه واحد من الحرس القديم؛ إنسان ممتاز تماماً. ليتك كنت تعرف الكولونيل العجوز سمرهيز، فقد كان عنيف الطبع شديد الفخر بنفسه.

- أهو والد الميجر سمرهيز؟

- نعم. لم تملك العائلة الكثير من المال عندما مات الأب، وقد عانى أفرادها -بالطبع- من تكاليف الوفاة، ولكنهم كانوا مصرّين على البقاء في القرية. ولا يعرف المرء هل يعجب بهم أم ينعهم «بالحمقى السفهاء».

نظر الدكتور ريندل إلى ساعته، فقال بوارو: يجب أن لا أؤخرك.

- ما زالت أمامي بضع دقائق، كما أنني أود أن تقابل زوجتي. لا أعرف أين هي، لقد اهتمتُ شديد الاهتمام عندما علمتُ أنك

- أنت على حق، فالوقت المتاح لي قصير.

- إنك تثير دهشتي. لقد كنا هنا متأكدين جميعاً من أن بنتلي هو الذي فعل ذلك، ولم يبد في ذلك أي شك.

- لقد بدت جريمةً فذرة عادية ليس فيها الكثير من الإثارة. أهذا ما تريد قوله؟

- نعم، نعم، هذا يُجمل الموضوع بشكل حسن.

- أكنت تعرف جيمس بنتلي؟

- لقد جاء لمرجعني طبيباً مرة أو مرتين، وكان قلقاً بشأن صحته. يُخيّل إليّ أن أمه بالغة في حمايته. كثيراً ما يصادف المرء مثل هذه الأمور، ولدينا حالة مشابهة هنا.

- آه، حقاً؟

- نعم. السيدة أبورد، لورا أبورد. إنها شغوفة بابنها روبين إلى حدٍ سخيف، وتبقيه مرتبطاً بها دائماً. إنه شاب ذكي، وإن لم يكن بذلك الذكاء الذي يراه في نفسه (وهذا الكلام بيننا بالطبع). ولكنه -مع ذلك- موهوب بالتأكيد. إن روبين هذا كاتب مسرحي واعد.

- هل يعيشون هنا منذ مدة طويلة؟

- منذ ثلاث سنوات أو أربع. لا أحد يسكن في بروديني منذ مدة طويلة؛ فالقرية الأصلية كانت مجموعة من البيوت الصغيرة تتجمع حول لونغ ميدوز. لقد فهمتُ أنك تنزل هناك، أليس كذلك؟

سافرت هي أرملة غنية وتزوجت برجل آخر.

- لم تذكر الصندي كوميث ذلك. هل تذكر بمن تزوجت؟

هز ريندل رأسه بالنفي وقال: لا أظنني سمعت اسم زوجها أبداً، ولكن أحدهم أخبرني بأنها نجحت وازدهرت أيما ازدهار.

قال بوارو متأملاً: لقد تساءل المرء -وهو يقرأ تلك المقالة- عن أماكن أولئك النساء الأربع؟

- أعرف. ربما كان المرء قد صادف إحداهن في حفلة في الأسبوع الماضي. أراهن أنهن يخفين جميعاً ماضيهن بشكل جيد، وما كان المرء ليعرف -قطعاً- أياً منهن من تلك الصور؛ فقد ظهرن فيها دميمات تماماً.

دقت الساعة فنهض بوارو قائلاً: علي أن لا أؤخرك أكثر من ذلك، لقد كنت بالغ اللطف معي.

- أخشى أنني لم أساعدك كثيراً. إن الرجل العادي لا يكاد يعرف كيف تبدو عاملة التنظيف التي تعمل عنده. ولكن انتظر لحظة، يجب أن تقابل زوجتي، وإلا فإنها لن تغفر لي أبداً.

تقدم ريندل ضيقه إلى القاعة منادياً بصوت عالٍ: شيلا... شيلا...

جاء رد خافت من الطابق العلوي، فقال: انزلي إلي هنا؛ عندي لك شيء.

جئت إلى الفرية؛ فكلانا مهتم جداً بالجرائم ونقرأ كثيراً عن هذا الأمر.

سأل بوارو مبتسماً: عن علم الجريمة، أم القصص، أم صحيفة الصندي كوميث؟
- الثلاثة معاً.

- هل تنازل إلى مستوى الصندي كوميث؟

رد ريندل ضاحكاً: وما طعم يوم الأحد من دونها؟

- لقد نشروا بعض المقالات المثيرة للاهتمام منذ خمسة أشهر. كانت إحداهن -تحديداً- تتحدث عن نساء كن متورطات في جرائم قتل وعن مآسي حياتهن.

- نعم، أذكر تلك المقالة التي تتحدث عنها، رغم الكثير من السخف الذي ورد فيها.

- آه، أنتظن ذلك؟

- أنا -بالطبع- لم أعلم بقضية كريغ إلا من خلال قراءتي عنها، ولكن في واحدة من القضايا الأخرى (هي قضية كورتلاند) أستطيع أن أؤكد لك بأن تلك المرأة لم تكن بالبريئة العائرة الحظ، بل كانت شريرة تماماً. أعرف ذلك لأن عمأ لي كان يشرف على علاج الزوج. صحيح أن الزوج لم يكن بالرجل الصالح، ولكن زوجته لم تكن أفضل منه. لقد سيطرت على ذلك الشاب اليافع وأوغوته لارتكاب الجريمة، ومن ثم دخل هو السجن بتهمة القتل غير المتعمد، فيما

سأل بوارو الشابة الأجنبية التي فتحت الباب عن السيدة ويذري. حدثت الشابة إليه ثم قالت: لا أعلم، أرجو أن تدخل. لعلها الأنسة هندرسن؟

تركته واقفاً في القاعة التي كانت «كاملة الفرش» بلغة مكاتب العقارات وبها كثير من التحف من مختلف أنحاء العالم، ولم يبدُ فيها شيءٌ حسن التنظيف. وسرعان ما ظهرت الفتاة الأجنبية مرة أخرى قائلة: أرجو أن تدخل.

ثم أدخلته إلى غرفة صغيرة باردة فيها مكتبٌ كبير. وكان على رف الموقد إبريق قهوة نحاسي كبير يوحي شكله بالشر، وله فوهة كبيرة معقوفة مثل أنف ضخمة معقوفة.

فُتح الباب خلف بوارو ودخلت فتاة إلى الغرفة، ثم قالت: إن أمي تأخذ قسطاً من الراحة، هل بوسعي عمل شيء لك؟

- آنت الأنسة ويذري؟

- بل هندرسن. السيد ويذري هو زوج أمي.

كانت فتاة لا جمال فيها، في العقد الثالث من عمرها، ذات جسم ضخم مرتبك التقسيم وعينين محترستين.

- كنتُ أود أن أسمع ما يمكنك قوله لي عن السيدة ماغتي التي اعتادت أن تعمل هنا.

حدثت الأنسة هندرسن إليه وقالت: السيدة ماغتي؟ ولكنها ميتة.

نزلت امرأة نحيلة شاحبة ذات شعر جميل تركض على الدرج.

- أقدم لك السيد هيركيول بوارو يا شيلا. ما رأيك بهذا؟

- آه!

بدا وكأن السيدة ريندل قد صُغت بحيث خانها الكلام، وحدثت عنها الزرقاوان الشاحبتان إلى بوارو بشيء من الخوف. قال بوارو منحنياً بطريقته الأجنبية: سيدتي.

قالت شيلا ريندل: لقد سمعنا أنك هنا، ولكن لم نعلم...

وقطعت جمعتها قبل أن تكملها، ثم تحولت عنها الفاتحتان بسرعة إلى وجه زوجها. فقال بوارو لنفسه: "لا بد أنها تتلقى توقيت غرينتش من زوجها". ثم تكلم ببعض عبارات المجاملة واستأذن خارجاً.

بقي لديه انطباع عن الدكتور ريندل كرجل ودود، وعن السيدة ريندل كامرأة مربوطة اللسان خائفة. هذا ما يتعلق بعائلة ريندل، حيث كانت السيدة ماغتي تعمل صباح كل خميس.

* * *

كانت بناية هتر عبارة عن منزل بُني على الطراز الفكتوري متصل بشارع طويل مهلهل تنامت عليه الأعشاب، ولم يكن في الأصل يُعتبر منزلاً كبيراً، ولكنه أصبح الآن منزلاً واسعاً بحيث يتسع لعائلة.

- حسناً... بدايةً، ما هو رأيك فيها؟

- آه، لا رأي لي تحديداً. كانت مثل أي شخص آخر.

- ثرثرة أم قليلة الكلام؟ فضولية أم متحفظة؟ بشوشة أم نكدة؟
امرأة لطيفة أم غير لطيفة؟

فكرت الأنسة هندرسن ثم قالت: كانت تعمل جيداً، ولكنها
كانت تتكلم كثيراً، وكانت تقول أشياء غريبة أحياناً. لم أكن أحبها
كثيراً في الحقيقة.

فُتح الباب وقالت الخادمة الأجنبية: أنسة ديردرا، تقول أنك
إن بإمكانك أن تحضره.

- أتريد أُمي أن اصطحب السيد إليها في الطابق العلوي؟

- نعم، رجاءً.

نظرت ديردرا هندرسن إلى بوارو بارتياح وقالت: هل تود
الصعود إلى أُمي؟

- بالتأكيد.

اصطحبته ديردرا عبر القاعة ثم صعوداً على الدرج، وما لبثت
أن قالت دون مناسية: إن المرء ليسأم كثيراً من الأجانب.

وبما أنه كان واضحاً أنها تفكر في خادماتها الأجنبية وليس في
زائرهما، فإن بوارو لم يشعر بإهانة. ففكر بأن ديردرا تبدو شابة بسيطة
جداً... بسيطة لدرجة تفتقر فيها إلى اللباقة.

رد بوارو بلطف: أعرف ذلك، ومع ذلك أود أن أعرف
عنها.

- آه، أُمي أجل التأمين أو ما يشبه هذا؟

- ليس بشأن التأمين، ولكنها مسألة دليل جديد.

- دليل جديد. أتفصّد... موتها؟

- لقد كلفني محامو الدفاع بأن أجري تحقيقاً لصالح جيمس
بتنلي.

سألته وهي تحدق إليه: ولكن ألم يكن هو مرتكب الجريمة؟

- لقد رأيت هيئة المحلفين ذلك، ولكن المعروف عن هيئة
المحلفين أنها ترتكب الأخطاء.

- إذن فإن مَنْ قتلها كان في الحقيقة شخصاً آخر؟

- ربما كان الأمر كذلك.

سألت فجأة: مَنْ؟

رد بوارو برفق: ذلك هو السؤال.

- إنني لا أفهم شيئاً.

- حقاً؟ ولكن يمكنك أن تخبريني شيئاً عن السيدة ماغنيتي،
أليس كذلك؟

قالت بشيء من التردد: أظن ذلك. ما الذي تريد معرفته؟

أغلقت السيدة ويذري عينها وارتجفت قائلة: لا تذكرني بذلك. لقد كان الأمر كله فظيماً، ولقد بقيت عصبية المزاج لعدة أسابيع بعد الحادث. يا للعجز المسكينة! ولكن من الغياب الشديد أن تحتفظ بمالها تحت الأرض، فقد كان عليها أن تودعه في البنك. إنني أذكر ذلك كله بالطبع... ولكني نسبت اسمها فقط.

قالت ديردرا ببلاهة: إنه يريد أن يعرف عنها شيئاً.

- أرجو أن تجلس يا سيد بوارو، إن الفضول يقتلني. لقد اتصلت السيدة ريندل لتوها وقالت إن لدينا هنا عالم جريمة مشهوراً جداً، وقامت بوصفك. وبعد ذلك، عندما جاءت فريدا الغيبة ووصفت زائراً جاءنا كنت على ثقة بأنك أنت، وأرسلت في طلبك. والآن قل لي: ما هذا الأمر كله؟

- الأمر كما تقول ابتكت. أريد أن أعرف أشياء عن السيدة ماغتي. لقد عملت هنا، وهممت أنها كانت تأتي أيام الأربعاء. وقد كان موتها يوم الأربعاء. إذن فقد كانت هنا في ذلك اليوم، أليس كذلك؟

- أظن ذلك. بلى، أظن ذلك. لا أستطيع الجزم الآن؛ فقد مر زمن طويل.

- نعم، مرّت عدة أشهر. ألم تقل شيئاً في ذلك اليوم... أي شيء خاص؟

قالت السيدة ويذري باستياء: أفراد تلك الطبقة من الناس عادة ما يتحدثون كثيراً، والمرء لا يصغي حقاً لكل ما يقولونه. وعلى أية

كانت الغرفة في الطابق العلوي مليئة بالتحف الرخيصة. كانت غرفة امرأة سافرت كثيراً وحرصت على أن تأخذ تذكراً من كل مكان تذهب إليه، وبدا واضحاً أن معظم هذه الهدايا التذكارية قد صُنعت من أجل إمتاع السياح واستغلالهم. كان في الغرفة الكثير من الأرائك والطاولات والكراسي، والكثير من الأقمشة والسائر، والقليل من الهواء... ووسط ذلك كله كانت السيدة ويذري.

بدأت السيدة ويذري امرأة صغيرة الجسم... امرأة صغيرة الجسم مثيرة للشفقة في غرفة ضخمة. كان ذلك هو الانطباع السائد، ولكنها لم تكن -حفاً- صغيرة الجسم بقدر ما اختارت أن تبدو. إن ذلك النمط من النساء اللاتي لا يفتأن يقطن: "أنا المسكينة الصغيرة" يمكن أن يُحققن ما يردنه بنجاح، حتى وإن كنّ متوسطات الطول.

كانت مستلقية بكل ارتياح على إحدى الأرائك، وبالقرب منها كتب وبعض أشغال الحياكة وكأس من عصير البرتقال وصندوق من الشكولاتة. قالت: اغفر لي عدم نهوضي؛ فالطبيب يصرّ على استراحتي كل يوم، والجميع يعنونني إذا لم أفعل ما يُطلب مني.

اتحنى بوارو متمتماً بالنتيجة المناسبة، وقالت ديردرا المُعاندة من خلفه: إنه يريد أن يعرف شيئاً عن السيدة ماغتي.

تصلب وجه السيدة ويذري وقالت وهي تطلق ضحكة خفيفة: كم أنت سخيفة يا عزيزتي ديردرا! من هي السيدة ماغتي؟

- آه، ماما... أنت تذكرينها دون شك؛ فلقد كانت تعمل لدينا. تلك التي قُتلت.

تهتدت أمها قائلة: يا عزيزتي، لا تثيري اشمئزازي. تعرفين كم أكره التفكير بأشياء كهذه. آه، رأسي!

التفتت الفتاة إلى بوارو بعنف وقالت: يجب أن لا تستمر في ذلك. إنه سيء بالنسبة لها؛ فهي حساسة جداً، بل إنها لا تستطيع قراءة القصص البوليسية.

قال بوارو وهو ينهض: اعتذر عن ذلك. لدي ميرر واحد، وهو أن رجلاً سيشتق في غضون ثلاثة أسابيع. فإن لم يكن هو الفاعل...

رفعت السيدة ويذربي نفسها متكئة على مرفقها وصاحت بصوت حاد عالٍ: هو الفاعل بالطبع، هو الذي فعل ذلك بالطبع.

هز بوارو رأسه قائلاً: "أنا لست متأكد تماماً من ذلك". ثم غادر الغرفة بسرعة. وبينما كان ينزل الدرج لحقت به الفتاة، ووصلت إليه وهو في الصلاة فسألته: ماذا تصدق؟

- أفصد ما قلته يا آنسة.

قالت: "نعم، ولكن..."، ثم سكتت، ولم يقل بوارو شيئاً.

قالت ديردرا هندرسن ببطء: لقد أزعجت أُمِّي؛ فهي تكره مثل هذه الأشياء... السرقات وجرائم القتل والعنف.

- لا بد - إذن - أنها شعرت بصدمة كبيرة عندما قُتلت امرأة كانت تعمل لديها.

- نعم، نعم، كانت صدمة بالفعل.

حال ما كان لها أن تعرف بأنها سُتسرق وتُقتل في تلك الليلة، أليس كذلك؟

- يوجد ما يُدعى السبب والنتيجة.

قطبت السيدة ويذربي جبينها قائلة: لا أفهم ما تقصد.

- ربما كنتُ أنا الآخر لا أفهم... حتى الآن. إن المرء يسعى في الظلمة حتى يصل إلى النور. هل أنتم مشتركون بصحيف يوم الأحد يا سيده ويذربي؟

فحنت عينيها الزرقاوين على اتساعهما وقالت: نعم، بالطبع. لدينا صحيفتنا الأوبزيرفر والصندي تايمز. لماذا؟

- كنت أتساءل. لقد اعتادت السيدة ماغتي قراءة الصندي كوميت.

توقف قليلاً، ولكن أحداً لم يقل شيئاً. تهتدت السيدة ويذربي وكادت تغمض عينيها، ثم قالت: كان ذلك كله مزعجاً جداً، ذلك المُستأجر الفظيخ لديها. لا أحسب حقاً أنه كان سليم العقل، ويبدو أنه كان متفقاً بشكل جيد أيضاً، مما يجعل الأمر أسوأ، أليس كذلك؟

- هل يجعله أسوأ حقاً؟

- نعم، بالتأكيد. يا لها من جريمة وحشية! ساطور لحم!

- ولكن الشرطة لم يجدوا السلاح أبداً.

نصف مفتوح. درج مليء بمختلف الأشياء: مغرز دبابيس حجري، ومروحة يدوية مكسورة، ومغلاة قهوة فضية، ومجلات قديمة. كان الدرج مليئاً إلى حدٍّ يصعب معه إغلاقه.

استأنف قائلاً بلطف: يعيشون في الماضي ويحتفظون بأشياء. أشياء تذكّرهم بالأيام الخوالي... صور أصدقاء مضوا، بل حتى قوائم الطعام وبرامج المسرح، ذلك أن النظر إلى تلك الأشياء يعيد الذكريات إلى الحياة.

- أظن أن ذلك هو السبب. أنا -شخصياً- لا أستطيع فهم ذلك، وأنا لا أحتفظ بشيء البتة.

- لأنك تنظرين إلى الأمام، لا إلى الخلف.

قالت ديردرا ببطء: لا أدري إن كنتُ أنظر بأي اتجاه... أعني أن اليوم الحاضر يكفي، اليس كذلك؟

فُتح الباب الأمامي ودخل الصالّة رجلٌ كهل طويل عريض، وعندما رأى يوارو توقف جامداً. نظر إلى ديردرا وقد ارتفع حاجباه استفسهاً، فقالت: أقدم لك زوج أُمي. ولكنني... ولكنني لا أعرف اسمك؟

قال يوارو بذلك الارتباك المعتاد لمن يُعلن اسماً ملوكياً: أنا هيركيول يوارو.

لم يبدُ على السيد ويذري التأثر، واكتفى بالقول: "آه"، ثم استدار ليُعلّق معطفه.

- هل هدّتها تلك الصدمة؟

- لم تشأ سماع شيء عن الموضوع. إنني... أو إننا... نحاول أن... أن نوفر عليها سماع الأمور. سماع الأمور الوحشية.

- وماذا عن الحرب؟

- لحسن الحظ لم تسقط أية قنابل بالقرب من هنا.

- ماذا كان دورك في الحرب يا آنسة؟

- آه، لقد عملت في فرقة المساعدة التطوعية في كيلشستر، وعملت سائفة أيضاً في الخدمات التطوعية. ما كان بإمكانني أن أغادر البيت بالطبع؛ فقد كانت أُمي بحاجة إلي، وقد كانت أصلاً تقلق كثيراً لوجودي خارج المنزل. كان الأمر كله صعباً جداً. وأيضاً مسألة الخدم... ومن الطبيعي أن أُمي لم تقم أبداً بأية أعمال منزلية؛ فهي ليست على تلك الدرجة من القوة، وكان من الصعب جداً الحصول على خدم. ولهذا فقد كانت السيدة ماغنتي نعمة كبرى، وعندها بدأت تأتي إلينا. كانت عاملة ممتازة، ولكن ما من شيء يبقى كما كان في أي مكان.

- وهل تهتمين لذلك كثيراً يا آنسة؟

قالت وقد بدت مدهوشة: أنا؟ آه، لا. ولكن الأمر مختلف بالنسبة لأُمي... إنها تعيش في الماضي كثيراً.

قال يوارو: "بعض الناس يعيشون في الماضي". واستعادت مخيّلته صورة الغرفة التي كان فيها منذ برهة. كان هناك دُرُجٌ مكتبٌ

قالت ديردرا: لقد جاء يسأل عن السيدة ماغتي.

بقي السيد ويذري جامداً للحظة، ثم أكمل تسوية معطفه على المشجب وقال: يبدو لي ذلك غريباً بعض الشيء. لقد لاقت المرأة حنفاً منذ أشهر، ورغم أنها عملت هنا، إلا أننا لا نملك معلومات عنها أو عن عائلتها، ولو كانت لدينا معلومات لكننا قد أعطيناها للشرطة أصلاً.

الفصل العاشر

كان في نبرته ما يوحي بحسم الحديث. نظر إلى ساعته وقال: أحسب أن الغداء سيكون جاهزاً خلال ربع ساعة.

- أخشى أن يتأخر قليلاً اليوم.
ارتفع حاجبا السيد ويذري مرة أخرى وقال: أحقاً؟ وهل لي أن أسأل عن السبب؟
- كانت فريدا مشغولة جداً.

- يا عزيزتي ديردرا، إنني أكره أن أذكرك... ولكن مهمة إدارة المنزل تقع على عاتقك أنت، ويهمني أن أجد مزيداً من الدقة.

فتح بوارو الباب الأمامي وخرج، ثم التفت ليلقي نظرة. رأى كراهية مباشرة في نظرة السيد ويذري لابنة زوجته، وشيناً أشبه بالكراهية في عيني ديردرا وهما تبادلانه النظر.

* * *

أجل بوارو زيارته الثالثة إلى ما بعد الغداء. وكان الغداء مؤلفاً من حساء ذيل الثور الذي لم يكتمل نضجه، وبطاطا مائعة، وطبق كانت مورين تأمل أن يأخذ شكل فطيرة. كان غداء غريباً جداً.

صعد بوارو التلة ماشياً ببطء. إن من شأنه أن يصل بعد قليل إلى ليرنامز، وهو بيت صغير نتج عن دمج بيتين اثنين وجرى له تحسين بحيث يوائم الذوق الحديث. هنا تعيش السيدة أبورد وذلك الكاتب المسرحي الواعد روبن أبورد.

توقف بوارو لحظة عند البوابة ليمسّد شاربيه. وبينما كان يفعل ذلك، جاءت سيارة تتمايل ببطء في انحدارها على التلة، وإذا بلبّب تفاعاً موجّه بقوة يصيبه على خده. أطلق بوارو صرخة احتجاج وقد جفل، فتوقفت السيارة وخرج رأس من النافذة: أسفة جداً، هل أصبتك؟

توقف بوارو وهو يهم بالإجابة. نظر إلى الوجه الذي يوحي بشيء من التبل، وإلى الحاجب الضخم، وإلى موجات الشعر الأشيب غير المرتب، وتحرك داخله شريط من الذكريات (وقد ساعد

قالت السيدة أوليفر وهي تومئ برأسها: هناك، إذا ما كان هذا هو البيت المُسقى ليبرنامز. قيل لي إنه في منتصف الطريق على الثلثة إلى اليسار. نعم، لا بد أنه هو. ولكن كيف هي مضيفتي؟

- ألا تعرفينها؟

- نعم، لا أعرفها؛ فقد جئت إلى هنا في أمر يخص عملي. إذ يتم تحويل إحدى قصصي إلى مسرحية... على يد روبن أبورد. ويُفترض أن نتعاون معاً للقيام بذلك.

- تهانئ يا سيدتي.

- ليس الأمر كما تظن أبداً؛ فهو لا يبدو أن يكون عذاباً بحثاً حتى الآن. لا أعرف لماذا سمحت لنفسني بالتورط في ذلك. إن قصصي تُدرّ ما يكفي من المال... رغم أن مضاضي الدماء من الناشرين يأخذون معظم هذا المال، وإذا ما ربحتُ أكثر فإنهم يأخذون أكثر، ولذلك فإنني لا أرهق نفسي كثيراً! ولكنك لا تعرف مقدار الألم الذي تحسّه عندما يأخذون شخصياتك ويجعلونها تقول أشياء ما كانت لتفتوّه بها أبداً، وتفعل أشياء ما كانت لتفعلها أبداً. وإذا ما حاولت الاحتجاج، فإن كل ما تتلقاه هو قولهم إن ذلك من ضرورات «المسرح الجيد». هذا كل ما يفكر به روبن أبورد. يقول الجميع إنه ذكي جداً، فإذا كان ذكياً لهذه الدرجة، فلا أدري لماذا لا يؤلف مسرحية خاصة به ويترك شخصية ذلك الفنلندي المسكين وشأنها. بل إنه لم يعد فنلندياً، إذ أصبح عضواً في حركة المقاومة النرويجية!

لث التفاحة أيضاً ذكرتّه). هتف قائلاً: أهذه أنتِ، السيدة أوليفر؟ كانت هي كاتبة القصص البوليسية الشهيرة بالفعل. هتفت قائلة: آه، السيد بوارو!، ثم حاولت أن تخلص نفسها وتخرج من السيارة. كانت السيارة صغيرة، وكانت السيدة أوليفر امرأة ضخمة. وأسرع بوارو لمساعدتها.

تمتت شارحة: لقد تصلب جسمي بعد هذه السفرة الطويلة. ثم خرجت إلى الطريق مثل بركان الانفجر. فقد خرجت بخروجها كميات هائلة من التفاح وتدرجت بشكل مضحك إلى أسفل الثلثة.

قالت السيدة أوليفر شارحة: لقد انشقّ الكيس. ثم قامت بنفض بقايا تفاح مقضوم عن صدرها، وهزّت جسمها مثل كلب ضخم. أما التفاحة الأخيرة، المختبئة في ثنايا جسمها، فقد لحقت بأحواثها.

قالت السيدة أوليفر: من المؤسف أن ينشقّ الكيس، فقد كان التفاح من نوع كوكس الفاخر. على أي حال، أحسب أنه يوجد الكثير من التفاح هنا في الريف، أليس كذلك؟ أم أن الموسم قد انتهى؟ أنا أجد الأمور غريبة جداً هذه الأيام. حسناً، كيف حالك يا سيد بوارو؟ لا أحسبت تعيش هنا، أليس كذلك؟ بلى، أنا متأكد أنك لا تعيش هنا. آأقول إن في الأمر جريمة قتل إذن؟ أمل أن لا تكون القتيلة مضيفتي.

- ومن هي مضيفتك؟

قريباً بهوية الفاعل. أحسبه شخصاً يسكن هنا! أعطني يوماً أو يومين
أبحث فيهما وسأضع يدي على القاتل. إن ما تحتاجه هو حدس
المرأة. لقد كنتُ على حق تماماً في قضية شايانا، أليس كذلك؟

ولكن شهامة بوارو منعته من أن يُذكرها بالتغيرات السريعة
لشكوكها في تلك القضية.

قالت السيدة أوليفر بلطف: يا لكم معشر الرجال! لو كانت
امرأة هي التي تتراأس سكوتلانديارد...

تركت ذلك الموضوع المطروق كثيراً مُعلّقاً عندما حياهما
صوت من باب البيت. نادى الصوت بنغمة لطيفة مرحة: مرحباً،
أأنت السيدة أوليفر؟

ردت السيدة أوليفر منادية: "ها أنذا". ثم تمتعت قائلة لبوارو:
لا تقلق، سأكون متكتمة.

- لا، لا يا سيدتي. لا أريدك أن تكوني متكتمة، بل على
العكس من ذلك تماماً.

جاء روبن أبورد نازلاً الممشى وعَبَّرَ البوابة. كان مكشوف
الرأس يلبس بنظالاً رمادياً قديماً جداً ومعتقفاً مهترناً، ولولا ميله
للبدانة لكان وسيم الشكل.

هتف قائلاً وهو يصفح السيدة أوليفر: "أربادني، سيدتي
العزيزة". ثم ابتعد قليلاً وهو يقول: عزيزتي، لقد خطرت لي فكرة
رائعة جداً للفصل الثاني.

مررت أصابعها خلال شعرها وأضافت: ما الذي فعلته
بقبعتي؟

نظر بوارو إلى داخل السيارة وقال: أحسب - يا سيدتي - أنك
كنتِ جالسة عليها.

قالت السيدة أوليفر وهي تنظر إلى حظام القبة: "يبدو أنني
صنعت ذلك بالفعل". ثم تابعت بمرح: حسناً، لم أكن أحبها كثيراً.
ولكن قل شيئاً عن جريمة القتل، أو كائناتنا ما كان نوعها. هل تذكر
جريمتنا؟

- أذكرها جيداً.

- كانت متعة حقاً، أليس كذلك؟ لا أعني الجريمة بحد ذاتها...
فلم تعجبني تلك الجريمة أبداً. ولكن المتعة كانت فيما حدث بعد
ذلك. من هي الضحية هذه المرة؟

- ليست الضحية بمثل غرابة وحيوية السيد شايانا. إنها خادمة
كهلة سُرقَت وقتلت قبل خمسة أشهر. لعلك قرأت عن ذلك. السيدة
ماغتتي. وقد أُدين شابٌ وحُكم عليه بالإعدام.

قالت السيدة أوليفر بسرعة: وهو لم يفعل ذلك، ولكنك تعرف
الفاعل، وتسعى لإثبات ذلك... رائع.

تهتد بوارو وقال: أنت سريعة جداً في استنتاجاتك. لا أعرف
بعد من فعل ذلك، ولو عرفتُ لنتطلب الأمر فترة طويلة لإثباته.

قالت السيدة أوليفر باستهانة: الرجال بطيئون جداً. سأخبرك

كان بيت ليرنامز رائعاً من الداخل. وخبثن بوارو بأن مبلغاً كبيراً من المال قد أنفق عليه، وكانت النتيجة بساطة جميلة باهظة الثمن. كانت كل قطعة صغيرة من خشب البيت من البلوط الأصلي.

ابتسمت لورا أبورد ترحيباً وهي تجلس على كرسي متحرك قرب موقد غرفة الجلوس. بدت امرأة قوية تجاوزت الستين من عمرها ذات شعر أشيب وذقن يوحى بالعزم. وطلبت من روبين أن يحضر العصير للضيوف ثم قالت: يسعدني لقاءك يا سيدة أوليفر. أظنك تكرهين حديث الناس معك عن قصصك، ولكنها كانت عزة عظيمة لي لسنوات طويلة، وخاصة منذ أن غدوت مُقعدة على هذا النحو.

قالت السيدة أوليفر وقد بدا عليها الضيق وبدأت تفرك يديها كطالبة مدرسة: هذا لطف بالغ منك. آه، أقدم لك السيد هيركيول بوارو. إنه صديق قديم لي، وقد تقابلنا مصادفة هنا خارج البيت. والحقيقة أنني ضربه بلبّ تفاعحة. كما حدث لويليام تيل... ولكن بالعكس.

- تشرنا يا سيد بوارو. أنت كاتبٌ أيضاً؟

قالت السيدة أوليفر: آه، لا. إنه رجل تحرّج من نوع شيرلوك هولمز! وقد جاء إلى هنا ليحل لغز جريمة قتل.

سُمعت رنة خافتة لزجاج ينكسر، فقالت السيدة أبورد بحدة: "روبن، كن حذراً". ثم قالت لبوارو: هذا مشير جداً للاهتمام يا سيد بوارو.

قالت السيدة أوليفر بفتور: حقاً؟ أقدم لك السيد هيركيول بوارو.

قال روبين: رائع. هل تحمليين أبة أمتعة؟

- نعم إنها في الخلف.

سحب روبين حقيبتين من السيارة قائلاً: يا للإزعاج! ليس لدينا خدم لائقون، باستثناء جانب العجوز، وعلينا دائماً أن نوفر عليها المشقة. إن في ذلك إزعاجاً بالغا، أليس كذلك؟ كم هي ثقيلة حقائلك، هل تحمليين قتابل بها؟

وراح يترنح وهو يصعد الطريق منادياً وهو يلتفت: ادخلا وتناولوا كأساً من العصير المنعش.

قالت السيدة أوليفر وهي تسحب حقيبة يدها وزوجاً من الأحذية القديمة من المقعد الأمامي: إنه يقصدك. ولكن هل قلت الآن إنك تريدني أن لا أكون متكئمة.

- كلما قلّلت تكتمك كان ذلك أفضل.

- ما كنتُ لأنعامل مع جريمة قتل بهذه الطريقة، ولكنها جريمتك، وسأبدل ما في وسعي لمساعدتك.

كرر روبين مرة أخرى وهو عند عتبة الباب الأمامي: تفضلاً، ادخلا. ستندبر أمر السيارة لاحقاً. إن أمي متشوقة لمقابلتكما.

صعدت السيدة أوليفر الممشى مسرعة يتبعها بوارو.

- نعم، أليس كذلك يا أمي؟

- لا يصح القول إنها كانت تعمل هنا، فقد كانت تأتي مرة في الأسبوع.

- وأحياناً في أوقات العصر.

سألت السيدة أوليفر: كيف كانت؟

أجابها روبين: محترمة جداً، ومرتبعة إلى حدٍ يبعث على الجنون. كانت لديها طريقة فظيعة في ترتيب كل شيء ووضعها في الأدراج بحيث لا يمكنك أن تخمن أين هي تلك الأشياء.

قالت السيدة أبورد بروح فكاهة ثقيلة: إن لم يتم أحد بترتيب الأشياء وإعادةتها إلى أماكنها مرة واحدة في الأسبوع على الأقل فإنك سرعان ما تفقد القدرة على التحرك في هذا المنزل الصغير.

- أعرف يا أمي، أعرف. ولكن ما لم تُترك الأشياء في المكان الذي وضعتها فيه، فإنني لن أستطيع العمل إطلاقاً، وستختلط ملاحظاتي كلها.

قالت السيدة أبورد: من المزعج أن يكون الشخص عاجزاً مثلي. لدينا خادمة مخلصنة عاجوز، ولكن كل ما تستطيع القيام به لا يعدو أن يكون القليل من الطبخ البسيط.

سألت السيدة أوليفر: ما هو مرضك؟ التهاب المفاصل؟

- شكل من أشكال التهاب المفاصل. أخشى أن يترتب عليّ

هتف روبين قائلاً: إذن فقد كانت مورين سمرهيز على حق؟ فقد حكمت لي قصة طويلة عن وجود رجلٍ تحرّ في المنطفة. بدا وكأنها ترى الأمر كله مضحكاً للغاية. ولكن الأمر جدي تماماً، أليس كذلك؟

قالت السيدة أوليفر: إنه جدّي بالطبع، يوجد مجرم بينكم.

- نعم، ولكن قولوا لي، من الذي قُتل؟ أم أنه شخص تم إخراج جسده من القبر ويتم التعامل مع الأمر بشكل سري للغاية؟

قال بوارد: ليس في الأمر سرية، وأنتم تعرفون جريمة القتل.

قالت السيدة أوليفر: إنها خادمة التنظيف، السيدة ماغ... التي قُتلت في الخريف الماضي.

قال روبين أبورد وقد بدا عليه شيء من خيبة الأمل: آه، ولكن ذلك كله انتهى.

قالت السيدة أوليفر: بل لم ينته أبداً. لقد قبضوا على الرجل الخطأ، وسوف يُسْتَق إن لم يجد السيد بوارد القاتل الحقيقي في الوقت المناسب. الأمر مشير للغاية.

وزع روبين الضيافة. وعندما قدّم لأمه شرايها قالت: شكراً، يا ولدي العزيز.

قَفَب بوارد جبينه قليلاً، وجاء روبين فقدّم العصير للسيدة أوليفر ولبوارد، ثم شرب كأسه وقال: لقد كانت تعمل هنا.

سألت السيدة أوليفر: السيدة ماغنتي؟

وفيما هو ينزل عبر الممشى سمع صوت روبين أبورد الصادح الجلي يقول: ولكن يا عزيزتي أريادني، كل ما تقولينه رائع، ولكن بمثل ذلك الشارب وتلك الهيئة كيف يمكن لأحد أن يأخذه على محمل الجد؟ أتعنين حقاً أنه جيد؟

ابشم بوارو لنفسه: جيد حقاً!

وفيما هو على وشك عبور الشارع، عاد وقفز إلى الخلف في اللحظة المناسبة؛ فقد جاءت سيارة عائلة سمرهيز تتمايل وتتخطى عابرةً من أمامه، وكان سمرهيز يقودها. فقال منادياً: "أسف، عليّ أن ألحق بالقطار". ثم أضاف بصوت تلاشى مع البعد: كوفنت غاردن...

وقد نوى بوارو أيضاً أن يستقل قطاراً لكيلشستر، حيث رتبّ للقاء مع المفتش سبنس. وكان لديه -قبل استقلال القطار- وقتٌ يسمح بزيارة أخيرة.

صعد إلى أعلى التلة، وعَبَّرَ بوابات أوصلته إلى ممشى مرتبّ يؤدي إلى بيت حديث من الإسمنت ذي السطح الخشن، وكان سقف البيت مربعاً وله نوافذ كثيرة. كان هذا بيت السيد والسيدة كاربتنر. وكان غاي كاربتنر شريكاً في شركة ضخمة هي «كاربتنر للأعمال الهندسية»، وكان رجلاً ثرياً للغاية دخل في معترك السياسة مؤخراً، وقد تزوج منذ فترة وجيزة.

لم تفتح الباب الأمامي لعائلة كاربتنر خادمةً أجنبية أو خادمةً عجوز، بل فتحه خادم هادئ وقور كره أن يُدخل هيركيول بوارو. فقد كان بوارو -برأيه- من ذلك النوع من الزوار الذين يجب أن يُتركوا

أن أحصل قريباً على ممرضة مراقبة تقيم معي بشكل دائم، وهو أمر ممل جداً؛ فانا أحب أن أكون مستقلة.

قال روبين: "يا عزيزتي، لا داعي لأن تزعجي نفسك بهذا الشكل". ثم ربت على ذراعها، فابتسمت له بلطف مفاجئ قائلة: يكاد روبين يكون -في طبيته معي- بمثابة الابنة. إنه يقوم بكل شيء، ويفكر بكل شيء، لا يوجد من هو أكثر منه مراعاة لمشاعري.

ثم تبادلت الأم وابنتها الابتسام، ووقف هيركيول بوارو قائلاً: عليّ أن أذهب مع الأسف؛ فلديّ زيارة أخرى أقوم بها، وقطار عليّ أن ألحق به. سيدتي، أشكرك على ضيافتك. سيد أبورد، أتمنى كل النجاح للمسرحية.

قالت السيدة أوليفر: وكل التوفيق لك بحريمتك.

سأل روبين أبورد: أهذا الأمر جدّي حقاً يا سيد بوارو؟

أجابته السيدة أوليفر قائلة: الأمر جدّي للغاية. إنه لم يشأ أن يخبرني بهوية المجرم، ولكنه يعرفه، أليس كذلك؟

قال بوارو محتجاً وقد وضع في نبرته القدر الكافي من عدم الإقناع: أبدأ يا سيدتي؛ لقد أخبرتك أنني لا أعرف حتى الآن.

- هذا ما قلته أنت، ولكنني أظنك تعرف فعلاً... غير أنك متكتم للغاية، أليس كذلك؟

قالت السيدة أبورد بجدية: أهذا حقاً صحيح؟ أليس مزحة؟

قال بوارو بجدية: "إنه ليس مزاحاً يا سيدتي". ثم انحنى وغادر المنزل.

بالغرض الذي جئت من أجله بشكل أفضل يا سيدتي؛ لأن ما أود السؤال عنه هو بعض الأمور المنزلية.

قالت السيدة كاربتن بارتياح: لدينا مكنسة كهربائية.

ضحك بورو وقال: لا، لا، لقد أسأت فهمي! إنها فقط أسئلة قليلة سأطرحها حول مسألة تتعلق بالبيت.

قالت: آه، تقصد استبانات الخدمات تلك. أحسب أنها إجراء غبي جداً...، ثم توقفت وقالت: لعل من الأفضل أن تدخل إلى البيت.

ابتسم بورو ابتسامة خفيفة، فقد توقفت عن الكلام وهي على وشك التعليق بملاحظة انتقادية، ولكن انخراط زوجها بنشاطات سياسية يتطلب الحذر من انتقاد نشاطات الحكومة.

قادت عبر القاعة إلى غرفة واسعة تطل على حديقة توحى بعناية جيدة. كانت غرفة جديدة المظهر، تحتوي على طقم من الأثاث الموشحة وكرسيين ومكتب وطاولة كتابة. بدا واضحاً أن الغالي والنفيس قد بذل في هذا البيت، وتم توظيف أفضل الشركات، ولم تكن فيه أية دلائل على ذوق فردي لأصحابه. قال بورو لنفسه: لقد كانت العروس... ماذا؟ غير مهتمة؟

نظر إليها نظرة تقيوم وهي تستدير: شابة جميلة المظهر ذات أذواق مكلفة. شعر أشقر بلاتيني، وأصباغ وُضعت بعناية، وعينان زرقاوان واسعتان... عينان ذواتا نظرة واسعة باردة... عينان جميلتان غارقتان. وقالت بنبهة لطف الأن، ولكنه لطف يُخفي تحته ضجراً:

خارج المنزل، ومن الواضح أنه اشتبه بأن هيركيول بورو قد جاء ليبيع شيئاً. قال: السيد والسيدة كاربتن ليسا في البيت.

- هل بوسعي - إذن - أن أنتظر؟

قال: "لا أعرف متى يصلان"، ثم أغلق الباب.

ولكن بورو لم يبزر على الممشى إلى البوابة، بل مشى - بدلاً من ذلك - حول زاوية المنزل وكاد أن يرتطم بشاشة طويلة ترتدي معطفاً من الفرو. قالت: مرحباً، ماذا تريد بالله عليك؟

رفع بورو قبعته بأدب قائلاً: كنت أمل أن أرى السيد والسيدة كاربتن. أهى السيدة كاربتن التي أتشرف بالحديث معها الآن؟

- أنا السيدة كاربتن.

كانت تتحدث بفضافة، ولكن بدا وجود إيجاء خفيف بالهدوء خلف سنوكها.

- أنا هيركيول بورو.

ولم يبذ أي رد فعل. لم يكن الاسم العظيم الفريد مجهولاً بالنسبة لها فحسب، ولكنه رأى أيضاً أنها لم تتعرف عليه باعتباره آخر النزلاء عند مورين سمرهيز. هنا - إذن - لا تصل خدمات وكالة الأنباء المحلية المعنية بنشر الشائعات. حقيقة بسيطة ولكنها ذات دلالة.

- نعم؟

- لقد طلبت مقابلتك أو مقابلة السيد كاربتن، ولكنك ستفني

- أنا أقوم بتحقيق في ظروف الجريمة؟

- لماذا؟ لماذا بالله عليك؟ على أية حال، لماذا جئت إليّ أنا؟

- ربما كنت تعرفين شيئاً... يمكن أن يساعدني.

- لا أعرف شيئاً البتة. ولماذا أعرف؟ كانت مجرد خادمة عجوز غبية، وكانت تحتفظ بنقودها تحت الأرض، وقام أحدهم بسرقتها وقتلها لأجل تلك النقود. كان الأمر كله مرفقاً... همجياً، كذلك الأمور التي تقرأها في صحف يوم الأحد.

التقط بوارو ذلك بسرعة وقال: كصحف يوم الأحد، نعم، مثل الصندي كوميت. لعلك تقرئين الصندي كوميت؟

قفزت قائمة، ثم اتجهت بارتباك نحو الباب الزجاجي المفتوح، وكان سيرها مرتبكاً إلى حدٍّ ارتطمت معه بإطار الباب. وتذكر بوارو فراشة كبيرة جميلة ترفرف عمياء حول ضوء مصباح. نادت قائلة: غاي... غاي.

ورد صوت رجل من بُعد قائلاً: ماذا يا إيف؟

- تعال إلى هنا بسرعة.

ظهر رجل طويل في نحو الخامسة والثلاثين. أسرع خطاه عابراً المصطبة الخارجية إلى الباب الزجاجي، وقالت إيف كاريتير بحماسة: إن لدينا رجلاً هنا... رجلاً أجنياً. إنه يسألني شتى أنواع الأسئلة عن تلك الجريمة الفظيعة التي حدثت السنة الماضية. تلك

تفضل بالجلوس.

جلس ثم قال: أنت في غاية اللطف يا سيدتي. أما الأسئلة التي أود أن أسألك إياها فهي تتعلق بسيدة تُدعى ماغتي، التي توفيت (أو بالأحرى قُتلت) في تشرين الثاني الماضي.

- السيدة ماغتي؟ لا أعرف ماذا تقصد؟

كانت تحدد إليه وعيناها مثبتتان مرتابتان.

- أأنت تذكرين السيدة ماغتي؟

- نعم، لا أذكرها. لا أعرف شيئاً عنها.

- أتذكرين مقتلها؟ أم أن القتل شائع جداً بحيث لا تلاحظينه مجرد ملاحظة؟

- آه، جريمة القتل؟ نعم، بالطبع. لقد نسيت اسم تلك المرأة العجوز.

- رغم أنها عملت هنا في هذا البيت؟

- لم أكن أعيش هنا وقتها. لقد تزوجت السيد كاريتير منذ ثلاثة أشهر فقط.

- ولكنها عملت عندك، في صباحات الجمعة فيما أظن. وكنت -آنذاك- السيدة سيالكريك، وكنت تعيشين في البيت المسمى روز.

قالت بنكد: إذا كنت تعرف إجابات جميع الأسئلة فإني لا أفهم لماذا أنت بحاجة لطرحتها. على كل حال، ما هي المسألة؟

ثم سكت، فردد غاي كارينتر متأملاً: الصندي كوميت. أخشى أنني لا أرى هذه الصحيفة كثيراً.

- إنها تنشر أحياناً مقالات مثيرة للاهتمام، وصوراً مثيرة للاهتمام.

وقبل أن يطول التوقف عن الكلام كثيراً، اتحنى بوارو وقال مسرعاً: وداعاً سيد كارينتر، أعتذر إذا ما سببت لك إزعاجاً.

وخارج البوابة، نظر بوارو خلفه إلى البيت قائلاً: إنني أتساءل... نعم، أتساءل.

* * *

- ولكنكما ساعدتُماني.

- عفواً، ماذا قلت؟

قال بوارو بهدوء: كانت السيدة ماغنتي تكذب. حقيقة مهمة. ما هي بالضبط الأكاذيب التي كانت تقولها يا سيدتي؟

انتظر إجابة إيف كارينتر بأدب، وأخيراً قالت: آه، لا شيء على وجه التحديد. أعني... لا أستطيع أن أتذكر.

ولعلها أحست بأن الرجلين كانا ينظران إليها متوقعين شيئاً، فقالت: أشياء غريبة... عن الناس، أشياء لا يمكن أن تكون صحيحة.

ومع ذلك بقي السكون مخيماً، ثم قال بوارو: فهمت... كان لها لسان خطير.

قامت إيف كارينتر بحركة سريعة فائتة: لا، لم أقصد ذلك. كانت ثرثرة فقط، هذا كل ما في الأمر.

قال بوارو بهدوء: ثرثرة فقط؟

ثم أشار مودعاً، ورافقه غاي كارينتر إلى الصالة وقال: تلك الصحيفة التي ذكرتها... تلك الصحيفة الأسوعية. أية واحدة هي؟

رد بوارو بحذر: الصحيفة التي ذكرتها للسيدة هي الصندي كوميت.

- لم يكن ذلك إلا بسبب تلك الجملة العابرة عن كتابة الرسائل.
أنا وأنت - يا سينس - نكتب العديد من الرسائل، وهذه مسألة عادة
بالنسبة لنا.

تتهد المفتش سينس، ثم وضع على الطاولة أربع صور وقال:
هذه هي الصور التي طلبت مني الحصول عليها، الصور الأصلية التي
استخدمتها الصندي كوميت. وهي - على أية حال - أوضح قليلاً مما
ظهرت في الصحيفة، ولكني لا أرى فيها الكثير مما يمكن الاعتماد
عليه؛ فهي قديمة وباهتة، وبالنسبة للنساء فإن تسريحة الشعر تؤثر
كثيراً في أشكالهن. لا يوجد في أيٍّ منها شيء محدد يمكن الاعتماد
عليه كالأذنين والمنظر الجانبي للوجه. قبعة متهدلة، وشعر مبالغ في
تصنيفه وورود! إن هذا كله لا يعطيك فرصة لاكتشاف شيء.

- أتفق معي في أننا نستطيع استثناء فيرا بليك؟

- أظن ذلك؛ فلو كانت فيرا بليك في بروديني لعلم كل شخص
بذلك، إذ يبدو أنها تخصصت في سرد قصة حياتها المحزنة على
الجميع.

- وماذا يمكنك أن تخبرني عن الأخريات.

- لقد حصلت لك على ما أستطيعه في مثل هذا الوقت. لقد
غادرت إيفا كين البلد بعد أن صدر الحكم على كريغ. وأستطيع أن
أخبرك بالاسم الذي اتخذته، إنه هوب (أي الأمل)، ولعل لذلك
مغزى!

تمتم بوراو: نعم، نعم... الأسلوب الرومانسي في التفكير.

الفصل الحادي عشر

جلس المفتش سينس قبالة بوراو، فتهد وقال ببطء: أنا لا أقول
إنك لم تتوصل إلى شيء يا سيد بوراو، بل أنا أحسب أنك توصلت
إلى شيء. ولكنه ضئيل... ضئيل للغاية.

أوماً بوراو برأسه موافقاً وقال: إن ما توصلتُ إليه لا يكفي
بمفرده، يجب أن أعر على المزيد.

- كان يُفترض أن أنتبه -أنا أو الرقيب الذي عمل بامرني- إلى
تلك الصحيفة.

- لا، لا يمكن أن تلوم نفسك؛ فقد كانت الجريمة واضحة
جداً. سطر باستخدام العنف، والغرفة في حالة فوضى، والنقود
مفقودة، فلماذا تحظى باهتمامك مزقة من صحيفة وسط كل تلك
الفوضى؟

ردد سينس بعناد: كان عليّ أن أنتبه لذلك. وزجاجة الحبر...

- أنا عرفت بأمرها بمحض المصادفة.

- ومع ذلك فقد عثت شيئاً بالنسبة لك. لماذا؟

وقد مثلت الجميلة إيفا كين دور البرينة المذعورة، ومثلته بشكل رائع أيضاً. كانت ممثلة صغيرة ذكية، وقد كان للمفتش تريبل شكوكه، ولكن لم يكن لديه شيء يمكن الاعتماد عليه. إنني أخبرك بذلك - يا سيد بوارو - دون أن أضمن صحته، فهو لا يشكل دليلاً.

- ولكن ذلك يتطوي على احتمال بأن واحدة من أولئك «النساء المأساويات» - على الأقل - كانت أكثر من مجرد امرأة مأساوية، وأنها كانت قاتلة، وأنها يمكن أن تقتل مرة أخرى إذا ما كان الدافع قوياً بما فيه الكفاية... والأن إلى المرأة التالية، جانيس كورتلاند. ماذا يمكنك أن تخبرني عنها؟

- لقد راجعتُ الملفات، وهي امرأة قذرة تماماً. ولئن كنا قد شنقنا إيديث تومبسون، فقد كان علينا - بالتأكيد - أن نشق جانيس كورتلاند؛ فقد كانت وزوجها زوجين بغيضين، لا فرق بينهما، فقد أغوت ذلك الشاب حتى أصبح طوع أمرها. ولكن اعلم أنه كان يوجد - منذ البداية - رجل غني خلف الكواليس، وكان قتلها لزوجها لغرض الزواج به.

- وهل تزوجته؟

هز سبنس رأسه وقال: لا أدري.

- لقد سافرت إلى الخارج... وبعد ذلك؟

هز سبنس رأسه ثانية وقال: كانت امرأة طليقة؛ إذ لم تُتهم بشيء، ولا نعرف أتزوجت أم ماذا حدث لها.

الجميلة إيفلين هوب مينة. هذا سطر مأخوذ من أحد شعرائكم، وأحسب أنها فكرت بذلك. بالمناسبة، أكان اسمها إيفلين؟

- نعم. أحسبه كان كذلك، ولكنها كانت معروفة دوماً باسم إيفا. وبالمناسبة يا سيد بوارو، بما أننا نتحدث بالموضوع فإن رأي الشرطة في إيفا كين لا يتوافق أبداً مع ما جاء في هذه المقالة، بل هو أبعد ما يكون عنها.

ابتسم بوارو وقال: إن رأي الشرطة لا يكون دليلاً، ولكنه يكون مؤشراً ومرشداً جيداً في العادة. ماذا كان رأي الشرطة في إيفا كين؟

- ثم تكن بأية حال تلك الضحية البرينة كما ظن الجمهور. لقد كنتُ شاباً يافعاً آنذاك، وأذكر أنني سمعت مناقشة للفضية بين رئيسي القديم والمفتش تريبل الذي كان مسؤولاً عن القضية. لقد رأى تريبل (ولكن دون توفر دليل لديه) أن تلك الفكرة الذكية بالتخلص من السيدة كريبغ كانت فكرة إيفا كين. فقد عاد كريبغ إلى البيت في أحد الأيام ليجد أن صديقته الصغيرة قد اختصرت الطريق، وأحسبها رأت أن الأمر كله سيجري تقبله كما لو كان وفاة طبيعية. ولكن كان كريبغ أوسع منها إدراكاً، وقد خاف وتخلص من الجثة في القبو، وطوّز خطة تقول إن السيدة كريبغ ماتت في الخارج. وبعدئذ، عندما اكتشف الأمر برمته، أصّر كريبغ - بشكل محموم - على أنه قام بالجريمة وحده وأن إيفا كين لم تعرف شيئاً عن ذلك.

ثم رفع كتفيه حيرة وقال: ولم يستطع أحد أن يثبت خلاف ذلك. لقد كان السم في البيت، وكان يوسع أي منهما استخدامه.

فتح بوارو دفتر ملاحظاته الصغير وقال: إيفا كين. إذا ما كانت باقية على قيد الحياة فمن شأنها أن تقترب الآن من الستين من عمرها. أما ابنتها -التي رسمت الصندي كوميث صورة مؤثرة لحياتها وهي ناضجة- فمن شأنها أن تكون الآن في الثلاثينيات. وستكون ليلى غامبول في مثل هذا السن أيضاً. وسيكون عمر جاتس كورتلاند مقرباً من الخمسين.

أوما سبنس موافقاً، وأكمل بوارو: إذن نصل الآن إلى أهالي بروديني، وخاصة أولئك الذين كانت السيدة ماغتي تعمل لديهم.

- أحسب أن هذا الأخير افتراض معقول.

- نعم. إن الأمر معقد لأن السيدة ماغتي كانت تقوم بأعمال متفرقة في العديد من الأماكن، ولكننا سنفترض -في الوقت الحاضر- بأنها رأت ما رآته (ونفترض أن يكون صورة) في أحد البيوت التي كانت تعمل فيها بشكل مُنظم.

- متفقون.

- وإذا ما أخذنا مسألة السن بالحسبان، فإن ذلك يعطينا احتمالات. أولاً: عائلة ويزربي، حيث عملت السيدة ماغتي يوم مقتلها. إن عمر السيدة ويزربي يناسب عمر إيفا كين، كما أن لها ابنة في عمر ابنة إيفا كين، ابنة يقال إنها من زواج سابق.

- وماذا عن شهبها بالصورة؟

- يا صديقي العزيز، من المتعذر التعرف بشكل مؤكد على صاحبات هذه الصور. لقد مر زمن طويل، وتغير الكثير من الأمور.

قال بوارو متذكراً عبارة الدكتور ريندل: لعل المرء يلتقيها في حفل عشاء في أي يوم.

- بالضبط.

نقل بوارو نظرته إلى الصورة الأخيرة قائلاً: والطفلة؟ ليلى غامبول.

- كانت أصغر من أن تُتهم بجريمة قتل. أُرسلت إلى مدرسة أحداث، وكانت ذات سجل جيد هناك. تم تعليمها الطباعة والاختزال، وعُثر لها على عمل في فترة إطلاق سراحها التجريبي، وكان سلوكها جيداً. وآخر ما عُلم عنها أنها في إيرلندا. أظن -يا سيد بوارو- أن بإمكاننا استبعادها مثل فيرا بليك؛ فقد كان سلوكها حسناً في نهاية الأمر، والناس لا يُيقنون على تقريرهم لطفلة في الثانية عشرة لقيامها بشيء في لحظة هياج. ما رأيك باستبعادها؟

- كان بإمكانني استبعادها لولا الساطور؛ فمن الثابت أن ليلى غامبول استخدمت ساطوراً في قتل عماتها، وقد استخدم قاتل السيدة ماغتي المجهول سلاحاً وُصف بأنه يشبه الساطور.

- لعلك على حق. والآن يا سيد بوارو، لنستمع إلى ما يتعلق بك من الأمور. يسعدني أن أرى أن أحداً لم يحاول قتلك.

قال بوارو بقليل من التردد: نعم.

- لا أخفيك أنني خُفْتُ عليك مرة أو مرتين منذ ذلك المساء في لندن. والآن ما هي الاحتمالات من بين أهالي بروديني؟

أنها تعاني من التهاب المفاصل وتضفي معظم وقتها على كرسي متحرك...

قال سبنس أيضاً: في القصص البوليسية يمكن أن يكون أمر الكرسي المتحرك مزيفاً، أما في الحياة الواقعية فيرجح أن يكون ذلك حقيقياً.

قال يوارو متابعاً: ثانياً، تبدو السيدة أبورد ذات طبع ميدني وقوي، تميل إلى المواجهة أكثر من ميلها للخداع بمعسول الكلام، الأمر الذي لا يتفق وشخصية صاحبنا إيفا في شبابها. ولكن بالمقابل، فإن شخصيات الناس تتطور، وتأكيد الذات ميزة غالباً ما تظهر مع التقدم في السن.

سلم سبنس بذلك قائلاً: هذا صحيح تماماً. السيدة أبورد... ليس من المستحيل أن تكون هي، ولكنه غير مرجح. والآن الاحتمالات الأخرى. جانس كورتلاندا؟

- أحسب أن بالإمكان استثناءها؛ فلا يوجد أحد في برويني في نفس العمر.

- إلا إذا كانت إحدى الشابات هي جانس كورتلاندا وقد شدت وجهها بعملية تجميل. اعذرني أرجوك... كانت هذه مجرد طرفة.

- توجد ثلاث نساء يبلغن ثلاثين سنة وتيفاً. ديردرا هندرسن، وزوجة الدكتور ريندل، وزوجة غاي كاربتر. أي أن أيًا منهن يمكن أن تكون ليبي غامبول أو ابنة إيفا كين، إذا ما نظرنا للعمر.

- وإذا نظرنا للاحتمالات؟

كل ما يمكن للمرء قوله هو التالي: من المؤكد أن السيدة ويذربي كانت امرأة جميلة، وهي تبدو أرق وأوهى من أن ترتكب جريمة قتل، ولكن هذا كان هو الاعتقاد السائد عن إيفا كين كما فهمت. من الصعب تقدير ما يتطلبه قتل السيدة ماغتي من قوة جسدية فعلية دون أن نعرف بالضبط ما هو السلاح الذي استخدم، والقبضة التي يُمسك بها، ومدى سهولة الضرب به، ومدى حدة شفرته...

- نعم، نعم. لا أدري لماذا لم نستطع العثور على ذلك السلاح. ولكن تابع كلامك.

- الملاحظات الوحيدة الأخرى التي يمكن أن أضعها عن عائلة ويذربي هي أن السيد ويذربي يمكن أن يجعل من نفسه (وهو يجعل نفسه فيما أرى) شخصاً كريهاً جداً إذا ما أراد ذلك. إن الابنة مخلصنة لوالدها بشكل جنوني، وهي تكره زوج أمها. أنا لا أعلق على هذه الحقائق، بل أعرضها للنظر فيها فقط. إن الابنة يمكن أن تقتل لتحول دون وصول ماضي أمها لمسامع الزوج، ويمكن للأُم أن تقتل لنفس السبب، ويمكن للاب أن يقتل لمنع حدوث «فضيحة». إن ما ارتكب من الجرائم من أجل السمعة أكثر مما يمكن تصديقه!

أوما سبنس قائلاً: إذا ما كان في مسألة الصندي كوميت شيء (وأقول إذا...) فمن الواضح أن عائلة ويذربي هم الأرجح احتمالاً.

- بالضبط، إن المرأة الوحيدة الأخرى في برويني التي يناسب عمرها عمر إيفا كين هي السيدة أبورد، وسنجد سببين يحولان دون الشك بأنها قد قتلت السيدة ماغتي وأنها هي إيفا كين؛ أولهما

- أبدأ. لقد كان صديقي هيستغز هو الرومانسي العاطفي، أما أنا فلست كذلك أبداً، بل أنا رجل عمليّ على نحو صارم. ما أعنيه هو أن الفتاة - إذا اعتمد جمالها بشكل أساسي على جمال عينيها - ستخلع نظارتها كائنًا ما كان قصر نظرها، وستتعلم تحسس طريقها حتى إن كانت الأشياء غائمة أمامها وكان من الصعب عليها الحكم على المسافات.

ثم نقر بسبابتها على صورة الطفلة ليبي غامبول التي تضع نظارات سميكة تشوه مظهرها.

- أهذا إذن ما تراه؟ أنتظنها ليبي غامبول؟

- أنا أتكلم عما هو ممكن فقط. في الوقت الذي ماتت فيه السيدة ماغنتي لم تكن السيدة كارينتر قد تزوجت وحملت هذا الاسم. كانت أرملة صغيرة من أرامل الحرب، في وضع مالي سيء جداً، وتعيش في بيت صغير من بيوت العمال. وكانت مخطوبة للرجل الغني في المنطقة، رجل ذي طموحات سياسية وإحساس كبير بأهميته. ولو اكتشف غاي كارينتر أنه على وشك الزواج - مثلاً - بطفلة ذات أصل متواضع اكتسبت سمعة سيئة من ضربها عمته على الرأس بساطور، أو ابنة كريغ أحد أعنى مجرمي القرن (وتمثاله موجود في مكان بارز في متحف الرعب لديكم)، عندها يتساءل المرء: أكان من شأنه أن يمضي قُدماً في ذلك؟ ولعلك تقول إنه سيمضي قُدماً إذا أحب الفتاة. ولكنه ليس تماماً من ذلك الصنف من الرجال. إنني أحسبه أنانياً طموحاً، وهو رجل حساس فيما يتعلق بسمعته. وأحسب أن السيدة الشابة سيلكيرك - كما كانت وقتها، قبل الزواج به - لو كانت حريصة على إتمام الزواج لحرصت أشد الحرص على أن

تنهد بوارو قائلاً: يمكن أن تكون ابنة إيغا كين طويلة أو قصيرة، سمراء أو بيضاء، فلسنا نملك مؤشراً لشكلها. وكنا قد فكّرنا بديودرا هندرسن في هذا الدور. أما بالنسبة للسيدتين الباقيتين فسأبدأ بإخبارك بالأمر التالي: إن السيدة ريندل تخاف من شيء ما.

- تخافك أنت؟

- أظن ذلك.

قال سبنس بيضاء: قد يكون ذلك مهماً. أنت تشير إلى أن السيدة ريندل قد تكون ابنة إيغا كين أو ليبي غامبول. أهي بيضاء أم سمراء؟

- بيضاء.

- لقد كانت ليبي غامبول طفلة ذات شعر أشقر.

- السيدة كارينتر ذات شعر أشقر أيضاً، وهي شابة تتجمل على نحو باهظ التكليف. ويغضّ النظر عن مقدار جمالها، فإن عينيها رائعتان تماماً. عينا زرقاوان داكنتان شديدتا الاتساع.

هز سبنس رأسه لصديقه وقال: ما هذا يا بوارو؟!

- أتعرف كيف بدت عندما ركضت خارج الغرفة لتنادي زوجها؟ لقد ذكرتي بفراشة رائعة ترفرف، وقد ارتطمت بالأثاث ومدت يديها كأنها عمياء.

نظر إليه سبنس بعطف وقال: أنت رومانسي حقاً يا سيد بوارو، أنت وفرشاتك الجميلة المعروفة والعيون الزرقاء الواسعة.

حالة واحدة تثير الشك فعلاً. أما تحليلاتنا الحالية فهي مجرد نظرية، وهي نظرية مُستبعدة أيضاً. إن الأمر كله وإيه كما قلْتُ من قبل. أيمكن أن يُقدم أحدٌ حقاً على القتل للأسباب التي ناقشناها؟

- هذا يعتمد على الكثير من الظروف العائلية التي نجهلها. ولكن التوق للمكانة المحترمة شديد جداً. إن سكان بروكيني أناس لطفاء محترمون. هذا ما قالته مديرة مكتب البريد، والناس اللطفاء يرغبون في الحفاظ على نُظُمهم في أعين الناس. لعلك تجد سنوات من الزواج السعيد، ولا أحد يشك بأنك كنتِ - يوماً - شخصية سيئة السمعة في واحدة من أكثر محاكمات القتل إثارة، ولا يشك أحد بأن ابنتك هي ابنة قاتل شهير. يمكن للمرء أن يقول: "أفضل الموت على أن يعلم زوجي بذلك!"، أو "أفضل الموت على أن نكتشف ابنتي من تكون!". ومن ثم تمضي في التفكير إلى أن ترى أن من الأفضل أن تموت السيدة ماغتي.

قال سبنس بهدوء: إذن أنت تشك في عائلة ويذري.

- لا، إن وضعهم ينطبق على تخميناتنا أكثر من غيرهم، ولكن الأمر لا يعدو ذلك. ومن ناحية الشخصية الفعلية فإن السيدة أبورد أقرب إلى أن تكون قاتلة من السيدة ويذري. إن لديها تصميماً وإرادة قوية، وهي شغوفة جداً بولدها، وأحسب أنها مستعدة للذهاب بعيداً كيلا يعرف ابنها ماذا حدث قبل أن تزوج بأبيه وقبل أن تستقر في وضعٍ أسري محترم.

- أكان من شأن تلك المعرفة أن تُزعجه كثيراً؟

لا يصل إلى مسامع خطيبها شيء. يسىء إليها.

- فهمت. فأنت ترى أنها هي القاتلة إذن، أليس كذلك؟

- يا عزيزي، أقول لك ثانية لا أدري. أنا أدرس الاحتمالات فقط. لقد كانت السيدة كارينتر حذرة مني، محترسة خائفة.

- هذا يبدو سيئاً.

- نعم، نعم، ولكن الأمر كله صعب للغاية. حدث مرة أن أقمت مع أصدقاء لي في الريف، وقد خرجوا للصيد. هل تعرف كيف تسير الأمور؟ يمشي أحدهم بالكلاب والبنادق، الكلاب تجعل الطيور تنفر من محابيتها، فتطير من الغابة عالياً في الهواء ويبدأ إطلاق النار. وهذا أشبه ما يكون بما نفعله نحن. لعلنا لم نُجفِل طيراً واحداً، بل كانت طيور أخرى في الخفاء. وربما كانت طيوراً لا شأن لنا بها، ولكن الطيور نفسها لا تعلم ذلك. وعلينا - يا صديقي - أن نتأكد تماماً أي الطيور هو طيرنا الذي نريده. لعل السيدة كارينتر أقدمت على بعض التصرفات الطائشة خلال فترة ترقلها... لعل الأمر لا يكون أسوأ من ذلك، ولكنها تبقى تصرفات نسيء إليها. لا بد أن يكون سبب وراء قولها لي على عجل إن السيدة ماغتي كانت كاذبة!

حك المفتش سبنس أنفه وقال: دعنا نفهم ذلك بوضوح يا بوارو. ما الذي تظنه حقاً؟

- لا يهم ما أظنه. يجب أن أعرف. ولكن - حتى هذه الساعة - فإننا ما زلنا في مرحلة دخول الكلاب إلى مكن الطيور.

تمتم سبنس: لو تمكنا فقط من الوصول إلى شيء محدد، إلى

يستحوذ عليه - كما يستحوذ على سبب - هاجس الوقت القصير المتناح. لو كان لديه وقت فقط...

وفي أعماق تفكيره كان يورقه شكٌ باق. أكان الافتراض الذي بناه هو وسبب صحيحاً حقاً؟ ماذا لو كان جيمس بنتلي هو الجنائي؟

لم يستسلم لذلك الشك، ولكنه كان يورقه. استعرض -في ذاكرته- مراراً وتكراراً المقابلة التي أجراها مع جيمس بنتلي، وكان يفكر فيها -الآن- وهو يقف على الرصيف في كيلستر بانتظار القطار. لقد كان اليوم يوم إقامة السوق، وكان الرصيف مزدحماً.

مال بوارو للأمام لإلقاء نظرة. نعم، لقد جاء القطار أخيراً. وقبل أن يعدل وقفته شعر بدفعة شديدة متمعدة على أدق منطقة في ظهره. كانت الدفعة من العنف والفجائية بحيث أخذته على حين غرة تماماً، وكان من شأنه أن يكون -بعد لحظة واحدة- ملقى تحت عجلات القطار القادم، ولكن رجلاً كان بجانبه على الرصيف أمسك به في اللحظة الأخيرة وسحب للخلف قائلاً: ماذا حدث لك؟

كان الرجل عريضاً بالجيش قوي البنية، وأضاف قائلاً: هل أغمي عليك؟ لقد كدت تقع تحت القطار يا رجل.

- شكراً لك... أأف شكر لك.

كان الناس -حينها- يتزاحمون حولهما، بعضهم يصعد إلى القطار وآخرون يغادرونه.

- أنت بخير الآن؟ سأساعدك على صعود القطار.

- لا أظن ذلك؛ فللشاب روبن منظور حديث يشك بكل المفاهيم المتعارف عليها، وهو أناني جداً. وفي جميع الأحوال فإنني أحسبه أقل تعلقاً بأمه من تعلقها هي به. إنه ليس نسخة أخرى من جيمس بنتلي.

- إذا افترضنا أن السيدة أبورد هي إيفا كين، أليس من شأن ابنها روبن أن يقتل السيدة ماغتي لمنع الحقيقة من الظهور؟

- ما كان ليفعل ذلك أبداً برأيي. ربما كان عمد إلى الاستفادة من ذلك باستخدام تلك الحقيقة للدعاية لمسرحياته! إنني لا أستطيع تخيل روبن أبورد يرتكب جريمة قتل بدافع الحفاظ على المكانة المحترمة، أو التعلق بأمه، أو لأي دافع آخر باستثناء وجود مكسب واضح لروبن أبورد نفسه.

تهدد سينس قائلاً: إنه حقل واسع. ربما كان باستطاعتنا العثور على شيء يتعلق بتاريخ هؤلاء الناس، ولكن ذلك سيستغرق وقتاً. لقد عقدت الحرب الأمور؛ فقد أتلفت سجلات كثيرة، ووجدت فرص لا متناهية للراغبين في إخفاء آثارهم عن طريق الاستيلاء على البطاقات الشخصية لغيرهم، وغير ذلك. خاصة بعد «الأحداث» التي لم يكن من الممكن فيها التمييز بين جثة وأخرى! لو كان بوسعنا التركيز على شخص واحد... ولكن لديك احتمالات كثيرة يا بوارو.

- قد يصبح بوسعنا اختصار هذه الاحتمالات قريباً.

غادر بوارو مكتب المفتش أقل غبطة مما كان يُظهِر. كان

ألقى بوارو بنفسه على أحد المقاعد وقد هزته المفاجأة. ليس من المفيد القول: "لقد دُفعت"، ولكنه كان قد دُفع فعلاً! حتى ذلك المساء كان بوارو متيقظاً ومحتاطاً لمواجهة الخطر، ولكن بعد حديثه مع سبنس، وبعد استفسار سبنس المازح عن أية محاولة للتيل من حياته، اعتبر بوارو الخطر منتهياً أو قليل الاحتمال.

الفصل الثاني عشر

ولكن كم كان مخطئاً! لقد حقق واحد من اللقاءات التي أجراها في بروديني نتيجة مئوسمة. كان أحدهم خائفاً. حاول أحدهم أن يضع نهاية لمحاولة بوارو الخطيرة بعث الحياة في هذه القضية المنتهية.

اتصل بوارو بالمفتش سبنس من هاتف عام في محطة بروديني وقال: أهذا أنت يا صديقي؟ لدي أخبار مهمة لك: لقد حاول أحدهم قتلني!

واستمع باهتمام لفيض الملاحظات القادمة من الطرف الثاني ثم قال: لا، لم أصب. ولكني جرحت بأعجوبة... نعم، تحت القطار. لا، لم أشاهد من فعل ذلك. ولكن كن على يقين - يا صديقي - من أنني سأجده. إننا نعرف الآن أننا نسير على الطريق الصحيح.

* * *

أمضى الرجل الذي كان يفحص عداد الكهرباء سحابة اليوم مع خادم غاي كاربنتر المتعجرف الذي كان يراقبه، ثم قال شارحاً: سيتم تشغيل الكهرباء على أسس جديدة.

قال كبير الخدم مُشككاً: ما تعنيه هو أن تكاليفها سترتفع مثل أي شيء آخر.

- هذا يعتمد على أمور أخرى. قسمة عادلة للجميع، هذا رأيي. هل ذهبت إلى الاجتماع في كيبشستر الليلة الماضية؟

- لا.

- يقولون إن سيدك، السيد كاربنتر، تكلم بشكل جيد. هل تعتقد أنه سيُنْتخَب؟

- أحسبه كان على وشك النجاح في المرة السابقة.

- نعم، بأغلبية مئة وخمسة وعشرين صوتاً أو نحو ذلك. هل تقود السيارة له عندما يذهب لتلك الاجتماعات أم يقودها بنفسه؟

كانت تلك هي الملاحظة الثانية في مفكرة الكهربائي، أما
الملاحظة الأولى فكانت كالتالي:

تم استدعاء الدكتور «ر» في حالة مرضية الليلة الماضية،
باتجاه كيلشتر. من الممكن أن يكون في محطة
كيلشتر المركزية في الوقت المشار إليه. بقيت السيدة
«ر» وحدها طوال المساء في البيت (؟) وبعد أن قدمت
لها السيدة سكوت (مديرة المنزل) القهوة لم ترها ثانية
تلك الليلة. لها سيارة صغيرة خاصة بها.

* * *

كان التأليف المشترك في ليبرنامز جارياً على قدم وساق. كان
روبن أبورد يقول بشكل جاد: أنت تدركين - بلا ريب - كم هو رائع
هذا السطر؟ وإذا استطعنا أن نظهر إحساساً بالعداء بين الفتى والفتاة
فسوف نبعث الحياة في العمل بكامله بشكل مثير!

خلّلت السيدة أوليفر بحزن أصابعها في شعرها الرمادي الذي
يطير مع الريح، بحيث بدا وكأن ما طيّره كان إعصاراً وليس ريحاً.

- إنكِ تدركين ما أعنيه، أليس كذلك يا عزيزتي أريادني؟
قالت السيدة أوليفر باكتئاب: آه، أنا أدرك ما تعنيه.

- ولكن الشيء الأهم هو أن شعري بالسعادة حقاً تجاه
ذلك.

ما كان لأحد أن يظن أن السيدة أوليفر تبدو سعيدة سوى

- يقودها بنفسه عادة. إنه يحب قيادة السيارات، ولديه سيارة
رولز بنتلي.

- إنه يعتني بنفسه جيداً. هل تقود السيدة كاريتير السيارة
أيضاً؟

- نعم، وهي تقودها بسرعة فائقة في تقديري.

- عادة ما تفعل النساء ذلك. أكانت هي الأخرى في الاجتماع
الليلة الماضية؟ أم أنها لا تهتم بالسياسة؟

ابتسم كبير الخدم ابتسامة عريضة وقال: تتظاهر بالاهتمام على
أية حال، ولكنها لم تستطع أن تستمر للنهية في الليلة الماضية؛ فقد
أصبحت بصداخ أو شيء كهذا وغادرت في وسط الخطابات.

- آه!

نظر الكهربائي في غلب الصمامات الكهربائية وقال: "لقد
انتهيت تقريباً". ثم طرح بضعة أسئلة عابرة أخرى وهو يجمع أدواته
ويجهز نفسه للانصراف.

خرج وسار بخفة عبر ممشى الحديدية، ولكنه توقف عند الزاوية
بعد خروجه من البوابة وكتب في مفكرته ما يلي:

عاد «ك» إلى البيت في سيارته وحيداً في الليلة الماضية.
وصل إلى البيت في نحو العاشرة والنصف. بإمكانه أن
يكون في محطة كيلشتر المركزية في الوقت المشار
إليه. غادرت السيدة «ك» الاجتماع مبكراً ووصلت البيت
قبله بعشر دقائق. قالت إنها عادت إلى البيت بالفطار.

بسفين جيرسن، وسوف يتزاحمون لرويته. إنه نجم شباك النذاكر يا عزيزتي!

- ولكن الناس الذين يقرؤون كتيبي يعرفون كيف يبدو! لا يمكنك أن تترعرع شاباً جديداً تماماً في المقاومة النرويجية وتسميه سفين جيرسن.

- عزيزتي أرياني، لقد شرحتُ هذا كله. هذه ليست رواية، إنها مسرحية، ويجب أن نجعل لها بريقاً! وإذا ما أعددنا هذا التوتو وهذا التنافر بين سفين جيرسن وتلك... ما اسمها؟ كارين؟ أحدهما نقيض الآخر تماماً، ومع ذلك يميلان ميلاً شديداً كل للآخر.

قالت السيدة أوليفر برود: إن سفين جيرسن لم يكثر أبداً بالنساء.

- ولكن لا يمكن أن تجعله هكذا يا عزيزتي، ليس بمثل هذا النوع من المسرحيات. أعني أنها ليست مجرد وصف لأشجار خضراء على الشاطئ؛ إنها إثارة وجرائم قتل في الهواء الطلق.

كان لذكر الهواء الطلق تأثيره الواضح؛ فقد قالت السيدة أوليفر فجأة: أظني سأخرج قليلاً. احتاج للهواء... احتاج جداً إلى الهواء.

سألها روبين بلطف: هل أخرج معك؟

- لا، بل أفضل الخروج وحدي.

- كما تشائين. ربما كنت على حق، ربما كان من الأفضل أن

الممعن في خداع نفسه. وأكمل روبين حديثه بانتهاج: ما أشعر به هو أن لدينا هنا شاباً رائعاً، يهبط بمظلته...

قاطعته السيدة أوليفر قائلة: ولكنه في الستين من عمره.

- آه، كلا!

- بل هو كذلك.

- أن لا أراه كذلك. بل في الخامسة والثلاثين... لا يزيد عنها يوماً واحداً.

- ولكنني أكتب عنه القصص منذ ثلاثين عاماً، وقد كان على الأقل في الخامسة والثلاثين في القصة الأولى.

- ولكن - يا عزيزتي - إذا كان فوق الستين، فلا يمكن أن يحدث التوتو بينه وبين الفتاة... ما اسمها؟ إنغريد. أعني أن ذلك سيجمعه يبدو مجرد عجوزٍ سخيف!

- بالتأكيد.

قال روبين بنشوة الانتصار: أترين إذن، يجب أن يكون في الخامسة والثلاثين.

- إذن لا يمكن أن يكون هو سفين جيرسن، بل اجعله شاباً نرويجياً في حركة المقاومة.

- ولكن يا عزيزتي أرياني، إن المحور الأساسي للمسرحية هي سفين جيرسن. يوجد جمهورٌ عريض شديد الإعجاب

السخف أن يكون أنبوب النسخ بهذا الطول، ولكن أحد العاملين في المتحف كتب ليخبرني بذلك. أحياناً أظن أن بعض الناس لا يقرؤون الكتب إلا بحثاً عن الأخطاء فيها. ما اسم القصة الأخرى؟ آه! «موت مبتدئة»، إنها قصة سخيفة جداً؛ فقد جعلتُ السلفون يذوب في الماء بينما هو لا يذوب في الماء، وكانت أحداثها كلها مستحيلة من البداية للنهاية، وقد مات ثمانية أشخاص على الأقل قبل أن تأتي الفكرة لسفين جيرسن!

قالت السيدة سويتيمان دون أن تتأثر بهذا النقد الذاتي: إن لها شعبية واسعة، ولن تصدقني مقدار رواجها! وإن كنت أنا لم أقرأ أبداً منها لأنني لا أجد الوقت الكافي لذلك.

- لقد حدثت لديكم جريمة هنا، أليس كذلك؟

- بلى، في تشرين الثاني الماضي. حدثت بين ظهرائنا، إذا صح التعبير.

- سمعت أن مُحققاً يبحث هنا في الأمر؟

- آه، أتعنين السيد الأجنبي القصير المقيم في لونغ ميدوز؟ لقد كان هنا البارحة و...

توقفت السيدة سويتيمان مع دخول زبون آخر لشراء الطوايح. انتقلت إلى الجانب الذي يُقدّم خدمات البريد وقالت: صباح الخير يا آنسة هندرسن. الجو دافئ بالنسبة لهذا الوقت من العام.

- نعم، هو كذلك.

أذهب وأرى أمي. إن المسكينة تشعر وكأنها قطعة صغيرة مُهملة، وهي تحب أن يولها الناس اهتماماً. وسوف تفكرين بذلك المشهد في الزنزانة، أليس كذلك؟ إن العمل بكامله يبدو رائعاً وسيكون أكبر نجاح نصل إليه. أعرف ذلك!

تهتدت السيدة أوليفر فيما مضى روبن قائلاً: ولكن الأمر الأهم هو أن تشعرني بالسعادة حيال ذلك!

رغمته السيدة أوليفر بنظرة باردة، وألقت على كتفها رداءً وانطلقت إلى بروديني. قررت أن تنسى مشكلاتها بأن تشغل نفسها بحل لغز الجرائم الحقيقية. إن هيركيول بوراو بحاجة للمساعدة، ولذا فسوف تلقي نظرة على القاطنين في بروديني، وستستخدم حدسها الأنثوي الذي لم يُخب من قبل وتخبر بوراو من هو القاتل. ولن يكون أمامها -عندها- إلا أن يحصل على الدليل الضروري.

بدأت السيدة أوليفر مهمتها بالذهاب إلى مكتب البريد وشراء رطلين من النفاخ، وأثناء عملية الشراء تبادلت حديثاً ودياً مع السيدة سويتيمان. وبعد أن أقرت أن الجو حارٌ بالنسبة لهذا الوقت من السنة، أشارت السيدة أوليفر إلى أنها تقيم مع السيدة أبورد في ليبرنامز.

- نعم، أعرف ذلك. لا بد أنك السيدة اللندنية التي كتبت قصصاً عن جرائم القتل، أليس كذلك؟ توجد عندي ثلاثة من كتبك.

ألقت السيدة أوليفر نظرة سريعة على الكتب المعروضة التي كانت مغطاة قليلاً بكتيبات الأطفال. قالت: «فضية السمكة الذهبية الثانية»، هذه قصةٌ جيدة تماماً. وقصة «القطعة هي التي ماتت» حيث جعلتُ طول أنبوب النسخ قدماً واحداً وهو في الحقيقة ستة أقدام. من

- أحقاً؟

فكرت السيدة أوليفر في مصدر المعلومات، ثم جازفت
بالقول: جانيث؟

- إن جانيث غروم تشكو وتبترم قليلاً، ولا يكاد المرء يدهش
لذلك؛ فهي نفسها ليست صغيرة، وهي تعاني بشدة من الروماتيزم
في موسم الرياح الشرقية. ولكنهم يُسمونه القرمس عندما يصيب
الوجهاء، فيستخدمون له كراسي المقعدين وغير ذلك. ما كنت
لأخاطر بفقد قدرتي على استخدام رجلي، ولكن المرء -هذه الأيام-
لو اشتكى من حكة بسيطة في يده لهُرع من فوره إلى الطبيب، وذلك
للحصول على مقابل لما يدفعه للضمان الصحي. لدينا الكثير من
هذه المشكلات الصحية هذه الأيام، ولا يفيد الإنسان كثيراً أن يديم
التفكير بسوء حالته.

قالت السيدة أوليفر: "أحبك على حق". ثم أخذت تفاحتها
وخرجت في أثر ديدرا هندرسن. ولم يكن ذلك صعباً، لأن كلب
الآنسة هندرسن كان مُسنأً ومترهلاً، وكان يتمتع نفسه بتفحص
الأعشاب وشم الروائح الزكية.

ورأت السيدة أوليفر أن الكلاب كانت دوماً وسيلة للتعرف على
الأخرين، ولذلك هفتت: يا له من كلب جميل!

بدا السرور على الشابة الضخمة ذات الوجه الدميم وقالت: إنه
جذاب بالفعل. ألسنتُ كذلك يا بن؟

نظر بن للأعلى، ثم هز جسمه قليلاً ومضى يشتم مجموعة من

حذقت السيدة أوليفر طويلاً بظفر الفتاة الطويلة، وكان معها
كلب مربوط بحبل.

قالت السيدة سويتيمان بلذة متجهمة: هذا يعني أن الأزهار التي
ستفتح ستصاب بالصقيع لاحقاً. كيف حال السيدة ويذربي؟

- بخير، شكرًا لك. لم تخرج كثيراً في الآونة الأخيرة، وذلك
بسبب الرياح الشرقية التي هبت مؤخراً.

- يُعرض قلم رائع في كيلستر هذا الأسبوع يا آنسة هندرسن،
يجب أن تذهبي.

- فكرت بالذهاب في الليلة الماضية، ولكني لم أستطع حمل
نفسي على ذلك.

- لقد نفذت الطوابيع من فئة خمسة سننات. هل نفي طوابيع
الثلثين وستة سننات بالغرض؟

ومع خروج الفتاة قالت السيدة أوليفر: السيدة ويذربي مقعدة،
أليس كذلك؟

أجابته السيد سويتيمان بلهجة لاذعة بعض الشيء: قد تكون
كذلك أو لا تكون. إن البعض مثلاً لا يجد الوقت للمرض.

- أتفق معك تماماً. كثيراً ما أقول للسيدة بورد إن من الأفضل
لها لو أنها بذلت مزيداً من الجهد ومزنت قدميها قليلاً.

بدت السيدة سويتيمان وكان ذلك أعجبها وقالت: إنها تتحرك
عندما تريد ذلك... أو هذا ما سمعته.

تكلمت ديردرا هندرسُن بصوت مختونق قليلاً. ووجهت السيدة أوليفر نظرها نحو مسكن السيدة ماغنتي السابق الذي كان صيبان كرهبان من عائلة كيدل يستمتعان الآن بتعذيب قطة على عتبه.

وتقدمت السيدة أوليفر خطوة للأمام لتحنج على هذا التصرف، ولكن القطة هربت بعد أن استخدمت مخالبيها بطريقة قوية. أطلق الصبي الأكبر -الذي خدشته المخالب بقوة- صرخة قوية، فقالت السيدة أوليفر: "أعطتك جزاءك!". ثم أضافت موجهة كلامها لديردرا هندرسُن: إنه لا يبدو مثل بيت وقعت فيه جريمة قتل، أليس كذلك؟

- بلى، لا يبدو كذلك.

بدت المرأتان على اتفاق بهذا الشأن، وأكملت السيدة أوليفر قائلة: لقد كانت خادمةً تنظيفٍ عجوزاً سرق أحدهم أموالها، أليس كذلك؟

- المستأجر. كان لديها بعض المال... تحت الأرض.

- نعم.

فجأة قالت ديردرا: ولكن ربما لم يكن هو المجرم في نهاية الأمر. يوجد هنا رجلٌ صغير مضحك... أجنبي، اسمه هيركيول بوارو.

- هيركيول بوارو؟ آه، نعم. أعرف كل شيء عنه.

- أهو رجلٌ تحرُّ حقاً؟

الأعشاب الشوكية، وأعجبه الرائحة فمضى يعبر عن إعجابه بطريقته المعتادة. وسألت السيدة أوليفر: هل يقال؟ إن الكلاب من فصيلة سيلاهيم غالباً ما تقاتل.

- نعم. إنه مقاتل رهيب؛ ولهذا السبب أبقه مربوطاً.

- لقد ظننتُ ذلك.

تأملت المرأتان الكلب، ثم قالت ديردرا هندرسُن بشيء من العجلة: أنت... أنت أريادي أوليفر، أليس كذلك؟

- بلى، وأنا أقيم مع عائلة أبورد.

- أعرف ذلك؛ أخبرنا روبن بأنك قادمة. يجب أن أخبرك عن مدى استمتاعي بكتبك.

وكالعادة احمرَّ وجه السيدة أوليفر حرجاً وتمتمت بحزن: آه... ثم أضافت متجهمة: أنا سعيدة جداً بذلك.

- لم أقرأ منها الكثير بالفدر الذي أحبه، ذلك أن الكتب تُرسل إلينا من «نادي كتب التايمز»، ولا تحب والدي الكتب البوليسية. إنها حساسة جداً وتلك القصص تبقيها متيقظة طول الليل. ولكنني أعشق تلك الكتب.

- لقد حدثت هنا مؤخراً جريمة حقيقية عندهم، أليس كذلك؟ في أي بيت حدثت؟ أحد تلك البيوت الصغيرة؟

- إنه ذلك البيت هناك.

قالت السيدة أوليفر بغموض: إن زوج الأم ليس كالأب الحقيقي، أليس كذلك؟ هل تتذكرين والدك؟

- لا؛ فقد توفي قبل أن أولد. وتزوجت أمي السيد ويذري عندما كنت في الرابعة. وقد كرهته دائماً. وأمي...

توقفت قبل أن تقول: لقد عاشت أمي حياة حزينة جداً. لم تلقَ عطفاً أو فهماً من أحد. إن زوج أمي رجل عديم الشعور وقاسٍ وبارد.

أومأت السيدة أوليفر برأسها ثم تمتمت: هذا الشاب، جيمس بنتلي، لا يبدو مجرمًا أبداً.

- ما خطر ببالي أبداً أن يعتقله الشرطة. أنا متأكدة أن الفاعل كان أحد المشردين. إنك تجدين مشردين مرعبين على هذه الطريق أحياناً. ولا بد أن الفاعل كان أحدهم.

قالت السيدة أوليفر مواسية: ربما اكتشف هيركيول بوارو الحقيقة.

قالت: "نعم، ربما..." ثم استدارت بسرعة ودخلت بوابة منزل هنتر كلوز.

تابعتها السيدة أوليفر بنظرانها لحظة أو اثنتين، ثم أخرجت من حقيبتها دفتر ملاحظات صغيراً وكتبت فيه: "ليست ديردرا هندرسن". ووضعت خطأً تحت كلمة ليست ضاغطة على القلم حتى كسرته.

- يا عزيزتي، إنه رجل ذائع الشهرة وبائع الذكاء.

- إذن ربما يكتشف بأنه لم يفعل ذلك.

- من؟

- ال... التزيل. جيمس بنتلي. آه، كم أتملُّ أن تُرأِ ساحته.

- حقاً؟ لماذا؟

- لأنني لا أريده أن يكون هو. لم أرد ذلك على الإطلاق.

نظرت إليها السيدة أوليفر بفضول مأخوذة بالعاطفة التي صبغت صوتها، ثم سألتها: أكنت تعرفينه؟

قالت ديردرا هندرسن ببطء: لا، لم أعرفه. ولكن حدث مرة أن زلت قدمي بين فيخ، فساعدني لتخليصه، ثم تحدثنا قليلاً...

- كيف كان يبدو؟

- كان يشعر بوحشة مرعبة. كانت أمه قد توفيت حديثاً، وكان مولعاً بها جداً.

قالت السيدة أوليفر بذكاء: وأنت مولعة جداً بأملك؟

- نعم، وقد جعلني ذلك أفهم. أعني أفهم شعوره؛ فأنا وأمي... ليس لنا إلا بعضنا البعض.

- أذكر أن روين أخبرني بأن لك زوج أم.

قالت ديردرا بعمارة: نعم، أي زوج أم.

هيركيول بوارو ذائع الشهرة في مجال عمله تماماً كما أنت مشهورة في مجالك، وقالت إيف إنها كانت وقحة معه بالأمس ولهذا فهي ذاهبة كي تدعوه إلى الحفلة أيضاً. فعلاً، اجعلي مسرح جريمته المقبلة في بروديني. ستكون جميعاً متشوقين لذلك.

قالت إيف: نعم، وستكون متعة كبيرة.

سأل روبن: من سيكون القتائل ومن سيكون الضحية؟

سألت السيدة أوليفر: من هي خادمك الحالية؟

قال روبن: آه! ليس هذا النوع من الجرائم؛ إنه مُمل جداً. أحسب أن إيف يمكن أن تكون ضحية ممتازة؛ إذ يمكن تصويرها مخنوقة!

قالت إيف: من الأفضل أن تُقتل أنت يا روبن. الكاتب المسرحي الصاعد مطعون في بيت ريفي.

قال روبن: ولكننا لم نستقر على قاتل بعد، ما رأيكما بأمي؟ تستخدم كرسيها المتحرك حتى لا تترك آثار أقدام. أظن أن هذا سيكون رائعاً.

- ولكن ما كان لها أن ترغب بقتلك يا روبن.

فكر روبن قليلاً وقال: نعم، لعلها لا ترغب بذلك. في الحقيقة كنت أفكر في أن تخنقك أنت. إنها لا تبالي كثيراً بعمل كهذا.

- ولكنني أريد أن تكون أنت الضحية، ويمكن أن يكون القتائل ديدرنا هندرسن، الفتاة الدمية المكبوتة التي لا تثير انتباه أحد.

في منتصف الطريق إلى أعلى التلة قابلت روبن أبورد متجهاً للأسفل وبصحبته شابة جميلة ذات شعر بلاتيني.

قام روبن بالتعريف: هذه أريادني أوليفر الرائعة يا إيف. لا أدري - يا عزيزتي - كيف تفعل ما تفعله، وهي تبدو شديدة الطيبة أيضاً، أليس كذلك؟ لا تبدو كمن خاض في الجريمة خوفاً. هذه إيف كارنتر. سيكون زوجها مندوبنا القادم في البرلمان، إن مندوبنا الحالي، السير جورج كارتر، عجز خرف تماماً. إنه يبث على الفتيات الصغيرات من خلف الأبواب!

قالت إيف: روبن، يجب أن لا تختلق مثل هذه الأكاذيب الفظيعة؛ ستسوّه سمعة الحزب.

- ولماذا أهتم؟ إنه ليس حزبي. أنا ليبرالي، وهذا هو الحزب الوحيد الذي يمكن الانتماء إليه هذه الأيام، صغير وخبوي، ولا فرصة له في الوصول إلى البرلمان. إنني أشق القضايا الخاسرة.

ثم أضافت قائلاً للسيدة أوليفر: تودّ إيف أن ندعونا هذا المساء. حفلة صغيرة من أجلك يا أريادني، على طريقة مقابلة الأسد. نحن مسرورون لوجودك هنا. ألا تستطيعين أن تجعلي مسرح جريمته المقبلة هنا في بروديني؟

قالت إيف كارنتر: نعم، افعلي ذلك يا سيدة أوليفر.

قال روبن: بإمكانك أن تُحضري سفين جيرشن إلى هنا بسهولة، يمكنه أن يكون مثل هيركيول بوارو ويقدم في نزل الضيافة لدى عائلة سمرهيز. نحن ذاهبون هناك الآن لأنني أخبرت إيف أن

قال السيدة أوليفر بصوت ينم عن الارتياح: توزيع الأدوار.

- أعرّف الشخص المناسب تماماً لدور إيريك. إنه سيسيل ليتش، وهو يمثل الآن في مسرح جوال صغير في كولينكيه. سنذهب إلى هناك ونشاهد العرض ذات مساء.

قالت إيف مخاطبة مورين: نريد التزيل الذي عندكم. هل هو موجود؟ أريد أن أدعوه لحفلة الليلة.

قالت مورين: سنحضره معنا.

- أرى من الأفضل أن أدعوه بنفسى، فالحقيقة أنني كنت فظة معه بالأمس.

قالت مورين بغموض: آه، حسناً. إنه في مكان ما هنا، أظنه في الحديقة. كروميك... فلين... يا للكلاب القذرة! ثم أسقطت الدلو مُحدثة صوتاً عالياً وركضت باتجاه بركة البط، حيث تعالى نقيق البط المجنون.



- رأيت يا أريادني؟ ها هي ذي عقدة روائتك القادمة موجودة أمامك، وكل ما عليك عمله أن تعملي على اختراع بعض المؤشرات المُضَلِّلة والقيام -طبعاً- بالكتابة الفعلية للقصة. يا إلهي، يا لكلاب مورين المخيفة!

كانوا قد التقوا عند بوابة لونغ ميدوز حيث اندفع كلبان أيرلنديان للأمام وهما ينبهان. وخرجت مورين سمرهيز إلى ساحة الإصطبل حاملة دثراً في يدها ونادت: تعال يا فلين. تعال هنا يا كورميك. مرحباً، إنني أقوم بتنظيف الإصطبل.

قال روبن: نعرف ذلك يا عزيزتي؟ بإمكاننا أن نشم رائحتك من هنا. يا للحياة المشيرة التي تعيشينها أنت وجوني!

قالت إيف: هلا أتيت مع جوني لمشاركتنا في حفلة هذا المساء يا مورين؟

- يسعدني ذلك.

قال روبن: لتقابلي السيدة أوليفر. ولكن بإمكانك فعلاً مقابلتها الآن؛ فهي هذه.

قالت مورين: أهي أنت حقاً؟ يا له من أمر مشير! أنت وروبين تكتبان مسرحية معاً، أليس كذلك؟

قال روبن: إنها تسير بشكل رائع. وبالمناسبة يا أريادني، لقد خطرت ببالي فكرة رائعة بعد أن خرجت هذا الصباح، بخصوص توزيع الأدوار.

بدا على بوارو عدم الاقتناع وقال: ولكن ماذا كان دافعه برأيك؟

- ممارسة سلوك لا تُقره أعراف مهنته، وقد عرفت السيدة ماغنتي بذلك. ولكن أياً كان السبب، يمكنك أن تتق بأنه هو الفاعل. لقد فكرتُ بالآخرين جميعاً، وهو صاحبنا.

وجواباً على ذلك قال بوارو لمجرد المضي في الحديث: لقد حاول أحدهم مساء أمس دفعي على خط سكة الحديد في محطة كيلشستر.

- يا إلهي! أعني بهدف قتلك؟

- لا أشك في أن هذا كان هدفه.

- وقد كان الدكتور ريندل خارجاً لمعاينة حالة مرضية، أعرف ذلك.

- نعم، الدكتور ريندل كان خارجاً بالفعل لمعاينة حالة مرضية.

قالت السيدة أوليفر بشيء من الرضا: هذا يُنهي الأمر إذن.

- ليس تماماً. لقد كان كل من السيد والسيدة كارينتر في كيلشستر الليلة الماضية وجاءا إلى البيت كل على انفراد، وربما أمضت السيدة ريندل المساء في بيتها تستمع للمذياع وربما لم تفعل ذلك... لا يمكن لأحد أن يجزم بهذا. وغالباً ما تذهب الأتسة هندرسن إلى السينما في كيلشستر.

الفصل الثالث عشر

افترت السيدة أوليفر - وكأس العصير في يدها - من هيركيول بوارو في الجزء الأخير من حفلة عائلة كارينتر. وحتى ذلك الحين كان كلاهما محط اهتمام دائرة من المعجبين. أما الآن، والحفلة في نهايتها، فقد مال الأصدقاء القدامى للتجمع معاً وسرد قصص الفضايح المحلية، وبذلك استطاع الغريبان أن يتكلموا معاً.

همست السيدة أوليفر بصوت تأمري: "تعال إلى المصطبة الخارجية". وفي نفس الوقت ضغطت على يده واضعة ورقة صغيرة بها.

خرج الاثنان من الباب الزجاجي وأخذوا يمشيان في المصطبة، وفتح بوارو قفصاصة الورق وقرأ: الدكتور ريندل.

نظر إلى السيدة أوليفر مستهتماً، فأومأت برأسها بقوة حتى تدلت خصلة من شعرها الرمادي على وجهها وقالت: هو القتال.

- أنتظين ذلك؟ لماذا؟

- أعرف ذلك وكفى. إنه من ذلك النوع. منفتح وودود.

رمش بوارو بحفنيه قليلاً وقال: مثل هذا الاقتراح كابوس حفاً!

- أنت تعرف الآن ما أعانيه.

- وأنا أيضاً أعاني. إن طبخ مدام سمرهيز يجلب عن الوصف. إنه ليس طبخاً على الإطلاق! وكذلك تيارات الهواء، الرياح الباردة، والغثيان الذي يصيب القفط، وشعر الكلاب الطويل، وأرجل الكراسي المكسورة، والسريير القطيع المربع الذي أنام فيه...

ثم أغلقت عينيه وهو يتذكر آلامه ومضى قائلاً: الماء الفاتر في الحمام، والثقوب في سجادة الدرج، والقهوة... إن الكلمات تعجز عن وصف ذلك السائل الذي يقدمونه لك على أنه قهوة. إنه إهانة للمعدة.

- يا إلهي! ومع ذلك فالمرأة لطيفة للغاية.

- السيدة سمرهيز؟ إنها فاتنة. إنها حقاً فاتنة، وهذا ما يزيد الأمر صعوبة.

- ها هي ذي قادمة.

كانت مورين سمرهيز تقترب منهما، وكانت على وجهها المنمش نظرة نشوة، وقد حملت كأس عصير في يدها. ابتسمت لهما بمحبة وقالت: أحسب أنني مسرورة؛ فانا أحب الحفلات فعلاً، ولا تُقام الحفلات كثيراً في بروديني، أما هذه فلأنكما مشهوران. ليتني أستطيع الكتابة! مشكلتي أنني لا أنفن القيام بأي شيء بالشكل الصحيح.

- ولكنها لم تذهب الليلة الماضية، فقد كانت في البيت. هي أخبرتني بذلك.

قال بوارو مؤنباً: لا يمكنك أن تصدقي كل ما تسمعين. إن الأمر تبقى مجتمعة. وبالمقابل فإن الخادمة الأجنبية، فريدا، كانت في السينما الليلة الماضية، ولذلك لا تستطيع أن تخبرنا من كان في البيت ومن كان خارجة! وهكذا ترين أنه ليس من السهل تضييق دائرة الشك.

- ربما أستطيع أن أشهد بالنسبة للذين أقيم عندهم. متى حدث ذلك؟

- في الساعة التاسعة وخمس وثلاثين دقيقة بالضبط.

- إذن فإن ساكني ليهينامز أبرياء تماماً من ذلك. لقد كنا (أنا وروين وأمه ولعب) الورق من الساعة الثامنة وحتى العاشرة والنصف.

- لقد حسبتُك معتكفة معه لتعملا في المسرحية المشتركة؟

قالت السيدة أوليفر ضاحكة: ونترك الأم تقفز على دراجة وتختين بين الشجيرات؟ لا، لقد كانت على مرأى منا.

ثم تنهدت إذ راودتها أفكار أكثر إثارة للحرز وقالت بمرارة: مسرحية مشتركة... إن الأمر كله كابوس! كيف تشعر إذا رأيت شارباً أسود ضخماً على وجه مفتش شرطة رهيب، ثم قيل لك إن هذا هو أنت.

ما قالته، وكانت تعني التعليم الجيد والملابس والبيئة المريحة... أم تحفظ به وأنت لا تستطيع أن توفر له أية ميزة. أحسب ذلك غباء... غباء حقاً. فإذا ما استطعت أن توفر للطفل ما يكفي لطعامه فهذا كل ما يهم.

ثم نظرت إلى كأسها الفارغة وكأنها قطعة كريستال وقالت: فلتسألني أنا عن ذلك؛ فقد كنتُ طفلة مثيابة. افترقتُ أمي عني وتوفرت لي كل المميزات (كما يسمونها). ولكن الأمر يؤلم دائماً... دائماً... دائماً... أن تعرف أنك لم تكن مرغوباً حقاً، وأن أمك تركتك.

قال بوارو: لعل ذلك كان تضحية لمصلحتك.

التقت عيناها الصافيتان بعينه وقالت: لا أحسب أن ذلك صحيح أبداً. إنها الطريقة التي يبررون الأمر بها لأنفسهم، ولكن المعنى الحقيقي لذلك هو أن يوسعهم الاستمرار من دونك... وهذا يؤلم. ما كنتُ لأتخلى عن أطفالتي... ولو كان ذلك مقابل مميزات الدنيا كلها!

قالت السيدة أوليفر: أحسب أنك على حق.

قال بوارو: وأنا أيضاً، أوافقك الرأي.

قالت مورين بمرح: هذا حسنٌ إذن. ما الذي نتناقش بشأنه؟

قال روبن الذي قدم إلى الشرفة للانضمام إليهم: نعم، ما الذي نتناقشون بشأنه؟

قال بوارو: أنت زوجة وأم جيدة يا سيدتي.

فتحت مورين عينها، عينين عسليتين جميلتين في وجه منمش. وتساءلت السيدة أوليفر كم عساه يكون عمرها، وخبثت أنها لا تتجاوز الثلاثين كثيراً.

قالت مورين: أنا حقاً كذلك؟ أشك في هذا. إنني أحبهم جميعاً أشد الحب، ولكن هل يكفي ذلك؟

تنحج بوارو وقال: أرجو أن لا تعتبري ذلك وقاحة مني يا سيدتي، ولكن الزوجة التي تحب زوجها حقاً يجب أن تهتم كثيراً ببطنه؛ فالبطن مهم جداً.

بدا وكأن مورين شعرت بشيء من الإهانة، وقالت بسخط: إن لجوني بطناً رائعاً، بطناً مستويًا غير بارز، بل إنه لا يملك بطناً على الإطلاق.

- لقد قصدت ما يدخل البطن.

- تعني طبعي؟ أنا لم أرَ أبداً أن ما يأكله المرء بهم كثيراً.

دمدم بوارو فيما مضت تقول حالمة: ولا ما يلبسه، أو يفعله. لا أعتقد أن هذه الأمور تعني شيئاً حقاً.

سكنت للمحظات وعيناها غائمتان كما لو أنها تنظر إلى الأفق البعيد، ثم قالت فجأة: كانت امرأة تكتب في الصحيفة قبل أيام... رسالة غبية فعلاً. كتبت تسأل ما هو الأفضل: أن تدع طفلك كي يتباه شخص قادر على أن يوفر له كل المميزات... نعم، كل المميزات... هذا

سألت السيدة أبورد: أتراني ألتهمك يا روبن؟

- أمي؟ كلا بالطبع!

ولتخفي ارتباكها شرعت مورين بسرد وقائع تربيتها لكلاب الصيد الأيرلندية، وبذلك أصبح الحديث فنياً.

قالت السيدة أبورد بشكل جازم: لا يمكنك تفادي تأثير الوراثة... سواء في الناس أو في الكلاب.

تسمنت شيلا ريندل: ألا تظنين أن البيئته هي الأهم؟

قاصتها السيدة أبورد قائلة: أنا لا أظن ذلك يا عزيزتي. إن البيئته توفر غطاء خادعاً لا أكثر، وما يهم هو ما تُجبل عليه الناس.

استقرت عينا هيركيول بوارو -باستغراب- على وجه شيلا ريندل المحمرّ خجلاً. قالت بما بدا عاطفةً غير ضرورية: ولكن هذا قاس... ليس عدلاً.

قالت السيدة أبورد: الحياة ليست عادلة.

اشترك جوني سمرهيز بصوته الكسول البطيء في الحديث: أنا أتفق مع السيدة أبورد. إن العرق دساس، كان هذا رأيي دائماً.

قالت السيدة أوليفر متسائلة: أعني أن الأمور تُورث إلى الجيل الثالث أو الرابع؟

قالت مورين سمرهيز -فجأة- بصوتها المرتفع العذب: ولكن الحكمة تقول: «أظهر رحمتهك للألاف».

قالت مورين: النبي. أنا لا أحب النبي، هل تحب أنت ذلك؟

قال روبن: حسناً، إنها أفضل بكثير من الئيم، ألا تظنين ذلك يا عزيزتي؟ أعتقد أن علينا أن نذهب الآن، أليس كذلك يا أريادني؟

غادر الضيوف دفعة واحدة، وكان الدكتور ريندل قد اضطرب للمغادرة مسرعاً قبلهم. نزلوا التلة معاً يتكلمون بمرح، وعند وصولهم بوابة ليبرنامز أصر روبن على أن يدخلوا جميعاً عنده قائلاً: فقط لنخبر أمي عن الحفلة؛ فقد كان ممللاً جداً بالنسبة للمسكينة أن لا تستطيع الذهاب معنا بسبب رجُلها التي أخذت تؤلمها. ولكنها تكره كثيراً البقاء وحيدة معزولة عن مجريات الأمور.

اندفعوا للدخول بمرح وبدت السيدة أبورد سعيدة برويتهم. سألتهم: من كان هناك أيضاً؟ عائلة ويذربي؟

- لا، لم تكن السيدة ويذربي بحالة جيدة، ولم تقبل تلك الفتاة الغبية هندرسن التقدم من دونها.

قالت شيلا ريندل: إنها حقاً تثير الشفقة، أليس كذلك؟

قال روبن: أحسب أنها تكاد تكون مريضة، ما رأيك؟

قالت مورين: "والدتها هي السبب. إن بعض الأمهات يكدن بأكلن صغارهن، أليس كذلك؟". ولكنها احمرت خجلاً عندما التقت عينها بعيني السيدة أبورد المتسائلتين.

قال يوارو: الثاني والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر).

- ليلة الثاني والعشرين؟

قالت مورين: يا إلهي، لا أدري.

قالت السيدة ريندل: ليس بوسع أحد أن يعرف بعد كل هذا

الوقت.

قال روبن: أنا أعرف؛ لأنني كنت أذيع في تلك الليلة. لقد

ركبت السيارة إلى كولبورت لإلقاء كلمة عن المسرح. أتذكر ذلك

لأنني ناقشت مطولاً شخصية خادمة التنظيف في مسرحية «الصندوق

الفضي» لغالسوردي، وفي اليوم التالي قُلت السيدة ماغتي.

وتساءلت إن كانت خادمة التنظيف في المسرحية مثلها.

قالت شيلا ريندل فجأة: هذا صحيح. وقد تذكرتُ الآن، لأنك

قلت إن أمك ستكون وحيدة بسبب إجازة جانيت، وجئتُ أنا إلى

هنا بعد العشاء لأبقى بصحبتها. ولكن -لسوء الحظ- لم أستطع أن

أجعلها تسمع صوت الباب.

قالت السيدة أبورد: دعيني أفكر. آه، نعم، بالطبع. كنتُ قد

ذهبتُ إلى السرير وأنا أشعر بصداق شديد، وغرفة نومي تواجه

الحديقة الخلفية.

قالت شيلا: وفي اليوم التالي، عندما سمعتُ عن مقتل السيدة

ماغتي قلت: "أوه، كان يمكن أن أصادف القاتل في طريقي في

الظلمة..." لأننا ظننا جميعاً -في البداية- أن مشرداً قد اقتحم عليها

البيت وقتلها دون شك.

مرة أخرى، ظهر شيء من الإحراج على الجميع، ربما بسبب

المسلك الجاد الذي سلكه النقاش، ولذلك حاولوا الابتعاد عن

الموضوع بمهاجمة يوارو: أخبرنا عن السيدة ماغتي يا سيد يوارو.

لماذا لم يكن التزليل التكد هو القاتل؟

قال روبن: لقد اعتاد على الددمة بصوت منخفض وهو يمشي

في الأزقة. كنتُ أقابله كثيراً، وفعلتُ كان يبدو غريب الأطوار كثيراً.

- لا بد أن لديك سبباً للظن بأنه لم يقتلها يا سيد يوارو. ما

هو؟

ابتسم لهم يوارو وقتل شاربه.

- إذا لم يقتلها، فمن الذي قتلها؟

- نعم، من الذي قتلها؟

قالت السيدة أبورد بجفاء: لا تُخرجوا الرجل. ربما كان يشك

في أحد منا.

-أحد منا؟ آه!

وفي غمرة الجلبة تلاقت عينا يوارو بعيني السيدة أبورد. كانتا

مسرورتين، وفيهما شيء آخر. أكان تحدياً؟

قال روبن بمرح: "إنه يشك في واحد منا". ثم أخذ يقلد

صوت محقق شرطة قاتلاً: والأنا يا مورين، أين كنت ليلة... أية

ليلة كانت؟

وبحركة مسرحية ألقى الصور على الطاولة، فتجمهروا حولها
وقد أحنوا ظهورهم مطلقين عبارات الدهشة.

- انظروا!

- يا للنساء المخيفات!

- انظروا إلى الورود. ورود، ورود، على طول الطريق!

- يا لتلك القبة!

- وهذه الطفلة المخيفة!

- ولكن من هؤلاء؟

- أليست الأزياء سخيفة؟

- لا بد أن تلك المرأة كانت جميلة يوماً ما.

- ولكن لماذا تكون هذه الصور خيوطاً؟

- من هم هؤلاء؟

نظر بوارو -ببطء- إلى دائرة الوجوه حولها، ولكنه لم ير شيئاً
غير ما هو متوقع. قال: ألم تتعرفوا على أي منها؟

- تتعرف؟

- لأقل بالأحرى: ألا تذكرون رؤية أي من صاحبات هذه

الصور من قبل؟ نعم يا سيده أبوورد؟ لقد تعرّفت على شيء ما،
أليس كذلك؟

قالت مورين: ما زلت لا أستطيع أن أذكر ماذا كنت أعمل.
ولكنني أذكر صباح اليوم التالي؛ فقد كان الختاز هو الذي أخبرنا
بذلك. قال: "لقد قتلت السيدة العجوز ماغنتي". وكنت أنساءل حينها
لماذا لم تظهر كالعادة.

ثم ارتعدت وقالت: إنه أمر فظيع حقاً، أليس كذلك؟

كانت السيدة أبوورد ما زالت تراقب بوارو. وفكر مع نفسه
قائلاً: إنها امرأة ذكية جداً... وقاسية أيضاً، كما أنها أنانية، وإذا ما
أقدمت على فعل شيء -كأننا ما كان- فلن نقف أمام أي وازع أو
تحس بأي ندم.

كان صوت حاد يتكلم حائماً متسائلاً: ألم تصل إلى أية خيوط
يا سيد بوارو؟

كان ذلك صوت شيللا ريندل. وتهلل وجه جوني سمرهيز
حماسةً وقال: هذا هو المهم، الخيوط. هذا ما أحبه في القصص
اليونانية... الخيوط التي تعني كل شيء لرجل التحري، ولا تعني
شيئاً للقرائ... حتى النهاية، حيث تكاد تعض نفسك لعدم انتباهك
لأهميتها. ألا تستطيع أن تعطينا خيطاً بسيطاً واحداً يا سيد بوارو؟

التفتت نحوه وجوه ضاحكة ومستجيبة. لقد كانت لعبة بالنسبة
لهم جميعاً (ربما باستثناء واحد منهم)، ولكن القتل ليس لعبة...
القتل أمر خطير. لا يمكن للمراء أن يحزم بشيء أبداً.

وبحركة مفاجئة سريعة، أخرج بوارو أربع صور من جيبه وقال:
أتريدون خيطاً؟ هاكم!

ضحك الجميع واستأذنوا وانصرفوا تبعاً. وفكر بوارو: أكان
حكمة أم غباء أن يعرض تلك الصور؟ لم يكن متأكداً، ولكنه تمت
عذراً، ثم استدار عائداً.

دفع البوابة وفتحها ومشى إلى البيت. ومن النافذة المفتوحة إلى
يساره سمع دمدمة صوتين. كانا صوتي روين والسيدة أوليفر. كلامٌ
قليلٌ للسيدة أوليفر وكثيرٌ لروين.

دفع بوارو الباب ودخل من الباب الأيمن إلى الغرفة التي
غادرها قبل لحظات. كانت السيدة أبورد تجلس أمام النار وعلى
وجهها نظرة متجهمة، وكانت غارقة في التفكير إلى الحد الذي
أجفلها معه دخوله.

عند سماع نحيبها التي أطلقها معتذراً نظرت للأعلى بحدة
وقد جفلت، ثم قالت: آه، هذا أنت؟ لقد أجفلتني.

- أنا آسف يا سيدتي. أظننت أن القادم شخص آخر؟ من ظننت
يكون؟

لم تُجِبْ عن ذلك، بل اكتفت بالقول: هل تركت شيئاً
وراءك؟

- أخشى أن أكون قد تركت ورائي الخطر.

- الخطر؟

- الخطر، ربما عليك أنت؛ لأنك تعرفت - قبل قليل - على
إحدى تلك الصور.

ترددت السيدة أبورد وقالت: بلى، أظنني...

- أية واحدة منهن؟

استقرت سباتها على الوجه الطفولي ذي النظارات، وجه
ليلي غامبول.

- لقد رأيت هذه الصورة... متى؟

- منذ عهد قريب تماماً. أين رأيتها؟ لا، لا أستطيع أن أتذكر،
ولكنني متأكدة من أنني رأيت صورة مثلها تماماً.

ثم جلست عابسة وقد تقطب حاجباها. ولم تستيقظ من شرودها
إلا عندما جاءتها السيدة ريندل قائلة: وداعاً يا سيدة أبورد. أمل أن
تأتي لاحساء الشاي معي يوماً عندما ترغين بذلك.

- شكراً يا عزيزتي. إذا دفعني روين إلى أعلى التلة.

- بالطبع يا أمي، لقد أصبحت عضلاتي قوية من دفع ذلك
الكرسي. هل تذكرين يوم ذهبنا إلى عائلة ويذري وكانت الأرض
موحلة جداً...

أطلقت السيدة أبورد آهة فجأة، فقال روين: ما الأمر يا أمي؟

- لا شيء، أكمل.

- عندما دفعنك إلى أعلى التلة، انزلت الكرسي أولاً، ثم
ترحلت أنا. وظننت أننا لن نصل يومها إلى البيت.

- ربما... إلى درجة معينة. إن المعرفة قوة، والقوة يجب أن لا تُستخدم إلا للأهداف الصحيحة. اعذرني إذا قلت إنك ربما لا تُقدّر نمط حياتنا الريفية الإنكليزية.

- أي أنك تقولين لي بعبارة أخرى: "ما أنت سوى أجنبي مغفل".

ابتسمت السيدة أبورد قليلاً وقالت: ما كنتُ لأكون بهذه الوفاة.

- إذا كنتِ لا ترغبين بالحديث إليّ، فماذا عن المفتش سبنس؟

- يا عزيزي السيد بوارو، لا تريد الشرطة! ليس في هذه المرحلة.

رفع بوارو كتفيه بلامبالاة وقال: لقد حذرتك.

ذلك أنه كان متأكد أن السيدة أبورد قد تذكرت الآن تماماً وبالضبط متى وأين رأت صورة ليبي غامبول.

* * *

- ما كنتُ لأقول: "تعرفت"؛ فكل الصور القديمة تبدو متشابهة تماماً.

- اسمعيني يا سيدتي. لقد تعرفت السيدة ماغنتي أيضاً على واحدة من تلك الصور... أو أن هذا ما أعتقد. والسيدة ماغنتي ميتة.

وبومضة فكاها غير متوقعة في عينيها، قالت السيدة أبورد: السيدة ماغنتي ميتة. كيف ماتت؟ بدسّ أنفها كما أفعل أنا، كما تقول أغنية الأطفال. أهذا ما تعنيه؟

- نعم. إذا كنت تعرفين شيئاً... أي شيء كان، فأخبريني الآن؛ فسوف يكون ذلك أكثر أماناً.

- يا سيدي العزيز، الأمر ليس بهذه البساطة. لست متأكدة أبداً من معرفتي بشيء... وليس لديّ - بالتأكيد - ما أعرفه كحقيقة لا يخامرها الشك. إن الذكريات المبهمة مسألة خادعة. سيتعين على المرء أن يعرف كيف وأين ومتى، إن كنتَ تفهم قصدي.

- ولكن يبدو لي أن لديك مثل هذه المعرفة بالفعل.

- الأمر يتطلب أكثر من ذلك؛ إذ توجد عوامل مختلفة يجب أخذها بعين الاعتبار. ليس من المفيد استعجالك لي بالكلام يا سيد بوارو. لست من الأشخاص الذين يتدفعون في اتخاذ القرارات. إن لديّ عقلي الخاص، وأنا أخذ وقتي في اتخاذ القرار، وعندما أصل إلى قرار أتصرف. ولكن ليس قبل أن أستعد لذلك.

- أنت امرأة متكتمة بأكثر من معنى يا سيدتي.

جفنيها تغضن، ويداعها لا تنفكان تشابكان يتململ. قالت: أرجو...
أرجو أن لا أكون قد قاطعتك. ربما كنت مشغولاً.

- لا، لست مشغولاً. هذا اليوم جميل. إنني أستمع بجمال
الربيع؛ فجميل أن يخرج المرء للهواء الطلق، وفي منزل السيدة
سمرهيز يوجد دوماً تيار هوائي.

- نعم، نعم. أحسب أن به تيارات هوائية.

- النوافذ لا تُغلق أبداً، والأبواب لا تنفك تفتح طوال
الوقت.

- إنه بيت مهلهل بعض الشيء، وعائلة سمرهيز مُعوزة طبعاً
بحيث لا يستطيعون إصلاحه. لو كنت مكانهم لتركته. أعرف أنه إرث
العائلة لمتات السنين، ولكنك لا تستطيع -في أيامنا هذه- أن تتعلق
بالأشياء لأسباب عاطفية فقط.

- نعم، لم نعد عاطفيين هذه الأيام.

ساد شيء من الصمت، وراقب بوارو -بطرف عينيه- تلك
اليدين البيضاءين المرتبكتين، وانتظر منها هي أن تبادر. وعندما
تكلمت كان ذلك على نحو مفاجئ. قالت: أحسب أنك عندما...
عندما تحقق في أمر ما، تكون لديك دوماً ذريعة، اليس كذلك؟

فكر بوارو في سؤالها. ورغم أنه لم ينظر إليها، إلا أنه كان
مدركاً تماماً لنظرتها الجانية المتلهفة المُركزة عليه. أجابها بصورة
لا تنم عن موقف: كما تقولين يا سيدتي، فهذا مدعاة لراحة المرء.

الفصل الرابع عشر

قال هيركيول بوارو لنفسه صباح اليوم التالي: من المؤكد أن
الربيع يصبح جميلاً هنا.

بدت المخاوف التي راودته ليلة أمس غير مبررة؛ فقد كانت
السيدة أبورد امرأة عاقلة يمكنها الاعتناء بنفسها جيداً. ومع ذلك فقد
أشرت اهتمامه بطريقة غريبة. لم يفهم ردود أفعالها على الإطلاق،
ومن الواضح أنها لم ترد له أن يفهم. لقد تعرفت إلى صورة ليلي
غامبول وكانت عازمة على أن تتصرف بمفردها.

وبينما كان بوارو يقطع ممرأ في الحديقة متابعاً هذه التأملات
فاجأه صوت من الخلف: سيد بوارو.

كانت السيدة ريندل قد اقتربت منه بهدوء لم يسمعها معه.
كان يشعر بعصبية بالغة منذ يوم أمس. قال: عذراً يا سيدتي، لقد
أجفنتي.

إنسمت السيدة ريندل بطريقة آلية، ورأى بوارو أنه إذا كان
هو متوتر الأعصاب فإن السيدة ريندل أكثر منه توتراً. كان في أحد

قال بوارو بحذر: أحياناً تكون كذلك.

أصرت قائلة: بل دائماً.

- لا أعرف إذا كان بإمكانني أن أذهب إلى هذا الحد؟

قالت شيلا ريندل بحماسة: إنها وسائل جبانة وغادرة ووضيعة.

- كل ذلك، نعم. أوافقك الرأي.

- ولا يمكن أن تصدق ما قيل في واحدة منها، أليس كذلك؟

قال بوارو بجديّة: هذا سؤال صعب جداً.

قالت: "أنا لا أصدّقها. ما كنتُ لأصدق شيئاً من هذا القبيل". ثم أضافت بحماسة: أنا أعرف لماذا أنت هنا... ولكن الأمر ليس صحيحاً، تأكد أنه ليس صحيحاً.

ثم استدارت بحدة ومشّت بعيداً. ورفع بوارو حاجبيه باهتمام وسأل نفسه: والآن ماذا؟ هل يجري خداعي؟ أم أن هذا طائر من نوع آخر؟ شعر بأن الأمر كله مُربك تماماً.

لقد زعمت السيدة ريندل بأنها ترى أنه جاء إلى هنا لسبب آخر غير التحقيق في موت السيدة ماغنتي، وألمحت إلى أن ذلك مجرد ذريعة له. أهي تؤمن حقاً بذلك؟ أم أنها تحاول تضليله كما قال لنفسه توأ؟ ما علاقة الرسائل مجهولة المصدر بهذا الأمر؟ أكانت السيدة ريندل صاحبة الصورة التي قالت السيدة أبورد إنها رأتها مؤخراً؟

- أعني تشرح سبب وجودك في مكان ما... وطرح الأسئلة.

- قد يكون ذلك مفيداً.

- لماذا... لماذا أنت حقاً هنا في بروديني يا سيد بوارو؟

التفت إليها بنظرة فيها الغليل من الدهشة وقال: يا سيدتي العزيزة! لقد أخبرتك. لأحقق في موت السيدة ماغنتي.

قالت السيدة ريندل بحدة: أعرف أن هذا ما تقوله، ولكن هذا سخيف.

رفع بوارو حاجبيه وقال: أحقاً؟

- بالطبع. لا أحد يصدق ذلك.

- ومع ذلك فأنا أؤكد لك أنها حقيقة أكيدة.

رمشت عينها الزرقاوان الشاحبتان ونظرت بعيداً وقالت: لن تخبرني.

- أخبرك... بماذا يا سيدتي؟

وبدا أنها غيرت الموضوع على نحو مفاجئ مرة أخرى: أردت أن أسألك... عن الرسائل المغفلة من التوقيع؟

قال بوارو مشجعاً إذ توقفت عن الكلام: نعم.

- إنها تكون دائماً أكاذيب، أليس كذلك؟

- أهي كذلك؟ قِطَاعَة سُكَّر؟

- نعم، قِطَاعَة سُكَّر... أو مطرقة سُكَّر. لا أعرف اسمها بالضبط. إنها مضحكة حقاً، أليس كذلك؟ مع هذا الشكل الطفولي لعصفور في أعلاها.

قلِّبْ بوراو الأداة بحرص بين يديه. إنها مصنوعة من النحاس كثير الزخرفة، ومصممة على شكل مطرقة ثقيلة، ولها حافة قاطعة حادة. كانت مُرصعة هنا وهناك بحجارة ملونة بالأزرق الفاتح والأحمر، وقد زُيِّنَتْ في أعلاها بطائر صغير ذي عيينين بلون الفيروز.

قالت مورين على سبيل التحدث: "إنها شيء رائع للقتل، أليس كذلك؟" ثم أخذت الأداة منه ووجهت ضربة قاتلة على نقطة في الفراغ وقالت: أمر سهل جداً. أحسب أن بإمكانك ضرب أي شخص على دماغه بهذه الأداة، أليس كذلك؟

نظر بوراو إليها. كان وجهها المنمش هادئاً متبهجاً. قالت: أخبرت جوني بما سيحدث له إذا شتمت منه... أنا أسميتها أفضل صديق للزوجة!

ثم ضحكت ووضعتها ومضت باتجاه الباب. ثم ما لبثت أن سألت نفسها: لماذا أتيتُ إلى هنا؟ لا أذكر لماذا... ولماذا أهتم؟! الأفضل أن أذهب لأرى إذا كانت الفطيرة بحاجة إلى المزيد من الماء في الإناء.

أوقفها صوت بوراو قبل أن تصل إلى الباب: لعلك أحضرت

وبعبارة أخرى: هل السيدة ريندل هي ليلي غامبول؟ إن آخر ما شمع عن ليلي غامبول (التي أعيد تأهيلها في المجتمع) هو أنها في أيرلندا. هل قابل الدكتور ريندل زوجته هناك وتزوجها وهو يجهل تاريخها؟ لقد تدرت ليلي غامبول على الاختزال، ومن السهل جداً أن تلتقي طريقها وطريق الدكتور ريندل.

هز بوراو رأسه وتنهَّد. كان هذا كله ممكناً جداً، ولكن عليه أن يتأكد. هبت ريحٌ باردة فجأة واختفت الشمس، فارتعش بوراو وقفل عائداً إلى البيت.

نعم، عليه أن يتأكد. لو استطيع -فقط- العثور على السلاح الفعلي للجريمة...

وفي تلك اللحظة، ويشعور غريب باليقين... رآه.

سأله بوراو لاحقاً إن كان قد رأى أو لاحظ -لا شعورياً- وجود تلك الأداة من قبل؟ إذ يُفترض أنها كانت موضوعة هناك منذ أن أتى إلى لونغ ميدوز. هناك، على ظهر خزانة الكتب المليء بالأوساخ بمحاذاة النافذة.

فكر بوراو: لماذا لم ألاحظها أبداً من قبل؟

أخذها ووزنها في يديه، تفحصها، وأزنها، رفعها ليضرب... ودخلت مورين من الباب مندفعة كالعادة وقالت بصوتها الودود المرح: مرحباً، هل تلعب بقِطَاعَة السُّكَّر؟

لم يَزْ أن أحداً سلاحاً اختفاء قطاعة السكر؟ فلم يكن البيت مرتباً على الإطلاق.



كان العمل المشترك في المسرحية يسير بصعوبة في ليبرنامز. وكان روبن يحتج قائلاً: ولكنني لا أرى من الصواب حقاً أن نجعله نباتياً يا عزيزتي؛ فهذا يوحي بكثير من التعسف في مسألة اختيار الطعام، وهو يخلو بالتأكيد من البريق.

قالت السيدة أوليفر بإصرار: لا أملك غير ذلك. لقد كان دائماً نباتياً، وهو يحمل معه آلة صغيرة لتفتيش الجزر واللفت.

- ولكن لماذا يا عزيزتي أريادي؟

أجابت السيدة أوليفر بنزق: كيف لي أن أعرف؟ كيف لي أن أعرف؟ كيف لي أن أعرف لماذا فكرت أصلاً في الرجل الناثق؟ لا بد أنني كنت مجنونة! لماذا أختارُ فنلندياً وأنا لا أعرف شيئاً عن فنلندا؟ ولماذا يكون نباتياً؟ ولماذا كل الزوات السخيفة التي يتصف بها؟ هذه الأشياء تحدث هكذا. تجزّب شيئاً ويحبه الناس فتستمر به... وقبل أن تعرف موقع قدميك تجد أن شخصاً مثل سفين جيرسن قد ارتبط بشخصك للأبد. والأنتى أن الناس يكتبون ويقولون: كم أنت مولعة بهذه الشخصية دون ريب. مولعةً به؟ لو قُدر لي أن أقابل ذلك الفنلندي النحيل النباتي في واقع الحياة لارتكبتُ بحقه جريمة قتل أفضل من كل ما كتبت!

حملق روبن أبورد بها باحترام وقال: اتعلمين يا أريادي،

هذه معك من الهند؟

- لا، لقد اشتريتها من «سوق التبادل» في عيد الميلاد.

قال بوارو مذهوئاً: «سوق التبادل»؟!؟

شرحت مورين بطلاقة قائلة: إنه سوق يأتي إليه الناس عادة بما لا يحتاجونه ويشترون أشياء أخرى بالمقابل، أشياء لا تكون مستهلكة جداً. لقد أحضرت هذه وإبريق القهوة. يعجبني فم إبريق القهوة وأعجبني كثيراً الطائر الصغير الذي يعلو المطرقة.

كان إبريق القهوة صغيراً من نحاس مطروق وكان له فم معقوف كبير بدا مألوفاً لبوارو. قالت مورين: أظن أن هذه تأتي من بغداد. أو أن هذا ما أحسب أن عائلتي ويذريه قائلته. أو ربما كان من إيران.

- هل أنت هذه الأشياء من بيت ويذريه إذن؟

- نعم. إن لديهم مخزوناً هائلاً من الخردة. يجب أن أذهب من أجل الفطيرة.

خرجت وصفتت الباب خلفها. التقط بوارو قطاعة السكر وذهب إلى النافذة تحت الضوء، وعلى حافة القطاعة الحادة ظهرت بشكل باهت (بل باهت جداً) بعض الألوان. وأوماً بوارو برأسه.

تردد لحظة، ثم حمل قطاعة السكر من تلك الغرفة إلى غرفة نومه، وهناك وضعها -بعناية- في صندوق ولف الصندوق كله في ورقة وربطها بخيط، ثم نزل وغادر البيت.

إعطاء الدور لنديس كالوري سيكون الأمر رائعاً بالطبع، ولكنه مرتبط بالأفلام هذه الأيام. وسيكون من المناسب تماماً إسناد دور إنغريد لجين بيلوز... وهي تريد لعب هذا الدور، وهو أمر رائع. أما بخصوص إيريك، فإن لدي فكرة رائعة له. سنذهب إلى المسرح الدائم الصغير هذه الليلة، أليس كذلك؟ وستقولين لي رأيك بشأن ملاءمة سيسيل للدور.

وافقت السيدة أوليفر متفائلة على مشروعه وذهب روبين لإجراء مكالمة تليفونية. وحين عاد قال: لقد تم ترتيب كل شيء.

* * *

لم يفِ الصباح الجميل بما كان يُؤمل منه؛ فقد تكاثرت الغيوم وبدا النهار ثقيلًا يُنذر بسقوط المطر، وبينما كان يوارو يمشي بين الشجيرات الكثيفة ليصل إلى الباب الأمامي لمنزل هنتر كلوز قرر أنه ما كان ليحب العيش في هذا الوادي الفارغ في أسفل التلة. كان البيت نفسه محاطاً بالأشجار، وكان اللبلاّب يُطبّق على جدرانته تماماً. ورأى يوارو أن البيت بحاجة إلى فأس حطاب.

ضغط على جرس الباب، وعندما لم يتلقَ جواباً ضغط مرة أخرى. كانت ديردرا هندرسُن هي التي فتحت الباب، وبدت عليها الدهشة وقالت: آه! أهذا أنت؟

- هل أستطيع الدخول والحديث معك؟

- أنا... حسناً، نعم. أظن ذلك.

يمكن أن تكون هذه فكرة رائعة. سفين جيرسُن حقيقي... وتقومين أنت بقتله. بإمكانك أن تجعلي منها عمك الأديب الأخير، وتنتشر بعد موتك.

- لا تخف! وماذا بشأن المال؟ إن أية أموال تُجنى من جرائم القتل إنما أريدها الآن.

- نعم، نعم. أتفق معك تماماً.

خطا كاتب المسرح المرحق جيئة وذهاباً وقال: إن إنغريد هذه قد أصبحت مُتعبية بعض الشيء، وبعد مشهد الزنزانة (الذي سيكون رائعاً بالفعل) لا أدري كيف ستمنع المشهد التالي من أن يُشكّل هبوطاً في تطور أحداث المسرحية.

بقيت السيدة أوليفر صامتة، وشعرت أن المشاهد هي ذاه روبين أبورد، وأطلق روبين نظرة استياء عليها.

في ذلك الصباح، ونتيجة واحدة من التغييرات الكثيرة التي تطرأ على مزاج السيدة أوليفر، كرهت تسريحة شعرها المتطاير مع الهواء، وبفرشاة مبتلة بالماء ثبتت شعرها الرمادي بشكل أملس ملتصق بجمجمتها. وبجبهتها العالية، ونظاراتها الضخمة، ومنظرها الصارم، كانت تُذكّر روبين بمُدْرَسَة رُوّعت فترة شبابه. وجد أن من الصعب مخاطبتها بقوله: "يا عزيزتي"، بل إنه أحجم عن مناداتها باسمها الأول أريادني.

قال باضطراب: أنا لا أشعر برغبة في العمل هذا اليوم. لتدع العمل جانباً ونبدأ البحث في مسألة توزيع الأدوار. لو استطعنا

- مطرقة سكر؟

كان وجهها خالياً من أي تعبير، لا يوحي بفهم شيء.

وصف بوارو الأداة بعناية قائلاً: أداة من النحاس الأصفر، عليها عصفور، ومزينة بحجارة خضراء وحمرات.

- آه، نعم... أعرف.

ثم يظهر على صوتها أي اهتمام أو حيوية. قال بوارو: فهمت أنها جاءت من هذا البيت.

- نعم. لقد اشتريتها أمي من سوق في بغداد. إنها إحدى الأشياء التي أخذتها إلى مزاد البيع.

- البيع بالتبادل، أليس كذلك؟

- بلى، كثيراً ما يحدث هذا هنا.

- إذن فقد كانت هنا، في هذا البيت، حتى عيد الميلاد، ثم أرسلتموها إلى ذلك السوق؟ هل هذا صحيح؟

قطب ديدرنا جبينها وقالت: لا، لم يكن ذلك في سوق عيد الميلاد، بل في السوق السابق له، الذي حدث في مهرجان الحصاد.

- مهرجان الحصاد... متى يكون ذلك عادة؟

- أواخر أيلول (سبتمبر).

كان الهدوء يخيم على الغرفة الصغيرة. نظر بوارو إلى الفتاة التي نظرت بدورها إليه، وكان وجهها هادئاً خالياً من أي تعبير أو

قادته إلى غرفة الجلوس الصغيرة المظلمة حيث انتظر سابقاً، وعلى رف الموقد تعرف بوارو على الأخ الأكبر لإبريق القهوة الصغير الموجود على رف مورين. بدا وكأن الفم المعقوف الضخم للإبريق يسيطر على الغرفة الغربية الصغيرة موحياً بصرامة الشرق.

قالت ديدرنا بنبرة اعتذار: أخشى أن تجدنا متزعجين قليلاً اليوم. إن خادمتنا، الفتاة الألمانية، مغادرة. لم يمر على وجودها هنا أكثر من شهر واحد، ويبدو -عملياً- أنها لم تتوَلَّ هذه الوظيفة إلا بهدف الوصول إلى هذا البلد لأنها تريد الزواج بشخص هنا، وقد رتبَّ الاثنان الأمر الآن، ولذلك ستغادر الليلة.

أظهر بوارو أسفه وقال: هذه لامبالاة فظيعة.

- إنها كذلك. وزوج أمي يقول إن هذا غير قانوني، ولكن حتى لو كان ذلك غير قانوني، ماذا عسى المرأة أن يفعل إذا ذهبت وتزوجت؟ بل ما كنا لنعرف أنها ذاهبة لو لم أعر عليها تحزم ملابسها. كان من شأنها أن تخرج من البيت دون قول أية كلمة.

- إن هذا -للأسف- ليس زمن مراعاة مشاعر الآخرين.

قالت ديدرنا بفتور: "نعم، لا أظنه كذلك". ثم فركت جبهتها بظاھر يدها وقالت: إنني متعبة... متعبة جداً.

قال بوارو بلطف: نعم، ربما كنت متعبة جداً فيما أظن.

- ما الذي كنت تريده يا سيد بوارو؟

- أردت أن أسألك عن مطرقة للسكر.

مطرقة نحاسية، تشبه الفأس وبها حجارة ملونة، وفوقها عصفور صغير؟ لا، لا تستطيع تذكر ذلك. كان هناك أشياء كثيرة، وكان هناك فوضى، وقد تم أخذ بعض الأشياء في الحال. حسناً، ربما تتذكر شيئاً من هذا القبيل... شعرت بخمسة شلنات، مع إبريق قهوة نحاسي، ولكن الإبريق مثقوب من الأسفل ولا يمكن استخدامه إلا للزينة. ولكنها لا تستطيع أن تتذكر متى كان ذلك. منذ زمن... ربما كان في عيد الميلاد وربما قبل ذلك... لم تلاحظ.

أخذت الطرد من بوارو وقالت: بريد مسجل؟

- نعم.

نسخت العنوان، وقد لاحظ وميض اهتمام في عينيها السوداوين اللامعتين عندما ناولته الفاتورة.

مشى هيركيول بوارو بطيئاً إلى أعلى التلّة متسائلاً في نفسه. واحدة من اللاتنين. كانت مورين سمرهيز ذات التفكير المشتت، المرحة، غير الدقيقة، هي التي يُحتمل منها الخطأ أكثر من الأخرى. فمن شأن الحصاد وعيد الميلاد أن يعنيا نفس الشيء بالنسبة لها.

دير درا هندرسُن، البطيئة، الخرقاء، يُرجّح كثيراً أن تكون أكثر دقة في تحديد الأوقات والتواريخ.

ومع ذلك بقي ذلك السؤال المُلح. لماذا لم تسأله بعد كل أسئلته لماذا يريد أن يعرف؟ من المؤكد أنه سؤال طبيعي، بل حتمي؟

ولكن دير درا هندرسُن لم تطرحه.

اهتمام. حاول بوارو أن يختمن ماذا يدور خلف هذا الجدار الظاهر من اللامبالاة. ربما لم يكن شيء، وربما كانت متعبة فقط، كما قالت.

قال بهدوء وإلحاح: أنت متأكدة تماماً من أن بيعها كان في مهرجان الحصاد وليس في عيد الميلاد؟

- متأكدة تماماً.

كانت عيناها ثابتتين لا ترفان. وانتظر بوارو، واستمر بالانتظار، ولكن ما كان ينتظره لم يأت. وأخيراً قال بشكل رسمي: لا يجدر بي أن أشغلك أكثر من هذا يا آنسة.

رافقته إلى الباب الأمامي. وسرعان ما كان يسير في الممشى مرة أخرى.

إفادتان مختلفتان... إفادتان لا يمكن التوفيق بينهما. أيهما هي الصحيحة؟ إفادة مورين سمرهيز أم دير درا هندرسُن؟ إذا كانت قطعة السكر قد استخدمت كما رأى هو، فإن النقطة جوهريّة. لقد كان مهرجان الحصاد في أواخر أيلول (سبتمبر)، وبين ذلك الوقت وعيد الميلاد، قُتلت السيدة ماغتني في الثاني والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر). من كان يمتلك قطعة السكر تلك في ذلك الحين؟

ذهب إلى مكتب البريد. لقد كانت السيدة سويتيمان دائماً متعاونة وتبذل ما في وسعها. قالت إنها حضرت كلا السوقين كدأبها دائماً (لأن المرء يجد الكثير من الأغراض المفيدة هناك)، وقد ساعدت أيضاً في ترتيب الأشياء قبل افتتاح السوق، رغم أن معظم الناس يأتون بالأشياء معهم ولا يرسلونها مسبقاً.

بعد انتظار لحظة أجابته صوت رنان: الأنسة ويليامز تتكلم.

- أنا هيركيول بوارو. أظنك طلبتي.

- نعم، نعم. لقد فعلت. اتصلتُ بشأن الأرض التي سألتني عنها قبل أيام.

- الأرض؟

شعر بوارو بالحيرة للحظة، ثم أدرك أن أحدهم يسمع محادثة الأنسة مود، ولعلها طلبته سابقاً عندما كانت وحدها في المكتب. قال: أظن أنني أفهمك. إنها مسألة جيمس بتلي ومقتل السيدة ماغنتي.

- هذا صحيح. هل بإمكاننا أن نقوم بأي شيء في هذا الأمر؟

- أنت تريد المساعدة، ولست بمفردك حيث أنت؟

- هذا صحيح.

- أفهم هذا. استمعي جيداً، أتريدين حقاً مساعدة جيمس

بتلي؟

- نعم.

- هل أنت مستعدة لترك عملك الحالي؟

- قالت دون أي تردد: نعم.

- هل تقبلين العمل في وظيفة منزلية؟ وربما مع أناس لبسوا

ودودين؟

- نعم.

الفصل الخامس عشر

نادت مورين من المطبخ عند دخول بوارو إلى البيت: لقد اتصل بك شخص ما.

- اتصل بي؟ من عساه يكون؟

- ظهر عليه شيء من الدهشة.

- لا أعرف، ولكنني كتبت الرقم على دفتر التموين.

- شكراً يا سيدتي.

ذهب إلى المكتب في غرفة الطعام، وبين الأوراق المتبعثرة وجد دفتر التموين ملقى بجانب الهاتف وقد كتب عليه: كينشستر ٣٥٠.

رفع سماعة الهاتف وأدار القرص على الرقم المطلوب، وجاءه على الفور صوت امرأة تقول: بريذو وسكاتل.

خسب بوارو تخميناً سريعاً وقال: هل لي أن أتكلم مع الأنسة مود ويليامز؟

- آه، نعم، بالطبع. أرجو المعذرة، إننا في وضع منزلي مضطرب هذا اليوم.

- لهذا السبب اتصلت معكم. لقد تأثرت كثيراً لمعرفتي بالمشكلات التي تواجهونها.

- إن هؤلاء الفتيات الأجنبية ناكرات للجميل تماماً. إن أجرتهن مدفوعة وكل شيء متوفر. إنني أمقت نكران الجميل.

- نعم، نعم. أنا أتعاطف معكم فعلاً؛ إنه أمر قبيح، ولهذا أسرعت لإخباركم بأن لديّ حلاً؛ فقد عرفتُ -بمحض المصادفة- فتاة تبحث عن وظيفة كخادمة. ولكنني أخشى أن لا تكون كاملة التدريب.

- آه، لا يوجد تدريب أصلاً في هذه الأيام. هل تطبخ... فالكثيرات منهن لا يطبخن.

- نعم، نعم، إنها تطبخ. هل أرسلها لك... على الأقل تحت التجربة؟ إن اسمها هو مود ويليامز.

- أرسلها من فضلك يا سيد بوارو، هذا لطف كبير منك. أيّ شيء أفضل من لا شيء. إن زوجي كثير التطلّب، ويتزعج كثيراً من العزيزة ديردرا عندما لا تجري الأمور في البيت بشكل سلس. لا يستطيع المرء أن يتوقع من الرجال أن يفهموا مدى صعوبة الأشياء هذه الأيام. إنني...

حدثت مقاطعة لكلامها. تكلمت السيدة ويذريي إلى شخص دخل الغرفة، ورغم أنها وضعت يدها على سماعة الهاتف إلا أن

- هل تستطيعين الخلاص من عملك في الحال؟ في الغد، مثلاً؟

- نعم يا سيد بوارو. أحسب أنني أستطيع تدبير ذلك.

- أتعرفين ما أريد منك. ستكونين خادمة منزلية... تعيش في المنزل. هل تستطيعين الطبخ؟

بدا في نبرتها شيء من الاستمتاع وهي تقول: بشكل جيد جداً.

- يا إلهي، يا لك من نادرة! والآن استمعي جيداً، أنا قادم إلى كيلشستر في الحال. سوف أقابلك في نفس المقهى الذي قابلتك فيه من قبل، على الغداء.

- نعم، بالتأكيد.

أغلق بوارو الخط، وفكر قائلاً لنفسه: إنها فتاة تستحق الإعجاب، سريعة في ذكائها، وتعرف ماذا تريد. بل ربما استطاعت الطبخ أيضاً!

وبصعوبة أخرج دليل الهاتف المحلي من تحت كتاب عن تربية الدجاج وأخرج رقم عائلة ويذريي.

كان الصوت الذي رد عليه هو صوت السيدة ويذريي: ألو؟

- أنا السيد بوارو. أتذكرين يا سيدتي...

- لا أظنني...

- هيركيول بوارو.

في ليبرنامز، حدث احتكاك بسيط.

- بالطبع يا روبن، لا يبدو أنك تتذكر شيئاً وأنت تعمل في مسرحية.

كان الندم ينهش روبن. قال: أنا أسف جداً يا أمي، لقد نسيت تماماً أنها ليلة إجازة جانيت.

قالت السيدة أبورد بيروود: هذا لا يهم على الإطلاق.

- بل يهم بالطبع. سأتصل بالمرسح وأخبرهم أننا سنذهب ليلة الغد بدلاً من الليلة.

- لن تفعل شيئاً كهذا. لقد رتبت للذهاب هذه الليلة وهذا ما ستقوم به.

- ولكن...

- انتهى الأمر.

- هل أطلب من جانيت أن تأخذ إجازتها في غير هذه الليلة؟

- كلا بالتأكيد. إنها تكره فساد خططها.

- أنا متأكد أنها لن تمنع. ليس إذا أوضحت لها...

- لن تفعل شيئاً من ذلك يا روبن. من فضلك لا تزعج جانيت بذلك، ولا تتبالغ في طرح الموضوع. لا أريد أن أشعر أنني عجوز متعبة تفسد على الآخرين متعتهم.

- يا أمي الغالية!

بوارو استطاع سماع كلماتها المكتومة قليلاً: إنه ذلك المحقق الصغير... يعرف فتاة يمكن أن تأتي لتحل محل فريدا. لا، ليست أجنبية... إنكليزية لحسن الحظ. هذا لطف منه... يبدو مهتماً تماماً بشأني. آه يا عزيزتي، لا تبدي اعتراضات. ماذا يهم ذلك؟ أنت تعرفين الحالة السخيفة التي تصيب روجر. حسناً، أحسب أن هذا لطف منه... لا أظنها ستكون سيئة.

وبانتهاه الكلام الجانبي، تكلمت السيدة ويذري بكل امتنان: شكراً جزيلاً لك يا سيد بوارو، نحن فعلاً ممتنون لك.

وضع بوارو سماعة الهاتف ونظر إلى ساعته، ثم ذهب إلى المطبخ وقال لمورين: لن أحضر الغداء يا سيدتي. يجب أن أذهب إلى كيلشستر.

- الحمد لله. لم أصل إلى تلك الفطيرة في الوقت المناسب، وقد احترقت. لا أحسب أن بها بأساً، ربما احترقت قليلاً فقط. إذا كان طعمها سيئاً، سأقوم بفتح زجاجة من ذلك التوت الذي عبأته في الصيف الماضي. يبدو عليه القليل من العفن في الأعلى، ولكنهم يقولون هذه الأيام إن هذا لا يهم، بل إنه جيد بالنسبة لك... فهو عملياً ينسليين.

غادر بوارو البيت سعيداً لأن الفطيرة المحترقة وأشباه البنسليين لم تكن من نصيبه ذلك اليوم. من الأفضل... من الأفضل كثيراً أن يأكل المعكرونة والكاسترد والخوخ في مطعم «بلوكات» من أن يتحمل اجتهادات مورين سمرهيز.

* * *

الفصل السادس عشر

على مائدة الغداء في مطعم «بلوكات» أكمل بوارو تحديد تعليماته لمود ويليامز: أتعرفين الآن ما عليك البحث عنه؟
أومات مود ويليامز برأسها بالإيجاب.
- هل رتبتي الأمور مع مكتبك؟

ضحكت وقالت: عمتي مريضة للغاية! لقد أرسلت لنفسي برقية بذلك.

- جيد. شيء آخر أريد قوله. في مكان ما في تلك القرية يوجد قاتل طليق، وهذا أمر لا يُشعر بالاطمئنان.

- أتحدّرني؟

- نعم.

- أستطيع الاعتناء بنفسني.

- يمكن أن يُصنّف هذا تحت عنوان: «آخر الكلمات الشهيرة».

- هذا يكفي... اذهبا ومتعا نفسيكما. أعرف من الذي سأدعوه لصحبتني.

- من؟

قالت السيدة أبورد وقد عادت إليها دعابتها: هذا سري الخاص، والآن كفاك إلحاحاً يا روبن.

- سأتصل بشيلا ريندل.

- سأقوم بانصالاتي بنفسني، شكراً، انتهى الموضوع. جهّز القهوة قبل أن تذهب واتركها في الغلاية الكهربائية بجانبني كي أغليها عند الطلب. آه، ومن الأفضل أن تضع كوباً إضافياً... تحسباً لوجود زائر.

بعض الأوراق والاستفسارات وتقرير المساح الذي أحضرناه لها.
وكانت تقيم في بيت الضيافة حيث تقيم أنت.

- في لونغ ميدوز؟

- نعم. بيت غير مريح الشكل، به كلاب كثيرة.

أوما بوراو برأسه وقال: هل رأيت السيدة سمريز أو الميجر سمريز؟

- لقد رأيت السيدة سمريز فيما أظن، وقد رافقتني إلى غرفة النوم حيث كانت العجوز في السرير.

- هل من شأن السيدة سمريز أن تتذكرك؟

- لا أظن ذلك. وحتى لو حدث هذا فلا يهم، أليس كذلك؟
فالمرء -في نهاية الأمر- يغير وظيفته باستمرار هذه الأيام. ولكني
لا أحسبها نظرت إلي. إنها ليست من ذلك النوع الذي يهتم.

كانت في صوت مود ويليامز نبرة مرارة خفيفة.

- هل رأيت أي شخص آخر في بروديني؟

قالت مود بحرق: لقد رأيت السيد بنتلي.

- آه، رأيت السيد بنتلي. بمحض المصادفة.

تململت مود قليلاً وهي جالسة على الكرسي وقالت: لا.
الحقيقة أنني كنت قد أرسلت له بطاقة بريدية تخبره بقدمي ذلك
اليوم، وطلبت منه أن يقابلني. وحقيقة الأمر أننا فقط تكلمنا عند

ضحكت مرة أخرى، وكانت ضحكة مرحة عالية بحيث استندار
رأس أو اثنان من الموائد القريبة للنظر إليها.

وجد بوراو نفسه يقوم الفتاة بحذر. إنها شابة قوية، واثقة من
نفسها، مفعمة بالحياة، تواق للقيام بمهمة خطيرة، لماذا؟ فكر ثانية
بجيمس بنتلي، صوته الهادئ المهزوم ولامبالاته الباهتة. إن أذواق
الناس حقاً مثيرة للفضول والاهتمام!

قالت مود: أنت تطلب مني أن أقوم بالأمر، أليس كذلك؟ لماذا
تحاول فجأة أن تخوفني منه؟

- لأن المرء إذا عرض على أحد مهمة ما فيجب أن يكون دقيقاً
في عرض ما تنطوي عليه.

قالت مود بنقّة: لا أظن أنني في خطر.

- وأنا لا أظن ذلك حالياً، فأنت غير معروفة في بروديني.

فكرت مود ثم قالت: نعم، نعم. أظن ذلك.

- هل سبق أن زرتها؟

- مرة أو اثنتين... لصالح الشركة بالطبع. آخرها منذ نحو
خمس أشهر.

- من رأيت هناك وأين ذهبت؟

- ذهبت لرؤية سيدة عجوز (السيدة كارستيز أو كارليس،
لا أتذكر تماماً). كانت تنوي شراء عقار صغير هنا، وذهبت إليها مع

معه دواماً، ونشر الصور الأربع على الطاولة قائلاً: هل تعرفين أياً من... ما الأمر؟

- إنه السيد سكاتل. لقد كان خارجاً من الباب، أمل أن لا يكون قد رآك معي، فقد يبدو هذا غريباً. إن الناس يتكلمون عنك كثيراً، كما تعرف. يقولون إنك أرسلت إلى هنا من باريس... من الأمن الفرنسي، أو ما شابه ذلك.

- أنا بلجيكي ولست فرنسياً، ولكن لا يهم.

- ما أمر هذه الصور؟

انحنت على الصور ندرسها عن كثب وقالت: إنها من الطراز القديم، أليس كذلك؟

- أقدمها أخذت قبل ثلاثين عاماً.

- تبدو الملابس القديمة سخيفة جداً؛ تجعل المرأة تبدو بلهاء.

- هل رأيت أياً منهن من قبل؟

- أتسألني إن كنت أُميّز أي امرأة منهن، أم إن كنت قد رأيت الصور؟

- كلا الأمرين.

- يُخَيِّل إليّ أشي رأيت تلك الصورة.

استقر إصبعها على قبعة جانيس كورتلاند وأضافت: في صحيفة

محطة الحافلات بينما كنت أنتظر الحافلة التي تعيدني إلى هنا.

- هل كان ذلك قبل وفاة السيدة ماغتي؟

- نعم، ولكن ليس قبل وفاتها بكثير. فبعد بضعة أيام فقط كان الخبر في جميع الجرائد.

- هل تكلم معك السيد بنتلي عن مالكة بيته؟

- لا أظن ذلك.

- ألم تتكلمي مع أحد سواه في بروديني؟

- مع السيد روبن أبورد فقط. كنت قد سمعته يتكلم بالمذيع، وقد رأته خارجاً من بيته فعرفته من صورته، وطلبت منه توقيعه.

- وهل أعطاك إياه؟

- آه، نعم. لقد كان لطيفاً للغاية بهذا الشأن. لم يكن الأوتوغراف معي، ولكن كانت معي ورقة ملاحظات، وقد نقضت قلم حبره السائل وكتب توقيعه في الحال.

- هل تعرفين أناساً آخرين من بروديني بالشكل؟

- أعرف عائلة كارنتر بالطبع. كثيراً ما يأتون إلى كيلشستر، ولديهم سيارة جميلة، والسيدة كارنتر ترتدي ملابس جميلة أيضاً. ويقولون إن السيد كارنتر سيكون عضو البرلمان القادم عن منطقتنا.

أوما يوارو برأسه، ثم أخرج من جيبه المغلف الذي يحمله

قالت: "بالطبع، بوسع أي امرئ أن يكون في أي مكان". ثم تابعت وقد وضعت إصبعها على وجه إيڤا كين الجميل: لا بد أنها كبرت كثيراً الآن... في سن السيدة أبورد تقريباً.

- تقريباً.

- ما كنت أفكر فيه هو... من أي نوع هي من النساء. لا بد أنه يوجد العديد من الناس الذين من شأنهم أن يحملوا ضغينة تجاهها.

قال بوارو ببطء: هذه وجهة نظر. نعم، إنها وجهة نظر. أتذكرين قضية كريغ؟

- ومن لا يذكرها؟ إن له تمثالاً من الشمع في متحف مدام توسو! كنت مجرد طفلة آنذاك، ولكن الصحف لا تفتأ تُذكر به وتقارن قضيته مع قضايا أخرى. لا أحسب أن قضيته ستنتسى أبداً، أليس كذلك؟

رفع بوارو رأسه بحدة، وتساءل عما سبب هذه النغمة المفاجئة من المرارة في صوتها.

* * *

على الأغلب، ولكن لا أتذكر متى. تلك الطفلة تبدو مألوفة أيضاً. ولكن لا أذكر متى رأيتها... منذ زمن طويل.

- لقد ظهرت كل هذه الصور في صحيفة سندي كوميت، وذلك يوم الأحد السابق لموت السيدة ماغتي.

نظرت إليه مود بحدة وقالت: وهل لتلك الصور علاقة بذلك؟ لذلك تريدني أن...

لم تكمل الجملة. قال بوارو: نعم، لهذا السبب.

أخرج شيئاً آخر من جيبه وأراه لها. كان ذلك القصاصة من السندي كوميت. قال: من الأفضل أن تقرني هذه.

قرأتها بحذر وقد انحنى رأسها الذهبي الجميل على الأحرف الرديئة المطبوعة، ثم رفعت رأسها وقالت: تلك هي شخصياتهن إذن؟ وقراءة هذه القصاصة أعطتك الأفكار؟

- لقد عبرت عن الأمر بمتهى الدقة.

- ومع ذلك لا أرى كيف...

ثم سكتت لحظة تفكر. ولم يتكلم بوارو؛ فقد كان دائماً مستعداً لسماع أفكار الآخرين بغض النظر عن مدى سعادته بأفكاره الخاصة.

- أنتظن أن واحدة من هؤلاء موجودة الآن في بروديني؟

- هذا ممكن، أليس كذلك؟

- هيركيول بوارو.

- نعم، هذا تخميني أيضاً. لا بد أنها تريد أن تنتزع منه بعض المعلومات؛ فهي تحب أن تكون لها أسرارها الصغيرة، أليس كذلك؟ والأنا يا عزيزتي، بشأن المسرحية هذه الليلية، من المهم جداً أن تخبريني بصراحة عن رأيك بسيسيل، وهل يناسب فكرتك عن شخصية إيريك.

ومن نافلة القول أن سيسيل ليش لم يناسب -أبداً- فكرة السيدة أوليفر عن شخصية إيريك، بل ما كان لأحد أن يكون أبعد منه عنها. لقد استمتعت السيدة أوليفر بالمسرحية نفسها، ولكن محنة «التجوال بعد ذلك» كانت مُترعة بأهوالها المعتادة.

أما روبين فقد كان على سجيته، وقد نصّب سيسيل أمامه على الجدار (أو أن السيدة أوليفر افترضت أنه سيسيل على الأقل) وأخذ يُمطره بحديث لا ينتهي. أما السيدة أوليفر فقد أزعجها سيسيل وفضلت عليه شخصاً آخر يدعى مايكل كان يتكلم إليها بلطف في هذه الأثناء. إذ لم يكن مايكل ليتوقع منها أن تبادلته الحديث على الأقل، والحقيقة أن مايكل بدا وكأنه يفضل الحوار من طرف واحد. تدخل شخص يدعى بيتر في الحديث بشكل متقطع، ولكن الحديث اتسم -عموماً- بكونه سيلاً من الضغينة المُسلية قليلاً من طرف مايكل.

كان يقول: ... لطيف جداً من روبين. لقد كنا نحته باستمرار على القدوم ورؤية العرض، ولكنه -بالطبع- تحت سيطرة تلك المرأة الفظيعة تماماً، أليس كذلك؟ يقدم فروض الطاعة. وروبن ذكي لامع

الفصل السابع عشر

كانت السيدة أوليفر تسعى لحشر نفسها في زاوية غرفة صغيرة لتغيير الملابس في المسرح، وقد بلغ ارتباكها مداها. ولأن جسد السيدة أوليفر لم يكن من النوع الذي ينحسر، فإن سعيها لم ينجح إلا في إظهارها كومة منتفخة. وقد أحاط بها شبان أذكياهم يزبلون آثار الدهان بالمناشف.

كانت السيدة أوبورد -وقد عادت إليها تماماً روحها المرحلة- قد استعجلت رحيلهما متمنية لهما أطيب الأمنيات، وكان روبين دؤوباً في عمل كل الترتيبات اللازمة لراحتهما قبل مغادرته. وحتى بعد ركوبهما السيارة، هُرع مرتين راجعاً إلى البيت ليطمئن أن كل شيء على ما يرام.

وفي المرة الأخيرة، رجع وقد علته تكشيرة وقال: لقد أنهت أمي -لتوها- مكالمة هاتفية، ولم تشأ أن تخبرني من كانت تهاتف، لكنني أراهن أنني أعرف.

قالت السيدة أوليفر: أنا أعرف أيضاً.

- حسناً، من كان برأيك؟

وأنتها الكاتبة، والقهوة السوداء، والتفاح في كل مكان... يا للنعيم!
يا لها من غلطة كبيرة أن يخرج الكاتب من حصنه السري! إن الكُتَّاب
أناس خَجَلون وغير اجتماعيين، وهم يعزّون نقص استعداداتهم
الاجتماعية بابتكار رفاقهم الخاصين وحواراتهم الخاصة.

قال روبين: أخشى أنك متعبة.

- ليس تماماً، الحقيقة أنني لا أنسجم مع الناس.

قال روبين بسعادة: أنا أعشق الناس، ماذا عنك؟

قالت السيدة أوليفر بصرامة: أبداً.

- ولكن لا بد أن تكوني كذلك. انظري إلى كل أولئك الناس
في كتبك.

- هذا أمر مختلف. أنا أرى الأشجار اللطيف بكثير من الناس،
وهي مريحة أكثر منهم.

قال روبين مُعلنًا حقيقة واضحة: أنا أحتاج الناس؛ إنهم
يحفزوني.

توقفت بالسيارة عند بوابة البيت وقال: تفضلي، سأوقفها
بعيداً.

أخرجت السيدة أوليفر نفسها من السيارة بالصعوبة المعتادة
وسارت على الممشى المُفضي إلى البيت.

لم يكن الباب مقفلاً، فدفعته السيدة أوليفر ودخلت. ولم تكن

حقاً، ألا تعتقد ذلك؟ ذكي جداً جداً. يجب أن لا يضحى بنفسه
على مذبح الأمومة. يمكن للنساء أن يَكُنَّ فظيحات، أليس كذلك؟
أعرفين ما فعلته بالمسكين أليكس روزكوف؟ تعلقت به بشدة لمدة
سنة تقريباً، ثم اكتشفت أنه لم يكن مهاجراً روسياً على الإطلاق. كان
يروى لها -بالطبع- بعض القصص المُبالغ بها، ولكنها كانت قصصاً
مسلية تماماً، وكنا نعرف جميعاً أنها قصص ملفقة، ولكن لماذا يهتم
المرء؟ وعندما اكتشفت أنه مجرد ابن خياط مغموور في لندن لفظته
تماماً. يا إلهي! إنني أكره من تستهويهم المكانة الاجتماعية الكاذبة،
ماذا ترين أنت؟ وقد كان أليكس سعيداً إذ تمكن من الخلاص منها،
وقال إن بوسعها أن تكون مخيفة أحياناً، بل كان يرى أن في عقلها
شيئاً ما. يا لثورات غضبها! آه، عزيزي روبين! نحن نتكلم عن أمك
الرائعة. من المؤسف أنها لم تستطع الحضور الليلة، ولكن من الرائع
أن تكون بيننا السيدة أوليفر صاحبة كل جرائم القتل اللذيذة تلك.

ثم خرجوا جميعاً إلى هواء الليل المنعش، حيث تبادلوا المزيد
من الحديث حول المسرح.

ولدى عودة السيدة أوليفر وروبين بالسيارة إلى البيت كانت
السيدة أوليفر مرهقة تماماً. انكأت إلى الخلف وأغمضت عينيها،
وفي المقابل كان روبين يتكلم دون انقطاع. وأخيراً قال منهيًا حديثه:
وتعتقدين أن ذلك سيكون فكرة جيدة، أليس كذلك؟

فتحت السيدة أوليفر عينيها وقالت: ماذا؟

لقد كانت مستغرقة في حلم مُشوق عن بيتها: الجدران الخضراء
المغطاة بالطيور الغريبة، والطاولة المصنوعة من خشب الصنوبر،

الفصل الثامن عشر

قال المفتش سبنس: عمل متقن تماماً!

كان وجهه الأحمر الريفى غاضباً. نظر إلى حيث جلس بوارو يستمع باكتئاب، ثم مضى قائلاً: متقن وبشع. لقد حُخقت، بمنديل حريري... بأحد مناديلها الخاصة، منديل كانت ترتديه في ذلك اليوم... وُضع حول عنقها وشُدَّ طرفاه! عملية مُثقنة وسريعة وفعالة! اعتاد عتاة المجرمين في الهند فعل ذلك، والضحية لا تقاوم ولا تصرخ... لأن الضغط يكون على الشريان السباتي.

- أكان الأمر يتطلب معلومات خاصة؟

- هذا ممكن، وإن يكن غيرٍ ضروري. إن كنت تفكر بالقيام بذلك فيمكنك أن تقرأ عن الموضوع. ليس الأمر صعباً، خاصة إذا كانت الضحية لا تشك بشيء... وقد كانت فعلاً كذلك.

أوما بوارو رأسه وقال: كان ذلك شخصاً تعرفه.

- نعم، لقد شربنا القهوة معاً... يوجد فنجان مقابلها وفنجان آخر في مواجهة... الضيف. لقد تمت إزالة البصمات عن فنجان

الأنوار مضاءة، الأمر الذي اعتبرته السيدة أوليفر غير لائق إلى حدٍ ما من جانب مضيفتها. أم أن ذلك كان اقتصاداً؟ إن الأغنياء كثيراً ما يكونون مقتصدين. شمت في القاعة رائحة عطرية، رائحة فخمة غريبة الجمال. وتساءلت السيدة أوليفر -لوهلة- إن كانت قد دخلت البيت المقصود نفسه، ثم وجدت مفتاح النور وضغطت عليه.

غمر النور القاعة المربعة المكسوة بخشب البلوط. وكان الباب المؤدي إلى غرفة الجلوس نصف مفتوح، ورأت السيدة أوليفر من خلاله قدماً أو ساقاً. إذن فالسيدة أبورد لم تأو إلى سريرها بعد. لا بد أن النعاس غلبها فنامت في كرسياها، وبما أن الأنوار لم تكن مضاءة فلا بد أن وقتاً طويلاً قد مرَّ على نومها.

ذهبت السيدة أوليفر إلى الباب وأضاءت النور في غرفة الجلوس، وابتدأت بالقول: "لقد عدنا..."، ثم توقفت. امتدت يدها إلى حنجرتها؛ إذ شعرت بغصة قوية هناك، برغبة في الصراخ لم تستطع تحقيقها.

خرج صوتها أشبه بالهمس: روبين... روبين...

مضى وقت طويل قبل أن تسمعه قادماً في الممشى وهو بصفر، وعندها استدارت بسرعة وأخذت تركض لتقابلها في القاعة قائلة: لا تدخل هناك... لا تدخل. إن أمك... إنها... أظنها ميتة. لقد قُتلت!

* * *

- نعم، نعرف ذلك. حسناً، هذا ينطبق على ظروف الجريمة تماماً. عندما خرج روبين مع السيدة أوليفر ثم عاد إلى البيت بعد قليل من خروجه كانت أمه قد أنهت لتوها حديثاً هاتفياً مع أحدهم، ولم تقل له من هو. لعبت لعبة الغموض، وقد ظن روبين والسيدة أوليفر أنها ربما كلّمته أنت.

- ليتها كلمتني أنا. ألا توجد لديكم فكرة عن الشخص الذي كلمته؟

- أبداً. إن الاتصال آلي هنا، كما تعرف.

- ألم تستطع الخادمة مساعدتكم بأية طريقة؟

- نعم، لم تستطع. لقد جاءت إلى البيت في نحو العاشرة والنصف، ولديها مفتاح للباب الخلفي. وقد ذهبت مباشرة إلى غرفتها المُملّحة بالمطبخ ونامت. كان البيت مظلماً فافترضت أن السيدة أبورد قد أوت إلى فراشها وأن الآخرين لم يأتيا بعد. إنها صماء ونزقة أيضاً، ولا تنتبه كثيراً لما يجري. ويُخيل إلي أنها تقوم بأقل ما يمكن من العمل مع أكثر ما يمكن من التذمر.

- أليست حقاً خادمتهم الدائمة المخلصة؟

- آه، إنها ليست كذلك، فهي لم تعمل لدى عائلة أبورد إلا منذ عامين.

أُطل شريطي من الباب وقال: هنا شابة تريد رؤيتك يا سيدتي. تقول إن لديها شيئاً يجب أن تعرفه بخصوص الليلة الماضية.

- بخصوص الليلة الماضية؟ أدخلها.

الضيف بعناية، ولكن إزالة أحمر الشفاه أصعب قليلاً... لا زالت عليه آثار باهتة من أحمر الشفاه.

- أهي امرأة إذن؟

- لقد توقعت أنت امرأة، أليس كذلك؟

- بلى، بلى؛ كانت المؤشرات بهذا الاتجاه.

مضى سينس قائلاً: لقد تعرفت السيدة أبورد على إحدى تلك الصور... صورة ليلى غامبول؛ ولذلك فإن الأمر يرتبط بمقتل السيدة ماغتي.

- نعم. إنه يرتبط بمقتل السيدة ماغتي.

وتذكر أسلوب السيدة أبورد المُستمتع وهي تقول: السيدة ماغتي مينة. كيف ماتت؟ بدسّ أنفها كما أفعّل أنا.

مضى سينس في حديثه: اغتنمت فرصةً بدت مناسبة لها (إذ كان الابن والسيدة أوليفر قد ذهبا إلى المسرح) وانصلت بالشخص المعني وطلبت منه أن يأتي ليرأها. أهدأ هو تحليلك للموضوع؟ لقد كانت تلعب دور رجل التحري.

- شيء من هذا القبيل. الفضول... لقد احتفظت بمعلوماتها لنفسها، ولكنها أرادت أن تكتشف المزيد. لم يخطر ببالها أبداً أن ما تقوم به قد يكون خطيراً.

تنهد بوارو ثم قال: كثير من الناس يحسبون القتل لعبة، وهو ليس كذلك. وقد حدّرتها، ولكنها لم تصغ.

ما أظن، وربما قريباً من التاسعة. بعد العشاء على أية حال. فقد اتصلت بي.

- السيدة أبورد اتصلت بك؟

- نعم. قالت إن روبن والسيدة أوليفر ذاهبان إلى المسرح في كولينكيه، وإنها ستكون وحيدة، وإنها تريدني أن أذهب وأشرب القهوة معها.

- وذهبت؟

- نعم.

- ... وشربت القهوة معها؟

هزت ديردرا رأسها بالنفي وقالت: لا، وصلتُ إلى هناك وقرعتُ الباب، ولكنني لم ألقِ جواباً، ولذلك فتحت الباب ودخلت إلى الردهة. كانت مظلمة تماماً، وكنتُ قد رأيت -من الخارج- عدم وجود أنوار مضاءة في غرفة الجلوس، ولذلك تحيرت. ناديت: "سيدة أبورد" مرة أو مرتين، ولكن أحداً لم يرد. ولذلك أحسستُ أن في الأمر خطأ ما دون ريب.

- ما هو الخطأ الذي رأيتُ أنه يمكن أن يكون قد حدث؟

- ظننتُ أنها ربما ذهبت إلى المسرح معها في نهاية الأمر.

- دون إبلاغك بذلك؟

دخلت ديردرا هندرسُن الغرفة. بدت شاحبة متوترة، وخرقاء كعادتها.

قالت معتذرة: رأيتُ من واجبي أن آتي. أرجو أنني لا أقاطعكم.

- أبدأ يا آنسة هندرسُن.

نهض سينس ودفع كرسياً باتجاهها. وجلست على الكرسي بطريقة مؤدبة أشبه بطالبات المدارس.

قال سينس مشجعاً: شيء يخص الليلة الماضية؟ أتعتين السيدة أبورد؟

- نعم. يبدو صحيحاً أنها قُتلت، أليس كذلك؟ أعني أن صاحبة البريد والخياز يقولان ذلك. ولكن أمي قالت إن هذا لا يمكن أن يكون صحيحاً.

- أخشى أن لا تكون والدتك على حق في هذا الأمر؛ فهو صحيح تماماً. والآن، أردتُ أن... أن تخبرينا شيئاً؟

أومات ديردرا برأسها وقالت: نعم، فالحقيقة أنني كنتُ هناك.

ظهر تغير على سلوك سينس. وربما أصبح سلوكه أكثر لطفاً، ولكن كانت تكمن خلفه نسوة رسمية. قال: كنت هناك في ليبرنامز. في أي وقت؟

- لا أعرف بالضبط. بين الثامنة والنصف والتاسعة على

أم أنها لم تمتنع عن استعماله إلا لهذا الصباح؟

- إنها لا تستخدمه أبداً.

- هذا غريب في هذه الأيام، أليس كذلك؟

- إنها فتاة متميزة بعض الشيء... على فطرتها.

- ولا تضع عطوراً أيضاً بقدر ما أمكنتني الشم. وتقول السيدة أوليفر إن رائحة عطر مميزة كانت في البيت ليلة أمس، ووصفتها بأنها لعطر غالي. ويؤكد روبن أبورد ذلك. لم يكن عطرأ تستخدمه والدته.

- ما كانت هذه الفتاة لتستخدم عطرأ فيما أظن.

- نعم، لا أظن ذلك أيضاً. إنها تبدو مثل رئيسة لفريق الهوكي في مدرسة بنات قديمة الطراز. ولكنها في الثلاثين من عمرها دون شك.

- هذا صحيح.

قَطَّب سبنس جيبته وقال: لا ينطبق الحال عليها؛ لا أحمر شفاه ولا عطور. وبما أن لها أماً جيدة تماماً (بينما قُتلت أم ليلي غامبول في شجار للسكاري في كارديف عندما كانت ليلي في التاسعة من عمرها) فلا أرى كيف يمكن أن تكون هي ليلي غامبول. ولكن السيدة أبورد اتصلت بها لتأتي إليها ليلة أمس... لا يمكنك تجاوز هذه النقطة.

- ماذا بشأن إفادة العلييب العدلي؟

- لقد بدا ذلك غريباً بالفعل.

- ألم يخطر ببالك أي تفسير آخر؟

- فكرتُ أن من المُحتمل أن تكون فريدا قد أفسدت الرسالة الأصلية؛ فهي تفهم الأشياء بشكل خاطئ أحياناً. إنها أجنبية، وقد كانت منفعلة ليلة أمس لأنها ستغادر.

- وماذا فعلتِ يا آنسة هندرسن؟

- اكتفيتُ بمغادرة المكان.

- وعدتِ إلى البيت؟

- نعم، ولكني تمشيت قليلاً قبل ذلك. كان الجو رائعاً.

سكت سبنس برهة وهو ينظر إليها، ولاحظ بوارو أنه ينظر إلى فمها. وسرعان ما شدَّ جسمه وقال بمرح: شكراً لك يا آنسة هندرسن. لقد أحسنتِ صنعاً بمجيتك وإخبارنا بذلك. نحن ممتنون حقاً لك.

ثم نهض وصادفها، فقالت: رأيتُ أن من واجبي القيام بهذا، ولم تحبِ أُمِّي أن أحضر.

- ألم تحبِ ذلك حقاً؟

- ولكني رأيتُ أن قدومي أفضل.

- تماماً.

ودَّعها حتى خرجت وعاد، حيث جلس وأخذ يتقر على الطاولة بأصابعه وينظر إلى بوارو، ثم قال: إنها لا تضع أحمر شفاه.

قال سينس متابعاً تسلسل أفكاره: "إنها تستطيع شراء عطر ثمين". ثم تنهد وقال: علينا أن نعرف المزيد عن خلفيتها. من المريح جداً أن تدعي امرأة أنها أرملة حرب؛ فبوسعها أن تظهر في أي مكان وتبدو مثيرة للشفقة لحزنها على طيار شاب شجاع، ولا أحد يحب أن يطرح أسئلة عليها.

ثم انتقل إلى موضوع آخر: أظن أنك أصبت كيد الحقيقة بخصوص قطاعة السكر التي أرسلتها؛ فهي السلاح الذي استخدم في قتل السيدة ماغنتي. لقد أقر الطيب بأنها مناسبة تماماً لتلك الضربة، وقد وُجد عليها دم. لقد تم غسلها بالطبع... ولكنهم لا يدركون هذه الأيام أن من شأن كمية مجهرية من الدم أن تظهر لدى معالجتها بالمواد الكاشفة الحديثة. نعم، إنه دم بشري بالتأكيد. وهذا يرتبط أيضاً بعائلة ويذربي والأنسة هندرسن، أليس كذلك؟

- لقد كانت ديردرا هندرسن جازمة تماماً بأن قَطَاعَة السكر أرسلت إلى السوق في مهرجان الحصاد.

- وقد كانت السيدة سمرهيز جازمة بنفس الدرجة بأن ذلك كان في عيد الميلاد.

قال بوارو متجهماً: إن السيدة سمرهيز لا تجزم أبداً بشيء. إنها إنسانة رائعة، ولكن ليس لها نظام أو منهج في تركيبها. ولكنني -أنا الذي أعيش منذ فترة في لونغ ميدوز- سأقول لك التالي: إن الأبواب والنوافذ مشرعة دوماً، وبإمكان أي كان... أي كان أن يأتي ويأخذ أي شيء ثم يعود ويضعه في مكانه دون أن يلاحظ ذلك الميجر سمرهيز أو السيدة سمرهيز. فإذا لم تشاهد المرأة تلك القطاعة في

- ليس فيها الكثير مما يُساعد. كل ما استطاع الطيب الجزم به هو أنها ربما كانت ميتة عند التاسعة والنصف.

- إذن فربما كانت ميتة عندما جاءت ديردرا هندرسن إلى ليبرنامز؟

- ربما كانت كذلك إذا كانت الفتاة صادقة. إما أنها صادقة أو أنها فتاة متكتمة. لقد قالت إن أمها لم تُرد لها أن تأتي إلينا. أفي ذلك شيء؟

فكر بوارو ثم قال: ليس فيه شيء محدد. هذا ما يُتوقع من الأم قوله؛ فهي من ذلك الطراز الذي يتجنب المشكلات.

تنهد سينس وقال: إذن، لدينا ديردرا هندرسن... في موقع الجريمة. أو أن شخصاً قد سبقها إلى هناك... امرأة تضع أحمر شفاه، وتستخدم عطرًا ثمينًا.

تمتم بوارو: سوف تحقق...

قاطعته سينس قائلاً: إنني أحقق! ولكن بهدوء لغاية الآن. لا نريد أن نشير دعر الجميع. ماذا كانت تعمل إيفا كاربتر الليلة الماضية؟ ماذا كانت تعمل شيلا ريندل؟ من المُرجَّح أنهما كانتا جالستين في بيتهما. وكان لدى كاربتر اجتماع سياسي، أعرف ذلك.

قال بوارو متأملاً: إيف... إن موضحة الأسماء تتغير، أليس كذلك؟ إنك لا تكاد تسمع هذه الأيام اسم إيفا. لقد اختفى هذا الاسم. أما اسم إيف فهو شائع.

رفع كفيه بلا مبالاة وقال: أصدقائي؟ ليس لي أصدقاء.

- يجب أن لا نقول ذلك. إن لك صديقين على الأقل.

- لي صديقان؟ أحب لو أعرف من هما.

لم تُظهر نبرته أية رغبة في المعلومات، بل مجرد تشكيك سيئ.
قال بوارو: أولاً، المفتش سينس.

- سينس؟ سينس؟ مفتش الشرطة الذي لُقِّق القضية ضدي؟
هذا مضحك.

- ليس مضحكاً. بل هو من حسن الحظ. إن سينس ضابط
شرطة ذكي جداً وذو ضمير حي، ويحب أن يتأكد تماماً أنه أوقع
بالرجل المناسب.

- إنه متأكد تماماً من ذلك.

- الغريب أنه ليس كذلك. وهو صديقك لهذا السبب، كما
قلْتُ لك.

- يا له من صديق!

انتظر هيركيول بوارو، فقد رأى أن بعض الخصائص الإنسانية
لا بد أن توجد حتى لدى جيمس بنتلي. حتى جيمس بنتلي لا يمكن
أن يكون خلوّاً من الفضول الطبيعي. وبالفعل، سرعان ما قال جيمس
بنتلي: حسناً. من هو الصديق الآخر؟

- الآخر هو مود ويليامز؟

مكانها يوماً، فستظن أن زوجها قد أخذها لتقطع أرنب، أو لقطع
الأخشاب... وهو أيضاً سيحسب أنها أخذتها لتقطع اللحم للكلاب.
لا أحد يستخدم الأدوات المناسبة في ذلك البيت. إنهم يتناولون ما
تقع عليه أيديهم ثم يتركونه في المكان الخطأ، ولا يتذكر أحد شيئاً.
ولو كنت أعيش حياة كهذه لكنتُ في حالة دائمة من التوتر والقلق.
أما هم... فلا يبدو عليهم الاكتراث.

تهتد سينس وقال: حسناً، في كل هذا أمر واحد جيد، وهو أنهم
لن يعدموا جيمس بنتلي حتى يتضح كل هذا الأمر. لقد أرسلنا رسالة
إلى مكتب وزير الداخلية، وهي تعطينا ما كنا نحتاجه... الوقت.

- أحسب أنني أُرغب برؤية السيد بنتلي مرة أخرى... الآن
وقد عرفنا المزيد.



كان في جيمس بنتلي بعض التغيير، ولعله كان أكثر نحولاً من
السابق ويداه أكثر قلفاً. وبخلاف ذلك بقي كما هو، نفس المخلوق
الهادئ اليائس.

تكلم هيركيول بوارو بتأنٍ وعناية. فقد ظهر دليل جديد،
والشرطة يعيدون فتح ملف القضية، ولذلك يوجد أمل.

ولكن جيمس بنتلي لم يكن ليستجيب للأمل. قال: سيكون ذلك
ذلك بلا جدوى. ما الذي يمكن أن يكتشفوه أكثر؟

قال هيركيول بوارو: إن أصدقاءك يعملون بكل طاقاتهم.

- لقد عملتما معاً في المكتب، أليس كذلك؟ وتناولتما الطعام معاً في بعض الأحيان.

- حسناً. بلى، مرة أو اثنتين، في مطعم «بلوكات». إنه مكان مناسب جداً، لا يحتاج سوى عبور الشارع.

- ألم تتمشيا معاً أبداً؟

- الحقيقة أننا تمشينا مرة واحدة. مشينا إلى أعلى التلة.

انفجر هيركيول بوارو قائلاً: يا إلهي! أتراني أستفسر منك عن جريمة ارتكبتها؟ أليس من الطبيعي أن ترافق فتاة جميلة؟ ألا يمكن أن تكون مسروراً بذلك؟

- لا أرى سبباً لذلك.

- في مثل عمرك، طبيعي جداً أن يسر المرء بصحبة الفتيات.

- لا أعرف الكثير من الفتيات.

- لقد عرفتِ الأيسة ويليامز؛ عملتما معها وتكلمت معها وتناولتما الطعام معاً أحياناً وخرجتما مرة تمشيان فوق التلة، وعندما أذكرها فإنك لا تذكر حتى اسمها. يجب أن يخجلك هذا.

احمرّ وجه جيمس بتلي وقال: الحقيقة أنني لم تكن لي أبداً علاقات مع الفتيات. وهي ليست من يمكنك وصفها بأنها سيئة، أليس كذلك؟ إنها لطيفة جداً، ولكني لا أملك إلا أن أشعر أن أمي كانت ستري فيها فتاة من العامة.

لم يبد على بتلي أي رد فعل. قال: مود ويليامز؟ من تكون هذه؟

- إنها تعمل في مكتب بريذر وسكاتل.

- آه، تلك الأيسة ويليامز.

- بالضبط، تلك الأيسة ويليامز.

- ولكن ما علاقتها بذلك؟

كانت من اللحظات ما يجد فيها هيركيول بوارو شخصية جيمس بتلي مزعجة إلى حدّ يتمنى معه - من كل قلبه - أن يُصادق أنه مذنب بقتل السيدة ماغتي، ولكنه - لسوء الحظ - كان كلما أزعجه بتلي أكثر اقتراب أكثر من طريقة نظر المفتش سبنس للقضية. وقد أصبح يجد صعوبة متزايدة في تصور جيمس بتلي يقتل أي شخص، وأصبح على ثقة بأن من شأن بتلي أن يرى في القتل أمراً غير مُجدٍ على أية حال. ولئن كانت الحَيلاء صفة أساسية في القنلة (كما يصير المفتش سبنس) فإن بتلي لم يكن قاتلاً بالتأكيّد.

قال بوارو وقد سيطر على نفسه: لقد اهتمت الأيسة ويليامز بهذا الأمر. إنها مقتنعة ببراءتها.

- لا أرى ما يمكنها أن تعرفه حول الموضوع.

- إنها تعرفك أنت.

رمش جيمس بتلي بعينه وقال متذمراً: أحسبها تعرفني،

بطريقة ما، ولكن ليس جيداً.

- آه، وكم كان ذلك ممتعاً للفنّانة المسكينة بلا ريب!

قال جيمس بنتلي بحدّة: لم تكن معي أية نقود، عليك أن تتذكر ذلك. لم تكن معي نقود على الإطلاق.

- بالطبع. كان هذا قبل مقتل السيدة ماغتي ببضعة أيام، أليس كذلك؟

- بلى، كان يوم الإثنين، وقد قُتلت السيدة ماغتي يوم الأربعاء.

- أريد أن أسألك سؤالاً آخر يا سيد بنتلي: أكانت السيدة ماغتي تقرأ صحيفة الصندي كوميتي عادة؟

- نعم، كانت تقرأها.

- هل حدث أبداً أن رأيت نسختها من الصندي كوميتي؟

- اعتادت أن تعطيها لي أحياناً، ولكن لم أكن أقبل ذلك في الغالب؛ فلم تكن أمي تهتم بهذا النوع من الصحف.

- إذن فأنت لم تر نسخة ذلك الأسبوع من الصندي كوميتي؟

- نعم، لم أراها.

- ولم تتكلم السيدة ماغتي عن ذلك العدد، أو عن أي شيء

فيه؟

قال جيمس بنتلي على نحو غير متوقع: بلى، لقد فعلتُ، وكانت متحمسة جداً له.

- وهذا ما ترى أنت أنه بهم؟

احمر وجه بنتلي مرة أخرى وقال: إن شعرها ونوع الملابس التي ترتديها... لقد كانت أمي طبعاً من الطراز القديم...

ثم توقف، فقال بوارو: ولكنك وجدت الأتسة ويليامز... ماذا يمكن أن أقول... متعاطفة؟

قال بنتلي ببطء: لقد كانت دوماً لطيفة جداً. ولكنها لم... لم تفهم حقاً. لقد توفيت أمها وهي طفلة صغيرة.

- ثم فقدتَ وظيفتك، ولم تستطع الحصول على وظيفة أخرى. لقد قابلتك الأتسة ويليامز مرة في برووديني كما فهمت، أليس كذلك؟

بدا جيمس بنتلي متألماً وقال: بلى، بلى. كانت قادمة إلى هناك في عمل، وقد أرسلتُ إليّ بطاقة بريدية، وطلبت لِقائي. لا أعرف لماذا طلبت ذلك، فأنا لا أعرفها جيداً.

- ولكنك قابلتها فعلاً؟

- نعم. لم أُرِد أن أكون فظاً.

- وهل أخذتها إلى السينما أو لتناول الطعام؟

بدا جيمس بنتلي وكأن فضيحة تنتظره، وقال: آه، لا! لم أفعل شيئاً من هذا القبيل. لقد... لقد اكتفينا بالكلام أثناء انتظارها للحافلة.

الثَّقَلَت قبل سنين عديدة بالطبع.

- ولكن ما الذي جعلك متأكداً أنها كانت تتكلم عن السيدة أبورد؟

- لا أدري حقاً. لقد تكون لديّ هذا الانطباع وحسب. كانت تتكلم قبل ذلك عن السيدة أبورد، ثم فقدتُ اهتمامي بالموضوع ولم أستمع، وبعد ذلك... حسناً، بدأتُ الآن أفكر بالموضوع. لا أعرف حقاً من الذي كانت تتحدث عنه. لقد كانت تتكلم كثيراً كما تعلم.

تهند بوارو وقال: أنا -شخصياً- لا أحسبها كانت تتكلم عن السيدة أبورد. أظنها تكلمت عن امرأة أخرى. من السخف أن نفكر بأنك -إذا ما سُئلت- سيكون ذلك بسبب عدم انتباهك بشكل جيد لما يقوله الآخرون في حديثهم معك! هل كانت السيدة ماغتي تتكلم معك كثيراً عن البيوت التي تعمل بها أو عن سيدات تلك البيوت؟

- نعم، بطريقة ما، ولكن لا جدوى من سؤالي. يبدو أنك لا تدرك -يا سيد بوارو- أن لي حياتي الخاصة التي كان عليّ التفكير بها في ذلك الوقت؛ لقد كنت في حالة قلقٍ جيّدٍ.

- هل تكلمت السيدة ماغتي عن السيدة كاربنتر (التي كانت تُدعى السيدة سيلكيرك وقتها) أو عن السيدة ريندل؟

- كاربنتر صاحب البيت الجديد على أعلى التلة والسيارة الفارغة، أليس كذلك؟ لقد كان خاطباً للسيدة سيلكيرك. وكانت السيدة ماغتي معادية كثيراً للسيدة سيلكيرك. لا أعرف لماذا. كانت تصفها دوماً بأنها «وصولية»، ولا أدري ماذا كانت تعني بذلك.

- كانت متحمسة له إذن. وما الذي قالته؟ هذا مهم جداً.

- لا أذكر ذلك جيداً الآن. ولكن الأمر كان يدور حول جريمة قتل قديمة. أحسبها قضية اسمها كريغ... لا، ربما لم تكن كذلك. قالت -على أبة حال- إن شخصاً له علاقة بتلك القضية يعيش الآن في بروديني. كانت لا تفتري في الحديث عن ذلك، ولم أفهم لماذا كانت مهتمة بالأمر.

- هل قالت من يكون ذلك الشخص... في بروديني؟

قال جيمس بنتلي بغموض: أظنها كانت تلك المرأة التي يكتب ابنها مسرحيات.

- هل ذكرتها بالاسم؟

- لا. إنني... لقد مضى وقت طويل حقاً على ذلك...

- أرجوك، حاول أن تتذكر. ألا تريد أن تنال حريتك؟

قال بنتلي وقد بدت عليه بعض الدهشة: حريتي؟!!

- نعم، حريتك.

- إنني... نعم، أحسبني أريد ذلك.

- إذن فكّر. ما الذي قالته السيدة ماغتي؟

- حسناً... قالت شيئاً مثل: "يا لغروها بنفسها وكبرياتها! لن يكون لديها ما تفخر به لو عُرف كل شيء". وقالت أيضاً: "ما كان المرء ليظن أبداً أنها نفس المرأة التي في الصورة". ولكن الصورة

وكان في تلك الكلمات صدى للفخر.

تذكر بوارو ما أخبرته به السيدة أوليفر من حديثها مع ديردرا هندرسُن. قال بلطف: هل تكلمتما معاً؟

- نعم. هي التي تكلمت، فقد أخبرتني بأن أمها قد عانت كثيراً. كانت مولعة جداً بأمها.

- وهل أخبرتها أنت عن أمك؟

قال جيمس بتبلي ببساطة: نعم.

لم يقل بوارو شيئاً، بل انتظر، فقال جيمس بتبلي: إن الحياة قاسية جداً وظالمة جداً؛ فبعض الناس لا يجدون أية سعادة أبداً.

- هذا محتمل.

- لا أحسب أنها نالت الكثير من السعادة. أعني الأنسة ويزيري.

- بل هندرسُن.

- آه، نعم. لقد أخبرتني أن لها زوج أم.

- ديردرا هندرسُن. وديردرا تعني مليكة الأحزان. اسم جميل... ولكنها ليست بالفئة الجميلة، كما فهمت؟

احمَرَّ جيمس بتبلي وقال: أنا حسبتها جميلة نوعاً ما.

* * *

- وماذا عن عائلة ريندل؟

- الطيب، أليس كذلك؟ لا أذكر أنها قالت شيئاً مُحدداً عن هذه العائلة.

- وعائلة ويزيري؟

- أذكر تماماً ما قاله عنهم. قالت عن السيدة ويزيري: "لا صبر لي على جلبتها ووساوسها". وعن السيد ويزيري قالت: "لا تخرج منه كلمة أبداً، سواء أكانت جيدة أم سيئة".

توقف قليلاً ثم أضاف: وقالت إنه بيت غير سعيد.

نظر هيركيول بوارو للأعلى، فللمحظة واحدة بدا أن في صوت جيمس بتبلي شيئاً لم يسمعه بوارو من قبل. لم يعد يكرر بامثال ما يستطيع تذكره، بل لقد خرج عقله -لفترة وجيزة جداً- من لامبالته. كان جيمس بتبلي يفكر في هنتر كلوز، وفي الحياة التي تسير هناك، وفيما إذا كان بالفعل بيتاً سعيداً أم لا. كان جيمس بتبلي يفكر بموضوعية.

قال بوارو بهدوء: أكننت تعرفهم؟ الأم؟ الأب؟ الابنة؟

- ليس تماماً. الأمر كله يتعلق بذلك الكلب، وهو من فصيلة السيلبيهام. فقد وقع في فخٍ ولم تستطع إخراجه منه، فساعدتها في ذلك.

مرة أخرى كان في نبرة بتبلي شيء جديد؛ لقد قال "فساعدتها"،

قالت السيدة ويذري: "نعم، لم أكن على ما يرام في الآونة الأخيرة. إنه القلب كما تعرفين". ثم تهتدت بعمق وأضافت: إنني مضطرة للاستلقاء لفترات طويلة.

- سمعت أنك حصلت على خادمة جديدة أخيراً... سوف تحتاجين صئارات خشنة لهذا الصوف الناعم.

- نعم، إنها قديرة تماماً، وتطبخ بشكل لا بأس به. ولكن يا لمظهرها! شعر مصبوغ وملابس ضيقة غير ملائمة.

قالت السيدة سويتيمان: آه. إن الفتيات غير متدربات للخدمة بشكل جيد هذه الأيام. لقد بدأت أُمي العمل وهي في الثالثة عشرة من عمرها، وكانت تستيقظ في الخامسة إلا ربعاً كل صباح. وما أنهت خدمتها إلا وقد أصبحت كبيرة خادمت، وتحت إمرتها ثلاث خادمت، وقد دربتن بشكل لاتق أيضاً. ولكن لا يوجد شيء من هذا في هذه الأيام... إن الفتيات غير مُدربَات هذه الأيام، بل هن متعلمات فقط مثل إدنا.

نظرت المرأتان إلى إدنا التي اتكأت على طاولة مكتب البريد وقد بدت شاردة تماماً، ولئن صُرب بها مثل التعليم، فهي لم تكذب تحصل على شهادة النظام التعليمي.

مضت السيدة سويتيمان تفتح موضوعات جديدة للحديث، بينما كانت السيدة ويذري تفتش ضمن الصئارات الملونة المختلفة: فطبخ ما جرى للسيدة أبورد، أليس كذلك؟

- بلى، فطبخ. لم يكادوا يجروون على إبلاغي بالخبر، وحين

الفصل التاسع عشر

قالت سويتيمان مُخاطبة إدنا: والآن، اسمعيني فقط.

نشقت إدنا بأنفها. كانت قد أمضت بعض الوقت وهي تستمع للسيدة سويتيمان. وكانت المحادثة بلا فائدة، تدور في حلقات مفرغة. كررت السيدة سويتيمان نفس الشيء عدة مرات، مع تغيير في العبارات، وحتى ذلك التغيير لم يكن كبيراً. وكانت إدنا قد نشقت بأنفها ونشجت وكررت بين الحين والآخر العبارتين اللتين ساهمت بهما في الحديث؛ أولاً: إنها لا تستطيع أبداً! وثانياً: إن والدها سيسلخ جلدها وهي حية.

- قد يحدث ذلك أو لا يحدث، ولكن جريمة القتل تبقى جريمة قتل، وما رأيته قد رأيته، لا يمكنك التهرب من ذلك.

نشقت إدنا، فيما أكملت السيدة سويتيمان: وإن ما يتوجب عليك فعله حقاً...

سكتت السيدة سويتيمان واتجهت لخدمة السيدة ويذري التي حضرت لشراء صئارات للحياكة وأوقية أخرى من الصوف. قالت السيدة سويتيمان بمرح: لم ترك هنا منذ مدة، يا سيدتي.

والخروج. أنا اعتبر ذلك جنوناً مطلقاً، ولكنها تقول إنهم فعلوا ذلك دائماً، وإن بإمكان اللصوص - إن أرادوا الدخول- أن يدخلوا في أي وقت.

- لا أحسب أن في لونغ ميدوز الكثير مما يمكن للصوص أن يحمله.

هزت السيدة ويذري رأسها بأسى وغادرت حاملة مشترياتها.

واستأنفت السيدة سويتيمان وإدنا حديثهما، فقالت السيدة سويتيمان: ليس من المفيد أن تضعي نفسك في موقف من يعرف معلومات أكثر من غيره. إن الحق حق، وجريمة القتل جريمة قتل. قولتي الحقيقة... هذا رأيي.

- من شأن أبي أن يسلم جلدتي وأنا حية، بالتأكيد.

- سأتكلم أنا مع والدك.

- لا أستطيع أبداً.

- لقد قُتلت السيدة أبورد، وقد رأيت شيئاً لا يعرفه الشرطة، وأنت موظفة في مكتب البريد، اليس كذلك؟ إذن أنت موظفة حكومية. عليك أن تقومي بواجبك، يجب أن تذهبي من فورك إلى بيرت هيلنغ.

عاد نشيج إدنا من جديد وهي تقول: ليس إلى بيرت، لا أستطيع. كيف لي أن أذهب إلى بيرت؟ سيستشر الخبير في كل مكان.

أبلغوني به تعرضتُ لخفقان رهيب. إنني حساسة جداً.

- لقد كانت صدمة لنا جميعاً. أما الشاب أبورد فقد أظهر حزناً فظيماً، وقد استغللت السيدة الكاتبة تماماً بأمره إلى أن حضر الطبيب وأعطاه مسكناً أو شيئاً ما. وقد ذهب إلى لونغ ميدوز الآن ليقيم بالأجرة، إذ شعر أنه لا يستطيع البقاء في البيت، وأنا لا ألومه. أما جانيت غروم فقد ذهبت لتقيم عند ابنة أختها، وأخذت الشرطة مفتاح البيت. والسيدة التي تكتب قصص الجريمة عادت إلى لندن ولكنها ستعود لجلسة التحقيق.

أطلقت السيدة سويتيمان كل هذه المعلومات بتلذذ؛ فهي تعثر بنفسها لما تعرفه من معلومات. أما السيدة ويذري - التي ربما كانت رغبته في معرفة ما يجري هي الدافع وراء قدومها لشراء أغراض الخياكة- فقد دفعت ثمن مشترياتها وقالت: إنه أمر مزعج للغاية. إنه يجعل القرية كلها خطيرة جداً. لا بد أن في المنطقة مجنوناً. عندما أفكر بأن ابنتي العالية كانت خارجة تلك الليلة وأنها كان يمكن أن تُهاجم هي الأخرى، وربما تُقتل...

أغلقت السيدة ويذري عينيه وترنحت على قدميها، وراقبتها السيدة سويتيمان باهتمام ولكن دون دُعر. فتحت السيدة ويذري عينيه ثانية وقالت بكبرياء: يجب أن تجوب الدوريات هذا المكان، ويجب أن لا يخرج الشباب في الليل، وأن تبقى جميع الأبواب مغلقة. أتعرفين أن السيدة سمرهيز في لونغ ميدوز لا تقفل أبداً من أبوابها، ولا حتى أثناء الليل! بل تترك الباب الخلفي والباب الزجاجي لغرفة الجلوس مفتوحين كي تتمكن الكلاب والقطط من الدخول

عاشوا في لونغ ميدوز، فقد اعتبر القرويون أن من الطبيعي أن يوجه الآخرين وينصحهم عندما يطلبون منه ذلك.

قالت السيدة سويتيمان: إن الأمر يتعلق بإدنا هنا.

نشقت إدنا، ونظر جوني سمرهيز إليها بارتياح. فكّر بأنه لم يَر قط فتاة أقل جاذبية من هذه. إنها أشبه بأرنب مسلوخ، ويبدو أنها بنصف عقل أيضاً!

قال بلطف: حسناً. ما المشكلة؟

- إنها تتعلق بجريمة القتل يا سيدي. ليلة الجريمة... رأيت إدنا شيئاً.

نقل جوني سمرهيز نظراته السريعة من إدنا إلى السيدة سويتيمان ثم إلى إدنا مرة أخرى وقال: ما الذي رأيته يا إدنا؟

بدأت إدنا في التشجيع، فأخذت السيدة سويتيمان زمام الحديث: لقد كنا نسمع بالطبع أشياء مختلفة، بعضها إشاعات وبعضها الآخر حقيقة. ولكن يُقال إن من المؤكد أن سيدة كانت هناك في تلك الليلة، وقد شربت القهوة مع السيدة أبورد. هذا صحيح، أليس كذلك؟

- بلى، أظنه كذلك.

- أعرف أن هذه حقيقة لأنني سمعتها من بيرت هيلنغ.

كان بيرت هيلنغ الشرطي المحلي الذي يعرفه سمرهيز جيداً. وهو رجل بطيء الكلام ذو إحساس بأهميته. قال سمرهيز: فهمت.

قالت السيدة سويتيمان بتردد: إذن فإلى ذلك الرجل الأجنبي.

- ليس إلى أجنبي، لا أستطيع... ليس إلى أجنبي!

- نعم، ربما كنت محقة في هذا.

توقفت سيارة خارج مكتب البريد مُطلقة صرير كوابحها، فتהלل وجه السيدة سويتيمان وقالت: هذا الميجر سمرهيز. أخبره بكل شيء وسيضحك بما يجب أن تفعل.

قالت إدنا، ولكن باقتناع أقل: لا أستطيع.

دخل جوني سمرهيز إلى مكتب البريد مترنحاً تحت ثقل ثلاثة صناديق كرتونية وقال بمرح: صباح الخير سيدة سويتيمان. أمل أن لا تكون هذه زيادة على الوزن المقرر.

اهتمت السيدة سويتيمان بالطرود بصفتها الرسمية، وبينما كان سمرهيز يلعب الطابيح لياصقها قالت: أرجو المعذرة يا سيدي، أريد نصيحتك في موضوع ما.

- نعم يا سيدة سويتيمان؟

- طالما أنك ابن هذه المنطقة، ومن شأنك أن تعرف جيداً ما هو الأفضل.

أوما سمرهيز برأسه. لقد كان يتأثر دوماً -بشكل غريب- بروح الإقطاع المتبقية في القرى الإنكليزية. إن القرويين لا يعرفون عنه شخصياً سوى القليل، ولكن بما أن والده وجدّه وأجداده السابقين

أوماً جوني سمرهيز برأسه، وقد كنتم إحساساً بالتعجب من أن يكون لدى إدنا (التي تنفقر إلى الجاذبية) ما يمكن أن يشير إعجاب رجلين اثنين، واهتم بالجانب العملي من الموقف فقال بتفهم واضح: وهي لا تريد أن تذهب إلى بيرت هيلنج وتخبره بذلك؟

- هذا صحيح.

فكر سمرهيز بسرعة وقال بلطف: أخشى أن يكون من الواجب أن يعلم الشرطة بذلك.

- هذا ما قلته لها يا سيدي.

- ولكن لعل رجال الشرطة يتصرفون بلباقة إزاء... إزاء الظروف. ربما لا يكون عليها أن تدلي بشهادتها في جلسة التحقيق، وسيبقون أقوالها لأنفسهم. أستطيع أن أتصل بالفتش سينس وأطلب منه القدوم إلى هنا. لا، الأفضل أن آخذ إدنا إلى كيلشستر في سيارتي، فإذا ذهبت إلى مركز الشرطة هناك فلن يعرف أحد هنا بذلك، وسوف أتصل بهم مسبقاً لأخبرهم بقدومنا.

وهكذا، وبعد مكالمة هاتفة قصيرة، خرجت إدنا الناشقة وقد أحكمت لف معطفها على جسمها، وبرتة تشجيع من السيدة سويتيمان على ظهرها، ودخلت في السيارة التي سارت بها بسرعة باتجاه كيلشستر.

مخنوق: إن أبي سيسلخ جلدي حيةً بالتأكد.

أرسلت نظرة تومس إلى السيدة سويتيمان وانطلقت إلى الغرفة الخلفية. تولت السيدة سويتيمان الأمر بكفاءة كاملة، وقالت جواباً على نظرات سمرهيز المتسائلة: الأمر كالتالي يا سيد سمرهيز: لقد كانت إدنا تتصرف بطريقة حمقاء، وأبوها رجل صارم، وربما كان مبالغاً قليلاً في صرامته، ولكن من الصعب معرفة ما هو الأفضل هذه الأيام. في كولافون شاب لطيف اسمه ريج خطب إدنا واتفقا على الزواج، وكان أبوها مسروراً بذلك، ولكن الفتى بطيء، متمهل بعض الشيء، وأنت تعرف الفتيات. ولذلك أخذت إدنا تخرج مؤخراً مع تشارلي ماسترز.

- ماسترز؟ أحد رجال فارمر كول، أليس كذلك؟

- بلى يا سيدي. وهو عامل مزرعة، ومتزوج وله طفلان، ولكنه يسعى دائماً وراء الفتيات، وهو سيء بكل المقاييس. ليس لدى إدنا عقل، وقد أوقف والدها الأمر، وهو مُحق في ذلك. وفي تلك الليلة كان يُفترض أن إدنا ذاهبة إلى كولافون للذهاب إلى السينما مع ريج... هذا ما قالته لوالدها على الأقل. ولكن الحقيقة أنها خرجت لمقابلة ماسترز. انتظرته عند منعطف الطريق حيث اعتادا أن يتقابلا فيما يبدو، ولكنه لم يأت. ربما أبنته زوجته في البيت، أو لعله كان يلاحق فتاة أخرى، ولكن هذا ما حدث. وانتظرت إدنا ولكنها ينست منه أخيراً. والمشكلة أن من المُحرج لها - كما ترى - أن تشرح ماذا كانت تعمل هناك في وقت كان يُفترض فيه أن تركب الحافلة إلى كولافون.

شرطة مستقيم! ولكن بدلاً من ذلك، لم يرمه حظه إلا أمام جيمس بنتلي الذي يُشكّل حالة مَرَضِيَّة بالتأكيد. مخلوق متمحور حول نفسه لم يفكر كثيراً في أحدٍ غير نفسه. رجل غير شاكر للجهود التي تُبذل لإنقاذه... بل يكاد المرء يقول إنه غير مهتم بتلك الجهود.

وفكر بوارو قائلاً لنفسه: لعل من الأفضل حقاً أن يدعه المرء يُشَتِّق ما دام هو نفسه لا يبدو مهتماً.

ولكن لا، ما كان ليذهب بعيداً إلى هذا الحد. اقتحم سؤال المفتش سبنس هذه التأملات، فأجابته بوارو: لو جاز لي القول لقلْتُ إن مقابلتنا كانت غير مشرّة على الإطلاق. فهو لا يذكر أي شيء مفيد كان يوسعه أن يذكره... وما تذكره كان من الغموض والضبابية بحيث لا يستطيع المرء أن يبيّن عليه أي شيء. ولكن يبدو مؤكداً - في جميع الأحوال - أن السيدة ماغتي كانت متفعلة بذلك المقال الموجود في صحيفة صندي كوميت وتحدثت مع بنتلي بشأنه، مع إشارة خاصة إلى «شخص مرتبط بالقضية»، ويعيش في بروديني.

سأل المفتش سبنس بحدّة: بأية قضية؟

- لا يستطيع صاحبنا العزم بذلك. لقد قال -بشيء من الشك- إنها قضية كريغ، ولكن بما أن قضية كريغ هي الوحيدة التي سمع بها فيُفترض أن تكون هي الوحيدة التي استطاع أن يتذكرها. ولكن ذلك «الشخص» كان امرأة، حتى إنه اقتبس كلمات السيدة ماغتي: "لن يكون لديها ما تفخر به لو عُرف كل شيء".

- تفخر به؟

الفصل العشرون

كان هيركيول بوارو في مكتب المفتش سبنس في كيلشستر. كان مستنداً إلى ظهر كرسيه، وعيناه مغمضتين، وقد نصب أصابع يديه بعضها مقابل بعض.

تلقى المراقب سبنس بعض التقارير، وأصدر تعليماته إلى عريفٍ لديه، وأخيراً نظر إلى الرجل الآخر وسأل: أتلقى إلهاماً عقلياً يا سيد بوارو؟

- أنا أتأمل. إنني أراجع الأمور.

- نسيت أن أسألك. هل حصلت على شيء مفيد من جيمس بنتلي عندما رأيته؟

هز بوارو رأسه وقطب حاجبيه. كان جيمس بنتلي -بالفعل- هو موضوع تفكيره.

فكر بوارو -وقد نفذ صبره- بأن من المزعج حقاً أن يكون المتهم الضحية مفتقراً لأي إغراء رومانسي في هذه القضية التي عرض فيها بوارو خدماته بلا مقابل، ولمجرد الصداقة والاحترام لضابط

شيئاً عنهم هم عائلة سمريز التي يعيش أفرادها هناك منذ ثلاثين عاماً، وغاي كاربتير أحد الذين امتحنوا الهندسة من آل كاربتير. أما الآخرون جميعاً فدائموا التغيير. الدكتور ريندل موجود في سجلات الأطباء، ونعرف أين تدرّب وأين مارس المهنة، ولكننا لا نعرف خلفيته العائلية. زوجته من منطقة قرب دبلن، وقد كانت إيف سيلكيرك (كما كان اسمها قبل أن تزوج غاي كاربتير) أرملة جميلة من أرامل الحرب. كل واحدة يمكن أن تكون كذلك. خذ عائلة ويذري... يبدو وكأنهم طافوا حول العالم كله. لماذا؟ هل لديهم سبب؟ هل اختلسوا أموالاً من بنك؟ أم هل حدثت لهم فضيحة ما؟ أنا لا أقول إننا لا نستطيع البحث عن ماضي هؤلاء الناس، بل نحن نستطيع ذلك، ولكنه يستغرق زمناً، والناس أنفسهم لن يساعدوك في ذلك.

- لأن لديهم شيئاً يخفونه... ولكن ليس من الضرورة أن يكون ذلك الشيء جريمة قتل.

- بالضبط. قد تكون مشكلات مع القانون، أو قد تكون أصلاً وضيقاً، أو فضيحة عادية. ولكن -هناك أمر- فإنهم بذلوا جهدهم ليخفوه... وهذا يجعل كشف الأمور صعباً.

- ولكن ليس مستحيلاً.

- ليس مستحيلاً، ولكنه يتطلب وقتاً فقط. وكما أقول، إذا كانت ليبي غامبول في بروديني، فهي إما إيف كاربتير أو شيلا ريندل. وقد استجوبتهما. أوضحنا لهما أن الأمر مجرد روتين، وقلنا إنهما كانتا في البيت... كل واحدة منهما بمفردها. كانت السيدة كاربتير البرية

أوما بوارو برأسه تقديراً وقال: نعم، كلمة ذات دلالة، أليس كذلك؟

- ألم يكن لديه مفتاح أو إشارة إلى من تكون تلك السيدة المتفاحرة؟

- اقترح بتلي أنها السيدة أبورد... ولكن دون أي سبب حقيقي فيما أرى!

هز سبنس رأسه وقال: ربما لأنها كانت من ذلك النوع القخور النزاع إلى السيطرة، وأحسب أن تلك كانت صفة بارزة جداً لديها. ولكن لا يمكن أن تكون السيدة أبورد لأن السيدة أبورد ميتة، وهي ميتة لنفس السبب الذي ماتت من أجله السيدة ماغتي... لأنها تعرفت على إحدى الصور.

قال بوارو بحزن: لقد حذرتها.

تمتم سبنس مزعجاً: ليبي غامبول! إذا ما أخذنا مسألة العمر بالاعتبار فليس لدينا سوى احتمالين: السيدة ريندل والسيدة كاربتير. أنا لم أضع الأتيسة هندرسن بالحسبان لأن لها خلفية معروفة.

- وليس للأخريات مثل تلك الخلفية؟

تنهد سبنس وقال: أنت تعرف كيف تسيير الأمور هذه الأيام. لقد أثار الحرب كل واحد وكل شيء. لقد دُمّرت مدرسة الأحداث التي كانت ليبي غامبول فيها، هي وكافة وثائقها، بضرية مباشرة. ثم فكّر في الناس مثلاً، من أصعب الأشياء في العالم التحقق من الناس. خذ بروديني مثلاً... إن الناس الوحيديين في بروديني الذين نعرف

- لماذا؟ الله أعلم! لماذا يحتفظ الناس بكل الأشياء؟ خردة،
تُفايات، ومُختلف الأشياء. إنهم يفعلون ذلك، هذا كل شيء!

- أوافقك الرأي إلى درجة معينة. بعض الناس يقتنون الأشياء،
وبعض الناس يرمون كل شيء حالما ينتهون منه. هذه مسألة طباع
بالفعل، ولكنني أتكلّم الآن -بشكل خاص- عن الصور. لماذا يحتفظ
الناس بالصور على وجه الخصوص؟

- كما قلتُ الآن، لأنهم لا يلقون بالأشياء بعيداً، أو ربما
لأنها تُذكّرهم...

قال بوارو مُركّزاً على الكلمات: بالضبط. إنها تُذكّرهم. والآن
سأل ثانية: لماذا؟ لماذا تحتفظ المرأة بصورتها وهي صغيرة؟ وأقول
إن السبب الأول هو الخيّلاء أساساً، فقد كانت فتاة جميلة وتحفظ
بصورة لها تُذكّرها كم كانت جميلة. إنها تشجعها وترفع معنوياتها
عندما تكشف لها مرآتها أشياءها الكريهة، وربما قالت لصديقة لها:
"هذا ما كنته عندما كنت في الثامنة عشرة..." ثم تتنهد. هل توافقني
الرأي؟

- نعم، نعم. أحسب أن هذا صحيح تماماً.

- إذن هذا هو السبب الأول؛ الخيّلاء. والآن إلى السبب
الثاني؛ العاطفة.

- أليس هذا نفس الشيء؟

- أهدأ، ليس تماماً؛ لأن هذا لا يفودك للاحتفاظ بصورتك

ذات العينين الواسعتين، أما السيدة ريندل فكانت عصبية متوترة.
ولكنها من الطراز العصبي، لا يمكنك أن تعتمد على ذلك.

قال بوارو متأملاً: نعم، إنها من الطراز العصبي المزاج.

كان يفكر في السيدة ريندل وهي في حديقة لونغ ميدوز. كانت
قد تلقت رسائل مجهولة المصدر أو هذا ما قالته، وتعجب لتلك
الإفادة كما سبق له أن تعجب.

مضى سينس قائلاً: ويجب أن نكون حذرين. فحتى إن كانت
إحدهما مذبنة، فالأخرى بريئة.

- كما أن غاي كاربتتر عضو محتمل في البرلمان وشخصية
محلية مهمة.

- لن يفيد ذلك في شيء إذا كان متورطاً في جريمة قتل أو
له علاقة بها.

- أعرف ذلك، ولكن على المرء أن يكون متأكداً.

- هذا صحيح، ولكنك توافقني القول إن الأمر لا يعدو واحدة
منهن؟

تنهد بوارو وقال: لا، لا. ما كنتُ لأقول ذلك؛ إذ توجد
احتمالات أخرى.

- مثل ماذا؟

سكت بوارو لحظة، ثم قال بنبرة مختلفة تكاد تكون عرضية:
لماذا يحتفظ الناس بالصور؟

- نعم، لقد كان، ولكننا نعمل على فرضية أن ليلى غامبول هي التي نبحت عنها؟

اعتدل بوارو فجأة في كرسيه، وهز سبابته الأمرة في وجه سينس قائلاً: انظر، انظر إلى صورة ليلى غامبول. إنها ليست جميلة. لا! وبصراحة، فإنها -بتلك الأسنان والنظارات- قبيحة جداً. إذن لا أحد يحتفظ بهذه الصورة للسبب الأول الذي شرحناه. لا يمكن لأي امرأة أن تحتفظ بها بدافع الخيلاء، ولو التقطت أي من إيف كاربتير أو شيلا ريندل هذه الصورة لنفسيهما -وكلاهما جميلتان، وخاصة إيف كاربتير- لكان من شأن أي منهما أن تسارع إلى تمزيقها إلى قطع صغيرة كيلا يراها أحد!

- حسناً، في هذا شيء من الصحة.

- إذن فلنشطب السبب الأول. والآن لنأخذ العاطفة: هل أحب أي شخص ليلى غامبول في ذلك السن؟ إن واقع ليلى غامبول يفيد أن أحداً لم يحبها؛ لقد كانت طفلة غير مرغوبة وغير محبوبة. الشخص الذي أحبها أكثر من غيره كان عمته، عمته التي ماتت تحت الساطور. إذن لم تكن العاطفة هي السبب في الاحتفاظ بالصورة. والآن: الانتقام؟ لم يكرهها أحد كذلك. كانت عمته المغدورة وحيدة بلا زوج وليس لها أصدقاء مقربون. لم يُكَنَّ أحد الكراهية لطفلة فقيرة صغيرة، لم تكن سوى الشفقة عليها.

- اسمعني يا سيد بوارو. إن الذي تقوله هو أنه ما من أحد يمكن أن يحتفظ بهذه الصورة.

- بالضبط... هذه نتيجة تأملاتي.

فحسب، بل بصورة شخص آخر... صورة لابنتك المتزوجة وهي طفلة تجلس على سجادة الموقد يحيط بها قماش التول الناعم.

- لقد رأيت بعضاً من هذه الصور.

- نعم، وهي محرجة جداً لصاحب الصورة أحياناً، ولكن الأمهات يحببن هذا. وكثيراً ما يحتفظ الآباء والبنات بصورة لأمهاتهم، خاصة إذا توفيت أمهاتهم في وقت مبكر. ليقولوا: "هكذا كانت أمي وهي فتاة".

- لقد بدأت أدرك ما ترمي إليه يا بوارو.

- وربما كان يوجد سبب ثالث. ليس الغرور ولا العاطفة، وليس الحب... بل ربما الكراهية. ما رأيك؟

- الكراهية؟!

- نعم، لإبقاء الرغبة في الانتقام حية. شخص تسبب بالأذى لك... قد تحتفظ بصورة له لتذكرك بذلك، أليس كذلك؟

- ولكن هذا لا ينطبق على حالتنا هذه بالتأكيد؟

- ألا ينطبق؟

- ما الذي تفكر به؟

تمتم بوارو: إن تقارير الصحف غالباً ما تكون غير دقيقة. أفادت الصندي كوميت أن إيفا كين كانت مستخدمة لدى كريغ كمرية أطفال. هل كان ذلك حقيقة؟

- بالضبط. لقد أرادت السيدة أبورد أن تتصل بالشخص المعني في أقرب فرصة، وسنحت الفرصة عندما ذهب ابنها والسيدة أوليفر إلى المسرح في كولنكيه.

- واتصلت بيدردا هندرسن، وهذا يضع ديدردا هندرسن مرة أخرى في دائرة الشك، وكذلك أمها!

هز المفتش سبنس رأسه بحزن نحو بوارو وقال: أنت تحب أن تجعل الأمور أكثر صعوبة، أليس كذلك يا سيد بوارو؟

* * *

- ولكن شخصاً ما فعل ذلك؛ لأن السيدة أبورد رأتها.

- هل رأتها حقاً؟

- تياً؛ أنت الذي أخبرتني بذلك. لقد قالت ذلك بنفسها!

- نعم. هي قالت ذلك، ولكن السيدة الراحلة أبورد كانت - من بعض الجوانب - امرأة متكئمة، وكانت تحب أن تدير الأمور بطريقتها الخاصة. لقد قُمتُ بعرض الصور وتعرّفتُ هي على واحدة منها، ولكن بعدها (لسبب ما) أرادت أن تحتفظ بتحديد الهوية لنفسها. لنقل إنها أرادت أن تتعامل مع موقف معين بالطريقة التي تخيلتها. ولذلك، ولأنها ذات ذكاء سريع، فقد تعمّدت الإشارة إلى الصورة الخطأ، وبذلك احتفظت بمعلوماتها لنفسها.

- ولكن لماذا؟

- لأنها - كما قلتُ - أرادت أن تلعب وحدها.

- ألا يمكن أن يكون ذلك ابتزازاً؟ لقد كانت امرأة غنية للغاية كما تعرف، أرملة لرجل صناعة من الشمال.

- لم يكن ابتزازاً. الأرجح أن يكون إحساناً. لنقل إنها أحببت الشخص المعني ولم تُرد أن تكشف السر، ومع ذلك فقد شعرت بالفضول. لقد أرادت أن تجري حديثاً خاصاً مع ذلك الشخص، وفي تلك الأثناء يمكنها أن تقرر فيما إذا كان لهذا الشخص علاقة بموت السيدة ماغتي. شيء كهذا.

- إذن هذا يعني الصور الثلاث الأخرى في دائرة الضوء.

جزءاً من عملك أن تتفطلي على أشيائي.

- لم أكن أتطفل، بل كنت أرتب بعض الأشياء التي تركتها
مبعثرة هنا وهناك.

- هراء، كلكم متطفلون، ولن أقبل ذلك. إنني أشعر بضعف
شديد. هل الأنسة ديردرا هنا؟

- لقد أخذت الكلب في نزهة.

- يا للغباء! إنها تعرف أنني أحتاجها. أحضري لي بيضة
مخفوقة في الحليب.

- لا يوجد سوى ثلاث بيضات للإفطار غداً.

- إذن سيضطر أحدنا للاستغناء عن بيضة. هلاً أسرع؟
لا تقفي هكذا تنظرين إلي. كما أنك تضعين الكثير من المساحيق،
وهذا غير مناسب.

سُمع صوت نباح كلب في القاعة ودخلت ديردرا وكلها بينما
غادرت مود. قالت ديردرا لاهته: لقد سمعت صوتك. ما الذي كنت
تقولينه لها؟

- لا شيء.

- لقد بدت كالصاعقة.

- لقد أزمئتها منزلتها الصحيحة... فتاة وقحة!

الفصل الحادي والعشرون

مشت السيدة ويذربي عاتدة من مكتب البريد إلى البيت بخفة
ومرح مُدهشين بالنسبة لامرأة توصف عادة بأنها عليلة مُتععدة. وعندما
دخلت الباب الأمامي عادت لتجوز رجلها بضعف إلى غرفة الجلوس
وتنهار على الأريكة.

كان الجرس في متناول يدها فضغطت عليه. ولما لم يأتها أحد
ضغطت مرة أخرى، مُبينة إصبعها عليه لفترة من الوقت.

ظهرت مود ويليامز في نهاية الأمر، وكانت ترتدي سروال عمل
مزرکشاً وتحمل منفضة غبار في يدها. قالت: هل قرعتِ الجرس
يا سيدتي؟

- قرعته مرتين. عندما أقرع الجرس أتوقع أن يأتي شخص في
الحال؛ فقد أكون في حالة خطيرة.

- أنا أسفة يا سيدتي، لقد كنت في الطابق العلوي.

- أعرف أنك كنت هناك. لقد كنت في غرفتي؛ سمعتُ حركتك
فوق رأسي، وكنيتِ تفنحين وتغلقين الأدراج. لا أعرف لماذا، فليس

بالطاولة فسقط تمثال برونزي على الأرض. تمتت السيدة ويذري
قائلة لنفسها: يا للخرق!

فتح الباب ودخل السيد ويذري. وقف برهة قبل أن تفتح
السيدة ويذري عينها وتقول: أه، هذا أنت يا روجر؟

- أتساءل ما سبب كل هذا الضجيج الذي كان هنا. يستحيل
على المرء أن يقرأ في هذا البيت.

- إنها فقط ديدرا يا عزيزي. جاءت بالكلب.

انحنى السيد ويذري فالتقط التمثال البرونزي عن الأرض
وقال: إن ديدرا أكبر بالتأكيد من أن توقع الأشياء طوال الوقت.

- إنها خرقاء مرتبكة قليلاً فحسب.

- من السخف أن تكون كذلك في مثل سنها. ألا تستطيع أن
توقف ذلك الكلب عن الباح؟

- سأكلمها يا روجر.

- إذا أودت أن تجعل من هذا المكان بيتاً لها فإن عليها أن
تراعي رغباتنا ولا تتصرف وكأن هذا البيت ملك لها.

تمتمت السيدة ويذري قائلة: ربما كنت تقصّل خروجها.

ثم راقبت زوجها من خلال عينيها نصف المغلقتين، فقال: لا،
لا. من الطبيعي إن هذا هو بيتها. كل ما أطلبه هو المزيد من الحصافة
والسلوك الحسن. هل كنت في الخارج يا إيديث؟

- أو يا أمي العزيزة، أكان ذلك ضرورياً؟ من الصعب الحصول
على أي خادمة، وهي تطبخ جيداً.

- لن أسمع لها بأن تكون واحة معي! أه، حسناً، لن أمكث
معكم طويلاً.

أغلقت السيدة ويذري عينها وأخذت بعض الأنفاس المضطربة
وأضافت: لقد مشيت مسافة طويلة.

- كان عليك أن لا تخرجي يا عزيزتي. لماذا لم تخبريني بأنك
خارجة؟

- رأيت أن القليل من الهواء سيكون مفيداً لي. إن الجو خالق.
هذا لا يهم، لا يريد المرء حقاً أن يعيش... ليس إذا كان مجرد عبء
على الآخرين.

- أنت لست عينا يا عزيزتي، أفضل أن أموت معك.

- أنت فتاة طيبة، ولكنني أدرك كيف أنني أبعث فيك السأم
وأثير أعصابك.

قالت ديدرا بحماسة: لا، أنت لا تفعلين ذلك.

تهللت السيدة ويذري وأسدلّت جفنيها، ثم تمتمت قائلة:
إنني... لا أستطيع التكلم كثيراً. يجب أن أبقى ساكنة.

- سوف أستعجل مود بالبيض المخفوق.

خرجت ديدرا تركض من الغرفة، وأثناء خروجها علقت مرفقها

لتجد مود واقفة عند رأسها حاملة في يدها كأساً.

- بيضك المخفوق يا سيدتي.

كان صوتها عالياً وواضحاً، وتردد بشكل مسموع في جنبات البيت الساكن.

ونظرت السيدة ويذربي للأعلى بشعور غامض بالذعر. لَكَمْ هي طويلة وحازمة تلك الفتاة. رفعت نفسها على مرفقها وأخذت الكأس قائلة: شكراً لك يا مود.

واستدارت مود وغادرت الغرفة، إلا أن السيدة ويذربي بقيت تشعر بانزعاج غامض.

* * *

- نعم، ذهبت إلى مكتب البريد فقط.

- هل من أخبار جديدة عن السيدة أبورد المسكينة؟

- ما زال الشرطة جاهلين بهوية قاتلها.

- يبدو أنهم في وضع يائس تماماً. هل ظهر أي دافع؟ من الذي يحصل على مالها؟

- أحسبه ابنها.

- نعم، نعم. لا بد إذن أنه أحد المتشردين. يجب أن تخبري هذه الفتاة أن تكون حريصة بشأن إغلاق الباب الأمامي، وأن لا تفتحه إلا بقدر ما يسمح قفل السلسلة عندما يقترب الظلام. إن هؤلاء المتشردين في غابة الجراءة والوحشية هذه الأيام.

- يبدو أن شيئاً لم يؤخذ من السيدة أبورد.

- غريب!

- ليس كما كان الحال في قضية السيدة ماغتي.

- السيدة ماغتي؟ آه! الخادمة. وما علاقة السيدة ماغتي بالسيدة أبورد؟

- لقد عملت لديها يا روجر.

- لا تكوني سخيفة يا إيديث.

أغمضت السيدة ويذربي عينها ثانية، ومع مغادرة السيد ويذربي الغرفة ابتسمت لنفسها. ثم فتحت عينها بشيء من الجفلة

عليه، وسمع من فوقه صوت طرقات خفيفة لألة كاتبة. إنه روبن أبورد، بجاهد في كتابة مسرحية جديدة، وقد أخبر بوارو أنه مَرَّق حتى الآن ثلاث نُسُخ، وأنه -لسبب ما- لا يستطيع التركيز.

قد يكون روبن صادق التأثر بموت والدته، ولكنه يبقى روبن أبورد الذي يهتم أولاً بنفسه. كان قد قال بتجهم: كان من شأن أمي أن ترغب في أن أستمِر في عملي.

وكان هيركيول بوارو قد سمع الكثيرين يقولون نفس الشيء تقريباً، فقد كانت تلك المعرفة بما كان من شأن الأموات أن يرغبوا به من أكثر الافتراضات راحةً وملاءمة. ولن تجد لدى فاقدِي أفرانهم -عادةً- أي شك بشأن رغبات وأماني من فقدوهم، تلك الرغبات التي تتسجم دوماً مع ميول الأحياء وتزعاجهم.

وربما كان الأمر صحيحاً هذه المرة؛ فقد كان للسيدة أبورد إيمان عميق بعمل روبن، وكانت فخورة جداً به.

استند بوارو إلى الخلف وأغلق عينيه. فكر في السيدة أبورد، وتأمل في شخصيتها الحقيقية. تذكر عبارة سمعها ذات مرة من ضابط شرطة تقول: "سوف نأخذُه معزولاً لنرى ما الذي يجعله يتصرف".

ما الذي كان يجعل السيدة أبورد تتصرف؟

شُمع صوت خيطة، ودخلت مورين سمرهيز وشعرها متطاير كالمجانين وقالت: لا أدري ما الذي حدث لجوتي. لقد ذهب إلى مكتب البريد بتلك الطلبات الخاصة. يُفترض أن يكون قد عاد منذ ساعات. أريدُه ليصلح باب فَنِّ الدجاج.

الفصل الثاني والعشرون

استقل هيركيول بوارو سيارة مستأجرة عائداً إلى بروديني.

كان مُتعباً من التفكير، والتفكير مسألة منهكة دائماً. ولم يكن تفكيره قد قاده إلى نتائج مُرضية تماماً. بدا له الأمر أشبه بنمطٍ أو شكلٍ تمت حياته على قطعة قماش. ومع ذلك، ورغم أنه يمسك بقطعة القماش، إلا أنه لا يستطيع إدراك ماهية الشكل.

ولكن كان كل شيء موجوداً في النقش... هذه هي النقطة الأساسية. كل شيء هناك، غير أن هذا النمط كان من تلك الأنماط الخفية الدقيقة على الأفهام التي يصعب إدراكها.

وفي طريقه خارجاً من كيلشستر التقت السيارة التي استقلها بسيارة سمرهيز الذاخرة في الاتجاه الآخر. كان جوتي يقود السيارة وبجانبه شخص آخر، ولم يكذب بوارو يلاحظهما لأنه كان مستغرقاً في التفكير.

عند عودته إلى لونغ ميدوز ذهب إلى غرفة الجلوس. أبعُد مصفاة مملوءة بالسباغ عن أكثر الكراسي راحة في الغرفة وجلس

خياطة، كومة من الجوارب، رسائل، صوف حياكة، مجلات، شمع، صور، سترة... كان أمراً لا يطاق.

نهض بوارو واتجه نحو المكتب، وبحركة سريعة ماهرة بدأ في إعادة الأشياء إلى الأدراج المفتوحة. السترة والجوارب والصوف، ثم، في الدرج التالي، الشمع والصور والرسائل.

رن جرس الهاتف فجعل بوارو لحدة رنين الجرس. ذهب إلى الهاتف ورفع السماعة: ألو، ألو، نعم؟

سمع صوت المفتش سنيس: آه! هذا أنت يا سيد بوارو؟ أنت تماماً من أريده.

كاد صوت سنيس أن لا يكون مُمَيَّزاً، وكأن رجلاً في غاية القلق تنحى ليحل محله رجل واثق جداً.

قال سنيس بمحبة مؤنية: بعد أن ملأت رأسي بالكلام عن الصورة المخطأ أننا دليل جديد. فتاة في مكتب البريد في بروديني، أحضرها الميجر سمرهيز لتوه. يبدو أنها كانت تقف مقابل البيت تماماً في تلك الليلة وراة امرأة تدخل إليه. كان ذلك بعد الثامنة والنصف وقبل التاسعة، ولم تكن تلك المرأة ديردرا هندرسن، إذ كانت ذات شعر أشقر. وهذا يعيدنا إلى حيث كنا... إن الأمر لا يعدو بالتأكيد واحدة من الالنتين، إما إيف كاربتر أو شيلا ريندل. والسؤال الوحيد الآن هو: أيهما؟

فتح بوارو فمه ولكنه لم يتكلم. أعاد سماعه الهاتف إلى مكانها بحذر، ثم قف هناك محملاً أمامه بشرود.

فكر بوارو بأن من شأن سيد مذهب حقيقي أن يعرض بشهامة إصلاح باب القن بنفسه، ولكن بوارو لم يعرض ذلك. أراد أن يمضي في تفكيره بجريمتي القتل وبشخصية السيدة أبورد أيضاً. قالت مورين: كما لم أجد استمارة وزارة الزراعة. لقد بحثت عنها في كل مكان.

قال بوارو عارضاً المساعدة: السباغخ على الأريكة.

ولكن السباغخ لم تكن تُقلق مورين. قالت: لقد جاءت الاستمارة في الأسبوع الماضي، ولا بد أنني وضعتها في مكان ما. ربما كان ذلك عندما كنت أرتق سترة جوني.

اندفعت مسرعة إلى المكتب وبدأت فتح الأدراج مُلقية معظم محتوياتها على الأرض بلا رحمة، وكان هيركيول بوارو يجد المأ عظيماً في مراقبتها وهي تقوم بذلك.

فجأة، أطلقت صرخة انتصار وقالت: "وجدتها!"، ثم خرجت مسرعة من الغرفة بسرور. تنهد هيركيول بوارو واستأنف تأملاته.

ليرتب الأمور، بنظام ودقة...

قطب جبينه، شرد ذهنه لمرأى الكومة المبعثرة من محتويات المكتب على الأرض. يا للطريقة الغريبة للبحث عن الأشياء! النظام والمنهجية. هذا هو المطلوب، النظام والمنهجية.

وبالرغم من استدارته إلى كلا الجانبين في الكرسي، إلا أنه لم يستطع التخلص من رؤية الفوضى الموجودة على الأرض. أدوات

- لا، لم أجد رسالة، ولكنني وجدت شيئاً مثيراً للاهتمام...
أو أنني اعتبره كذلك على الأقل. انظر إلى هذا.

أخرج فليشر من ورق صحيفة كتاباً قديماً بالياً وقال: كان على
أحد رفوف الكتب. إنه كتاب قديم، ولكن انظر هنا.

فتح الكتاب وعرض على بوارو الغلاف الداخلي له، وكان
مكتوباً عليه بقلم رصاص: إيفلين هوب. قال العريف: ألا ترى هذا
مثيراً؟ إن هذا الاسم، إن كنت لا تذكر...

- هو الاسم الذي انتحلته إيفا كين عندما غادرت إنكلترا.
نعم، أذكر ذلك.

- يبدو وكأن الصورة التي ميزتها السيدة ماغتي هي صورة
صاحبتنا السيدة أبورد. هذا يعقد الأمور، أليس كذلك؟

قال بوارو صادقاً: إنه يُعقدُها بالفعل. أؤكد لك أن عودتك
إلى المفتش سبنس بهذه المعلومة ستجعله يشد شعره ويقتلعه من
جذوره... نعم من جذوره بالتأكيد!

- أمل أن لا يكون الأمر بهذا السوء.

لم يجه بوارو، بل أكمل طريقه إلى أسفل التلة. كان قد توقف
عن التفكير، فلم يعد لأي شيء حوله معنى.

دخل مكتب البريد، وكانت مود ويليامز تنظر إلى نماذج
الحياكة. لم يتكلم بوارو معها، بل ذهب إلى متسدة الطوابيع. وعندما
أكملت مود مشترياتها جاءت السيدة سويتيمان إليه فاشترى بعض

رن جرس الهاتف مرة أخرى. ورفع بوارو السماعه أيضاً:
ألو؟

- هل أستطيع التكلّم مع السيد بوارو من فضلك؟

- هيركيول بوارو يتكلم.

- لقد فتنتُ ذلك. مود ويليامز تتكلم. احضر إلى مكتب البريد
بعد ربع ساعة.

- سأكون هناك.

وضع السماعه في مكانها ونظر إلى قدميه. هل يغير حذاءه؟
إن قدميه تؤلمانه قليلاً... ولكن لا يهم. أخذ قبعة بحزم وغادر
المنزل.

في طريقه إلى أسفل التلة حتاه أحد رجال المفتش سبنس أثناء
خروجه من منزل السيدة أبورد: صباح الخير يا سيد بوارو.

رد بوارو بأدب، ولاحظ أن العريف فليشر يبدو متفعلاً، وقد
شرح قائلاً: لقد أرسلني المفتش إلى هنا لأجري تفتيشاً دقيقاً شاملاً،
لعلي أجد أي شيء قد نكون أغفلناه. فلا يدري المرء، أليس كذلك؟
لقد سبق وفحصنا المكتب بالطبع ولكن المفتش خطرت بباله فكرة
عن احتمال وجود دُوج سري. لا بد أنه كان يقرأ روايات التجسس
فتأثر بها! لم أجد أي درج سري، ولكنني فتشت الكتب بعد ذلك.
أحياناً يضع الناس رسالة في كتاب يقرؤونه كما تعرف.

رد بوارو بأنه يعرف ذلك، وسأل بأدب: وهل وجدت شيئاً؟

بسرعة وهرب. وكان السلمُ سلمُ البستاني، إذ كان يشذب اللبلاب
وزهب لتناول طعامه.

- من كان ذلك الرجل؟ هل تستطيعين وصفه؟

- لم أره إلا لللمحة عابرة، وما أن وصلتُ إلى النافذة حتى كان
في أسفل السلم وهرب، وعندما رأيته في البداية كان في مواجهة
الشمس ولذلك لم أستطع رؤية وجهه.

- أأنت متأكدة أنه رجل؟

فكرت مود وقالت: كان يلبس ملابس رجل وعلى رأسه قبعة
قديمة من اللباد، ربما كان امرأة، بالطبع...

- أمر مشير. مشير للغاية... أ يوجد أي شيء آخر؟

- ليس بعد. يا للخردة التي تحتفظ بها تلك العجوز! لا بد
أنها خريفة! لقد دخلت البيت دون أن أسمعها هذا الصباح وعقمتني
لتظفلي. سأقتلها في المرة القادمة. إذا كان أحدٌ يطلب لنفسه القتل
فهي تلك المرأة، امرأة سيئة حقاً.

تمتم بوراو بهدوء: إيفلين هوب،

التفتت إليه بسرعة قائلة: ما هذا؟

- أنت تعرفين الاسم إذن؟

- نعم، بالطبع. إنه الاسم الذي انتحلته إيفا فلان عندما
غادرت إلى أستراليا. لقد... لقد ورد ذلك في الصحيفة... في

الطوايع. وخرجت مود من الدكان.

بدأ على السيدة سويتيمان الانشغال وعدم الرغبة في الثروة،
ولذلك تمكن بوراو من اللحاق بمود بسرعة. انضم إليها بعد مسافة
قصيرة على الطريق وسار بجانبها.

قالت السيدة سويتيمان وهي تنظر من نافذة مكتب البريد
متعجبة وقد ساءها المنظر: يا لهؤلاء الأجنبي! كلهم سواء، كل
الرجال! إنه يكاد يكون بعمر جدّها!

* * *

- حسناً، هل لديك ما تريد من قوله لي؟

- لا أدري إن كان ذلك مهماً. لقد كان أحدهم يحاول الدخول
من نافذة غرفة السيدة ويدري.

- متى؟

- هذا الصباح. كانت هي قد خرجت، وخرجت الفتاة كذلك
بالكلب. وكان العجوز السخيف قد أغلق عليه مكتبه كالعادة. وكنت
أنا في المطبخ طبعاً، ولكن بدت لي الفرصة ممتازة لكي... هل
تفهميني؟

أوما بوراو برأسه بالإيجاب، فمضت قائلة: ولذلك تسألتي
إلى الطابق العلوي ثم إلى غرفة نوم السيدة، وكان هناك سلمٌ يستند
إلى النافذة ورجل يعبث بمزلاجها. كانت قد أفلتت كل شيء منذ
جريمة القتل، ولا أثر للهواء المنعش، وعندما رأي الرجل نزل

المسرح. سيسيل؟ مايكل؟ كان شبة متأكد أنها ذكرت شخصاً بهذا الاسم... إيغا كين، مربية أطفال لعائلة كريغ...

إيفلين هوب...

بالطبع! إيفلين هوب!

الصندي كوميت.

- لقد قانت الصندي كوميت أشياء عديدة ولكنها لم تقل ذلك، وقد وجد الشرطة الاسم مكتوباً على كتاب في منزل السيدة أبورد.

هفت مود: إذن فقد كانت هي بالفعل، ولم تمت هناك... كان مايكل على حق.

- مايكل؟!

قالت مود بسرعة: "لا أستطيع الانتظار، فسأناخر عن تقديم الغداء. إنه في الفرن، ولكنه سيحترق". ثم انطلقت تركض، ووقف بوراو ينظر في إثرها.

على نافذة مكتب البريد تساءلت السيدة سويتيمان - وقد التصق أنفها بزرجاج النافذة- إن كان ذلك الأجنبي العجوز يُقدم اقتراحات ذات طبيعة معينة...

عند عودته إلى لونغ ميدوز خلع بوراو حذاءه وليس نعلًا منزلياً خفيفاً. لم يكن يرى ذلك النعال أنيقاً، ولكنه سيريح قدميه بالتأكد. جلس على الكرسي المريح وبدأ مرة أخرى في التفكير؛ فقد تجمع لديه الآن الكثير مما يجب التفكير فيه.

أحس بأشياء افتقدها... أشياء صغيرة. كان النمط كله هناك، لا يُعوّزه إلا الترابط والانسجام: مورين والكأس في يدها، تتكلم بصوت حالم... تطرح سؤالاً... حديث السيدة أوليفر عن أمسيته في

وبسألوني كل أنواع الأسئلة... ويحفرون لاستخراج الأشياء،
لا أحب ذلك. إنه يدفعني للجنون!

نظر يوارو إليها. كان بعض ما قالته صحيحاً. لقد بدت أكبر
بسنوات كثيرة من حالها عندما رآها قبل أسابيع قليلة؛ الدوائر تحت
عينها تبنى بليل من الأرق، وقد ظهرت خطوط من فمها إلى ذقنها،
ويدها ترتجف كثيراً.

قالت: يجب أن توقف هذا.

- سيدتي، ما الذي يمكنني عمله؟

- أبعدهم بطريقة أو بأخرى. تباً لوقاحتهم! لو كان غاي رجلاً
حقاً لأوقف كل هذا ولما تركهم يلاحقوني.

- ألا يقوم بأي إجراء؟

قالت بتكد: لم أخبره بشيء. إنه يتكلم كلاماً طناناً عن إعطاء
الشرطة كل مساعدة ممكنة. وهذا لا يضيره هو؛ فقد كان في اجتماع
سياسي مقيت في تلك الليلة.

- وأنت؟

- كنت جالسة في البيت، أستمع إلى المذيع في الحقيقة.

- ولكن إذا كان بوسعك إثبات ذلك...

- كيف أثبتته؟ لقد عرضتُ على السيدة كروفيت مبلغاً هائلاً
ليقولوا إنهم جازوا إلى البيت وخرجوا منه مراراً وإنهم شاهدوني
هناك... ولكن الخنزيرة رفضت.

الفصل الثالث والعشرون

جاءت إيف كاربتتر إلى منزل سمرهيز بالطريقة المعتادة التي
يأتي بها معظم الناس مستخدمة أقرب باب أو باب زجاجي. كانت
تبحث عن هيركيول بوارو، وعندما وجدته قالت مباشرة ودون
مقدمات: اسمعني، أنت رجلٌ تحرُّ، ويفترض أنك جيد. حسناً،
سأستأجرك.

- وماذا لو أنني لا أستأجر؟ يا إلهي، أنا لست سيارة أجرة!

- أنت رجلٌ تحرُّ خاص، ورجال التحري الخاصون يتقاضون
أجرة، أليس كذلك؟

- هذه هي العادة.

- حسناً، هذا ما أقوله. سأدفع لك، سأدفع لك جيداً.

- لقاء ماذا؟ ما الذي تريدني أن أعمله؟

قالت إيف كاربتتر بحدة: لتحميني من الشرطة. إنهم مجانين.
يبدو أنهم يحسبون أنني قتلت السيدة أبورد، وهم يتطفلون،

- وأعطيت أنت المال كي ينسى أنه تلقى تلك الرسالة؟
لماذا؟

- لا تكن ساذجاً. لم أريد التورط بهذا الأمر كله.

- ثم عرضت عليهما المال ليفرا لك دليل غياب عن مسرح الجريمة؟ ماذا تحسبته يرى الآن هو وزوجته؟

- ومن يهتم برأيهما؟

قال بوارو بتجهم: هيئة المحلفين قد تهتم برأيهما.

حملقت به وقالت: لا أحسبك جاداً؟

- بل أنا جاد.

- يستمعون إلى الخدم... ولا يستمعون إلي؟

نظر بوارو إليها ملياً، يا للوقاحة والغباء المطلقين! تثير عداوة أناس ربما كانوا مفيدين لها. سياسة قصيرة النظر بلهاء... قصيرة النظر، لعينين واسعتين زرقاوين جميلتين.

قال بهدوء: لماذا لا تضعين نظارات يا سيدتي؟ أنت بحاجة لها.

- ماذا؟ آه، أضعها أحياناً. كنت أضعها وأنا طفلة.

- وكان لك طقم أسنان وقتها.

حملقت به وقالت: نعم في الواقع، لماذا كل هذه الأسئلة؟

- البطة القبيحة أصبحت بجمعة جميلة.

- كانت تلك حركة غير حكيمة أبداً من جانبك.

- لا أرى سبباً لرأيك هذا. فقد كان من شأن ذلك إنهاء المسألة.

- لعلك بهذه الخطوة أفتعتِ خذمك بأنك ارتكبت الجريمة.

- حسناً، لقد سبق أن دفعت للسيد كروفث من أجل...

- من أجل ماذا؟

- لا شيء.

- تذكري... أنت تطلبين مساعدتي.

- آه، لم يكن شيئاً ذا قيمة، ولكن كروفث تلقى الرسالة منها.

- من السيدة أبورد؟

- نعم. تطلب مني فيها أن أذهب وأزورها تلك الليلة.

- وتقولين إنك لم تذهبي؟

- ولماذا أذهب؟ امرأة عجوز مملة. لماذا أذهب وأمسك بيدها؟ لم أحلم أبداً بالذهاب ولو للحظة.

- متى جاءت تلك الرسالة؟

- عندما كنت خارجة. لا أعرف بالضبط متى. أظنها جاءت

بين الخامسة والسادسة، واستلمها كروفث.

خرجت إيف كارينتر بالطريقة التي دخلت بها، وهي تتخبط قليلاً، كما تذكّر بوارو أنها فعلت مسبقاً.

قال بوارو بهدوء لنفسه: إيفلين هوب...

إذن فقد اتصلت السيدة أبورد بكل من ديردرا هندرسن وإيفلين كارينتر، وربما اتصلت بشخص آخر. ربما...

دخلت مورين بخيطة وقالت: "إنه مقضي الآن. آسفة لتأخر الغداء. لدي ثلاثة مقصات ولا أجد واحداً منها". ثم اندفعت إلى المكتب، وتكررت العملية التي عرفها بوارو جيداً، ولكنها عثرت على ضالتها بسرعة أكثر في هذه المرة. وبصرخة فرح عالية غادرت مورين الغرفة.

خطا بوارو بشكل آلي إلى المكتب وبدأ يعيد الأشياء إلى الدرج: الشمع، ورق الملاحظات، السلة، الصور...

الصور...

وقف محملاً في الصورة التي في يده. ثم سمع وقع خطوات تعود أدراجها في الممر. وقد كان بوسع بوارو أن يتحرك بسرعة رغم كبر سنه؛ فقد رمى الصورة على الأريكة ووضع وسادة عليها وجلس على الوسادة قبل أن تعود مورين إلى الغرفة.

- أين وضعت مصفاة السبانخ؟

- إنها هناك يا سيدتي.

أشار إلى المصفاة الموجودة بجانبه على الأريكة، وقالت وهي

- لقد كنت فيحة حقاً بالتأكيد.

- هل كانت أمك تظن ذلك؟

قالت بحدة: لا أذكر أمي. وما هذا الذي تتكلم عنه بريك؟ هل ستقبل المهمة؟

- يوسفني أنني لا أستطيع.

- لماذا لا تستطيع؟

- لأنني أعمل -في هذه القضية- لحساب جيمس بنتلي.

- جيمس بنتلي؟ آه، تعني ذلك المخبول الذي قتل الخادمة. ما علاقته هو بالسيدة أبورد؟

- ربما... لا شيء.

- فما المشكلة إذن! أهي مسألة مال؟ كم تريد؟

- هذه غلطتك الكبيرة يا سيدتي. أنت دائماً تفكرين بمعيار المال. إن لديك مالاً وتحسين أن المال وحده هو الذي يهم.

قالت إيف كارينتر: لم يكن لدي المال دائماً.

قال بوارو: "نعم، لقد خفنت ذلك". ثم أومأ برأسه بلطف وقال: وهذا يُفسر الكثير، ويبرر بعض الأشياء!

* * *

السيدة ريندل. كانت في غرفة الجلوس تستمع إلى المذياع، وقد نهضت جفيلةً عندما أعلن عن قدومه.

تكون لديه نفس الانطباع الذي كونه عنها عندما رآها أول مرة: حذرة، محترسة، خائفة منه، أو خائفة مما يمثله. وبدت أكثر شحوباً وانزواءً مما كانت عليه، وكاد يكون والثقا من أنها أتحدل من السابق.

قال لها: أريد أن أسألك سؤالاً يا سيدتي.

- سؤال؟ آه! نعم.

- هل اتصلت بك السيدة أبورد يوم وفاتها؟

نظرت إليه باستغراب وأومأت بالإيجاب، فقال: في أي وقت؟

- لقد تلقت السيدة سكوت الرسالة، وأحسب أن ذلك كان في نحو السادسة.

- ماذا كانت الرسالة؟ تطلب منك الذهاب لزيارتها ذلك المساء؟

- نعم. قالت إن السيدة أوليفر وروبين ذاهبان إلى كيلشتر، وإنها ستكون وحدها طول المساء إذ أن جانيت في إجازة تلك الليلة. وتساءل إذا كان ممكناً أن أبقى برفقتها ذلك المساء.

- هل تم ذكر أي وقت؟

- الساعة التاسعة أو بعد ذلك.

تحفظها بسرعة: إذن فقد تركتها هنا: كل شيء تأخر اليوم.

ثم أصبحت هيركيون بورو جانساً باستقامة شديدة على الأريكة فقالت: لماذا تجلس هنا بهذا الشكل بالله عليك؟ وأيضاً على وسادة. إنها أقل الأرائك راحة في الغرفة. فكل لوالها مكسورة.

- أعرف يا سيدتي. ولكنني... ولكنني أستمتع بتأمل تلك الصورة على الحائط.

نظرت إلى اللوحة الزيتية التي تصوّر ضابطاً بحرياً يحمل تنسكوباً وقالت: نعم، إنها جيدة، ولعلها الشيء الوحيد الجيد في البيت. جوني يرفض بيعها، فهي تخص واحداً من أجداده القدامى غرق مع سفينته أو قام بعمل شهيم للغاية. إن جوني فخور جداً بها.

قال بورو بلطف: نعم، إن لزوجك ما يفخر به!

كانت الساعة تشير إلى الثالثة عندما وصل بورو إلى منزل الدكتور ريندل.

كان قد تناول على الغداء حساء بلحم الأرنب وسبانخ وبطاطا مع فطيرة خاصة غريبة ليست محترقة هذه المرة، وبدلاً من ذلك فقد 'تخللها انماء' (كما أوضحت مورين)، وشرب نصف كوب من النقهوة الموحلة. لم يكن يشعر بحالة جيدة!

فتحت الباب مديرة المنزل الكهله، السيدة سكوت. وسأل عن

- وهل ذهبت؟

- لقد أردت الذهاب، أردت الذهاب حقاً. ولكن لا أعرف ماذا حدث، فقد غلبني النوم بعد العشاء تلك الليلة، وكانت الساعة بعد العاشرة عندما استيقظت، فرأيت أنني تأخرت كثيراً.

- ألم تخبري الشرطة عن مكالمة السيدة أبورد؟

اتسعت عيناها. كانت بهما نظرة طفولية بريئة وقالت: "وهل كان علي أن أفعل ذلك؟ ظننت أن الأمر لا يهم طالما أنني لم أذهب. ربما أحسست أيضاً بالذنب، فلعلها كانت حية الآن لو أنني ذهبت إليها". ثم حبست أنفاسها فجأة وقالت: آه، ليت الأمر لم يجرّ على ذلك النحو.

- لم يكن على ذلك النحو تماماً.

توقف قليلاً، ثم قال: ما الذي تخافين منه يا سيدتي؟
حبست أنفاسها بحدة وقالت: أخاف؟ أنا لست خائفة.

- ولكنك خائفة.

- يا لهذا الهراء! ما الذي... ما الذي يمكن أن أخاف منه؟

سكت بوارو لحظة قبل أن يتكلم: ظننت أنك ربما كنت خائفة

مني...

لم توجه. ولكن عيناها اتسعتا، وبيطه وتحذّ هزت رأسها بالنفي.

* * *

الفصل الرابع والعشرون

قال سينس: هذا هو الطريق إلى مستشفى المجانين!

أجابه بوارو مُهدّأً: ليس الأمر بهذا السوء.

- هذا ما تقوله أنت. كل معلومة جديدة نحصل عليها تجعل المسألة أكثر تعقيداً. وما أنت ذا تقول لي إن السيدة أبورد اتصلت بثلاث نساء، وطلبتّ منهنّ القدوم ذلك المساء. لماذا ثلاث؟ ألم تكن هي نفسها تعرف من هي ليلى غامبول؟ أم أن المسألة ليست مسألة ليلى غامبول على الإطلاق؟ خذ مثلاً ذلك الكتاب الذي يحمل اسم إيفلين هوب، إنه يشير إلى أن السيدة أبورد وإيفا كين هما شخصية واحدة.

- وهو ما يتفق تماماً مع الانطباع الذي كونه جيمس بتلي عما قالته له السيدة ماغتي.

- حسبّ أنه لم يكن متأكداً.

- لم يكن متأكداً. من المستحيل أن يكون جيمس بتلي متأكداً من أي شيء، وهو لم يستمع جيداً لما كانت تقوله السيدة ماغتي. ومع ذلك، فإذا كوّن جيمس بتلي انطباعاً بأن السيدة ماغتي

- ما أهميته فعلاً؟ إيفا كين... أو إيفلين هوب... ربما كانت قد ماتت في أستراليا. ولكن لعلها رتبت قصة موت ملائمة وأحيت نفسها باسم هارغريفز وأصبحت زوجة رجل غني.

- لقد حدث هذا كله قبل فترة طويلة. ولكن بافتراض صحة ذلك، وافتراض أنها احتفظت بصورة لنفسها وأن السيدة ماغتي رأت تلك الصورة... فلا يسع المرء إلا أن يفترض أنها هي التي قتلت السيدة ماغتي.

- هذا ممكن، أليس كذلك؟ لقد كان روين أبورد في الإذاعة تلك الليلة، ولعلك تذكر أن السيدة ريندل قد أشارت إلى ذهابها إلى البيت في ذلك المساء وإلى أن أحداً لم يسمعها. وحسب إفادة السيدة سويتيمان، فإن جانيت غروم قد أخبرتها أن السيدة أبورد ليست مُقعدة إلى الحد الذي تُظهره.

- كل هذا جيد يا بوارو، ولكن الحقيقة تبقى أنها هي نفسها قد قُتلت... بعد أن تعرفت على إحدى الصور، وتريد الآن أن تقول إن الجريمتين ليستا متصلتين.

- لا، لا، لا أقول ذلك؛ إنهما متصلتان تماماً.

- أنا أستسلم.

- إيفلين هوب. هذا هو مفتاح المشكلة.

- إيفلين كارينتر؟ هل هذه فكرتك؟ ليست ليبي غامبول ولكن ابنة إيفا كين! ولكنها ما كانت لتقتل أمها بالتأكيد.

كانت تعني السيدة أبورد، فهذا قد يكون صحيحاً. فغالباً ما تكون الانطباعات صحيحة.

- إن آخر معلوماتنا القادمة من أستراليا (وبالمناسبة فإن إيفا كين ذهبت إلى أستراليا وليس إلى أميركا) تشير إلى أن «السيدة هوب» المعنية توفيت هناك قبل عشرين سنة.

- لقد أُخبرْتُ بذلك من قبل.

- أنت تعرف دوماً كل شيء، أليس كذلك يا بوارو؟

لم يَأبه بوارو بهذه العبارة الساخرة، وقال: لدينا -من ناحية- السيدة هوب التي توفيت في أستراليا، ومن الناحية الأخرى؟

- من الناحية الأخرى لدينا السيدة أبورد، أرملة لرجل صناعة ثري من الشمال، عاشت معه قرب ليدز، ولها ابن. ولم يمض وقت طويل على ولادة الابن حتى توفي الزوج. وكان للولد ميل للإصابة بالسل، ومنذ وفاة زوجها عاشت معظم حياتها في الخارج.

- ومتى بدأت هذه الملحمة؟

- بدأت الملحمة بعد أن غادرت إيفا كين إنكلترا بأربع سنوات. لقد قابل أبورد زوجته في مكان ما بالخارج وأتى بها إلى الوطن بعد الزواج.

- إذن يمكن -عملياً- أن تكون السيدة أبورد هي إيفا كين. ماذا كان اسمها قبل الزواج؟

- فهستُ أنه كان هارغريفز. ولكن ما أهمية الاسم؟

- صحيح تماماً.

- وكانت في تلك الأثناء تنتظر مولوداً؟

- صحيح.

- يا إلهي، كم كنت غيباً! إن الموضوع كله في غاية البساطة،

أليس كذلك؟

كادت أن تقع جريمة قتل ثالثة بعد هذه الملاحظة؛ وهي قتل هيركيول بوارو من قبل المفتش سبنس في مركز شرطة كيلشستر!

* * *

قال هيركيول بوارو: أريد مكالمة شخصية مع السيدة أريادني أوليفر.

لم يتم الحصول على مكالمة شخصية مع السيدة أوليفر إلا بصعوبة؛ فالسيدة أوليفر كانت تعمل ولا يمكن إزعاجها، ولكن بوارو لم يأبه لجميع الإنكارات بوجودها حتى سمع الكاتبة على الطرف الآخر من الهاتف.

كان صوتها غاضباً ولاهتاً: حسناً ما الأمر؟ ألم يكن بَدْ من مخابرتي في هذه الساعة؟ لقد خطرت لي فكرة رائعة عن جريمة قتل في متجر بيع أقمشة. ذلك الطراز القديم من المتاجر التي تبيع القمصان النحنية والفتدارات المضحكة بأكمام طويلة، كما تعرف.

- لا أعرف. وعلى أية حال فما أريد قوله لك الآن أهم بكثير من ذلك.

- لا، لا، هذه ليست جريمة قتل أم.

- يا لك من شيطان مُزعج يا بوارو! لن تلبث أن تقول إن إيفا كين وليلي غامبول وجانيس كورتلاند وفيرا بليك يعشَن جميعاً في بروديني. كل المتهمات الأربع؟

- لدينا أكثر من أربع هنا. تذكر أن إيفا كين كانت مربية أطفال في بيت كريغ.

- وما شأن هذا بالأمر؟

- حيث تكون مربية أطفال لا بَدْ من وجود أطفال (أو طفل واحد على الأقل). ما الذي حدث لأطفال عائلة كريغ؟

- أظن أنه كان يوجد طفل وطفلة، وقد أخذهما قريب ما.

- إذن فيوجد شخصان آخران يجب أن يؤخذ بالحسبان. شخصان قد يحتفظان بالصورة للسبب الثالث الذي ذكرته سابقاً؛ أي الثأر.

- لا أصدق ذلك.

تهدد بوارو وقال: ولكن يجب أخذ ذلك بعين الاعتبار. أظن أنني أعرف الحقيقة... رغم وجود حقيقة واحدة تحيرني تماماً.

- يسعدني أن يوجد شيء يحيرك.

- أريد أن أتأكد من شيء واحد يا صديقي سبنس. لقد غادرت إيفا كين البلاد قبل إعدام كريغ، هل هذا صحيح؟

- ولماذا بالله عليك...

تجنب بوارو - ببراءة - غضب المفتش سينس المتزايد وقال:
هل تعرف - يا صديقي العزيز - ما الذي يسمونه بالفرنسية سر
المهرج؟

سأل المفتش غاضباً: أهذا درس فرنسي؟

- إن سر المهرج هو سر بإمكان كل شخص أن يعرفه. لهذا
السبب فإن الذين لا يعرفونه لا يسمعون عنه أبداً... لأن الناس إذا
ظنوا أنك تعرف أمراً فلن يخبرك به أحد.

- لا أدري كيف أبقي يديّ مكبلتين عن ضربك!

* * *

- لا يمكن أن يكون أهم. ليس بالنسبة لي؛ فما لم أكتب مسودة
أفكاري على الورق فستعطي الفكرة!

لم يُعِرْ هيركيول بوارو اهتماماً لهذه المعاناة الإبداعية، بل
طرح أسئلة واضحة مُليخة أجابت عليها السيدة أوليفر بشيء من
الغموض: نعم... نعم... إنه مسرح صغير جوال... لا أعرف اسمه...
حسناً، أحدهم كان اسمه سيسيل، والآخر الذي كنت أتكلم معه
كان مايكيل.

- ممتاز، هذا كل ما أحتاج لمعرفة.

- ولكن لماذا سيسيل ومايكيل؟

- عودي الآن إلى القمصان التحتية والصدارات ذات الأكمام
الطويلة يا سيدتي.

- لا أدري لماذا لا تعتقلون الدكتور ريندل. لو كنت رئيسة
سكوتلانديارد لقمعت بذلك.

- هذا ممكن جداً. أتمنى لك حظاً طيباً مع جريمة القتل في
متجر بائع الأقمشة.

- لقد ذهبت الفكرة الآن، لقد أفسدتها علي.

اعتذر بوارو بأدب، ثم وضع سماعة الهاتف وابتسم في وجه
سينس وقال: سنذهب الآن (أو سأذهب أنا على الأقل) لاستجواب
مثل شاب اسمه الأول مايكيل يمثل أدواراً ثانوية في مسرح كولينكيه
الجوال. أتمنى فقط أن يكون هو مايكيل المطلوب.

وبعد أن لاحظ تعبيرات وجوههم مضى في الحديث: كلا، لست مجنوناً. إن إعادتي لأغنية طفولية في لعبة أطفال لا تعني أنني أمرّ في مرحلة طفولة ثانية. لعل بعضكم لعب هذه اللعبة في طفولته. السيدة أبورد لعبتها، والحقيقة أنها أعادتها على مسمعي... مع فارق واحد، فقد قالت: "السيدة ماغنتي ميتة. كيف ماتت؟ بدسّ أنفها كما أفعل أنا". هذا ما قالته، وهذا ما فعلته. لقد دست أنفها؛ ولهذا فقد ماتت هي أيضاً كما حدث للسيدة ماغنتي! ولتحقيق هدفنا علينا أن نعود إلى البداية، إلى السيدة ماغنتي، وهي تجثو على ركبتيها تنظف بيوت الآخرين. لقد قُلت السيدة ماغنتي وتم اعتقال رجل هو جيمس بتلي، وقد حوكم وأدين. ولكن لأسباب معينة، فإن ضابط الشرطة المسؤول عن القضية (المفتش سنس) لم يقتنع أن بتلي مذنب، رغم قوة الأدلة ضده. وقد وافقته الرأي، وجئت إلى هنا للإجابة على سؤال يقول: كيف ماتت السيدة ماغنتي؟ لماذا ماتت؟

لن أعيد عليكم قصصاً طويلة معقدة، ولكنني سأكتفي بالقول إن شيئاً بسيطاً مثل زجاجة حبر زودني بمفتاح لحل المشكلة. لقد نُشرت أربع صور في صحيفة الصندي كوميت التي قرأتها السيدة ماغنتي يوم الأحد السابق لموتها، وأنتم -جميعاً- تعرفون الآن كل شيء عن تلك الصور، ولذلك سأكتفي بالقول إن السيدة ماغنتي تعرفت على إحدى تلك الصور باعتبارها صورة رأتها في أحد البيوت التي اشتغلت بها.

تكلمت عن ذلك لجيمس بتلي، رغم أنه لم يهتم كثيراً بالموضوع حينها، ولا بعد ذلك. بل إنه لم يكذب يُصغي إليها، ولكنه كوّن انطباعاً بأن السيدة ماغنتي رأت الصورة في منزل السيدة أبورد،

الفصل الخامس والعشرون

انتهت جلسة التحقيق، وتم إصدار حكم بصف الجريمة بأنها جريمة قتل من قبل شخص أو أشخاص مجهولين.

بعد التحقيق، وبدعوة من هيركيول بوارو، قدم الذين حضروا الجلسة إلى لونغ ميدوز. وكان بوارو قد أعدّ -بعمل دؤوب- وضعاً مشابهاً لقاعة المحكمة في غرفة الجلوس. وُضعت الكراسي في شكل نصف دائري مُرتب، وتم استبعاد كلاب مورين بصعوبة بالغة، وأخذ هيركيول بوارو موقعه في نهاية الغرفة وقد نصب من نفسه محاضراً، وابتدأ إجراءاته بنحوة خفيفة مقصودة، قال بعدها: سيداتي، سادتي...

ثم توقف عن الكلام، وكانت كلماته التالية غير متوقعة، بل كادت تبدو تهريجية:

السيدة ماغنتي ميتة، كيف ماتت؟
جائية على ركبتيها كما أجثو أنا.

السيدة ماغنتي ميتة، كيف ماتت؟
مادة يدها كما أمد يدي أنا.

السيدة ماغنتي ميتة، كيف ماتت؟ هكذا...

كل المكالمات عبارة عن رسائل من السيدة أبورد تطلب من الشخص المعني الحضور لزيارتها في ذلك المساء. وكانت ليلة إجازة خادمتها، فيما كان ابنها والسيدة أوليفر ذاهبين إلى كولينكيه. ولذلك يبدو أنها أرادت إجراء حديث خاص مع كل من النساء الثلاث.

والآن لماذا ثلاث نساء؟ هل عرفت السيدة أبورد أين رأته صورة إيفا كين؟ أم أنها عرفت أنها رأتها ولكنها لم تذكر أين؟ هل يوجد أي قاسم مشترك بين هؤلاء النساء الثلاث؟ لا يبدو شيء من هذا سوى العمر. فهن -جميعاً- في نحو الثلاثين من العمر. ولعلكم قرأتم المقالة في الصندي كوميت حيث قُدم وصف عاطفي تماماً لابنة إيفا كين في السنوات القادمة. وكل النساء اللاتي تلقين الرسائل من السيدة أبورد لثضورهن في السن المناسب ليكنَ ابنة إيفا كين. إذن يبدو أن شابة تعيش في بروديني هي ابنة القاتل الشهير كريغ وخليفته إيفا كين، ويبدو أيضاً أن من شأن تلك المرأة أن تذهب إلى أقصى الحدود لتسعى هذه الحقيقة من الظهور. من شأنها حقاً أن تذهب في ذلك إلى حد ارتكاب جريمة القتل مرتين، فعندما وُجدت السيدة أبورد ميتة كان على الطاوله فنجانان من القهوة، وقد شُربا كلاهما، وعلى فنجان الزائرة آثار خفيفة من أحمر الشفاة.

دعونا نرجع الآن إلى النساء الثلاث اللاتي تلقين الرسائل الهاتفية. تلقت السيدة كاربتر الرسالة ولكنها تقول إنها لم تذهب إلى ليبرنامز تلك الليلة. أما السيدة ريندل فقد نوت الذهاب ولكن عليها النوم فنامت في كرسيها. وذهبت الأنسة هندرسن إلى ليبرنامز ولكن المنزل كان مظلماً ولم تستطع أن تجعل أحداً يسمعونها هناك ولذلك قفلت راجعة. هذه هي القصة التي روتها كل واحدة من هؤلاء

وأنها كانت تتكلم عن السيدة أبورد عندما أشارت إلى امرأة يُفترض أن لا تكون فخورة لو عُرف كل شيء عنها. لا نستطيع أن نعتمد على جملة السيد بنتلي، ولكنها -بالتأكيد- استخدمت هذه العبارة عن القبح والاعتداد، وما من شك في أن السيدة أبورد كانت فخورة ومتعظرة بالفعل.

وكما تعرفون جميعاً (إذ كان بعضكم موجوداً وسمع الآخرون بذلك) فإنني عرضت تلك الصور الأربع في منزل السيدة أبورد. وقد لمحت الدهشة والمعرفة في تقاسيم وجه السيدة أبورد وواجهتها بذلك، مما اضطرها إلى الاعتراف، فقالت إنها "رأت إحدى تلك الصور في مكان ولكنها لا تتذكر أين". وعند سؤالها عن الصورة التي ميزتها أشارت إلى صورة الطفلة ليلي غامبول. ولكن سأقول لكم إن ذلك لم يكن الحقيقة. لقد أرادت السيدة أبورد (لأسباب خاصة بها) أن تحتفظ بمعرفتها نفسها، لذلك أشارت إلى الصورة الخطأ كي تضللي. ولكن شخصاً آخر لم يُخدع بذلك... القاتل. لقد عرف شخصٌ واحد أية صورة تلك التي تعرفت عليها السيدة أبورد. ولا أريد هنا أن أنف وأدور حول الموضوع، فقد كانت الصورة المقصودة صورة إيفا كين... امرأة كانت إما شريكة أو ضحية أو -ربما- ملهمة في قضية كريغ الشهيرة. وفي المساء التالي قُتل السيدة أبورد. لقد قُتل نفس السبب الذي قُتل من أجله السيدة ماغنتي. لقد دست السيدة ماغنتي يدها، بينما دست السيدة أبورد أنفها، وكانت النتيجة واحدة.

والآن، قبل أن تموت السيدة أبورد تلقت ثلاث نساء مكالمات هاتفية. السيدة كاربتر، والسيدة ريندل، والأنسة هندرسن، وكانت

إزالة أحمر الشفاه عن الفئجان. أوكد لكم أن كل أثر يُمكن أن يُزال بسهولة، أو يمكن رفع الفئجانين نفسها وغسلها. ولم لا؟ إذ لم يكن أحد في البيت. ولكن هذا لم يحدث. لقد سألت نفسي عن السبب، وبدا أن الجواب هو التأكيد المتعمد للجانب الأنثوي، تأكيد حقيقة أن الجريمة جريمة امرأة. ثم تأملتُ في المكالمات الهاتفية لأولئك النساء الثلاث. كلها كانت رسائل تُرُكَّت لهن... لم يحدث في أي منها أن تكلمت متلقية الرسالة نفسها مع السيدة أبورد. إذن ربما لم تكن السيدة أبورد هي التي اتصلت بهن، بل كان المتصل شخصاً حرص على توريث امرأة، أي امرأة، في الجريمة. ومرة أخرى سألت نفسي: لماذا؟ ولم أجد سوى جواب واحد؛ وهو أن قاتل السيدة أبورد ليس امرأة، بل رجلاً.

نظر حوله إلى مستمعيه. كانوا جميعاً ساكنين تماماً، ولم تصدر استجابة إلا عن اثنين فقط. فقد قالت إيف كاريتتر متنهدة: "الآن بدأت تتكلم بشكل معقول!". أما السيدة أوليفر فقد قالت وهي تومئ برأسها بقوة: بالطبع!

مضى بوراو قائلاً: وهكذا توصلتُ إلى هذه النقطة... أن رجلاً هو الذي قتل السيدة أبورد، وأن رجلاً أيضاً هو قاتل السيدة ماغتي! أي رجل هو؟ لا بد أن سبب الجريمتين هو نفس السبب... الأمر كله يتوقف على إحدى الصور. عند مَنْ كانت تلك الصورة؟ هذا هو السؤال الأول، ولماذا تم الاحتفاظ بها؟

قد لا يكون هذا بالأمر الصعب. لنقل إن الاحتفاظ بها كان لأسباب عاطفية. وما دامت السيدة ماغتي قد... «صُفِّيت»، فلم

النساء الثلاث. ولكن الأدلة متضاربة: فنجان القهوة الثاني وعليه أحمر الشفاه، وشاهدةٌ من الخارج (هي الفتاة إدنا) تؤكد أنها رأت امرأة شقراء الشعر تدخل المنزل. وأيضاً دليل العطر... عطر ثمين وغريب كالذي تضعه السيدة كاريتتر وحدها من بين الثلاث المعنيات.

هنا حدثت مقاطعة؛ فقد صرخت إيف كاريتتر: هذا كذب، كذبٌ وضيقٌ قاسٍ! لم أكن أنا! لم أذهب أبداً إلى هناك! لم أذهب حتى بالقرب من ذلك المكان. ألا تستطيع أن تعمل شيئاً بشأن هذه الأكاذيب يا غاي.

كان وجه غاي كاريتتر شاحباً من الغضب وقال: دعني أذكرك -يا سيد بوراو- بوجود قانون للقذف، وكل هؤلاء الناس شهود عليك.

قال بوراو: هل من القذف أن أقول إن زوجتك تضع عطراً معيناً... وتضع أيضاً -لمعلوماتك- أحمر شفاه معيناً؟

صاحت السيدة كاريتتر: هذا سخف، سخف مطلق! بإمكان أي امرئ أن يرش عطري في أي مكان.

وبشكل غير متوقع تهلل وجه بوراو لها وقال: بالضبط يا سيدتي! قد يقوم بذلك أي شخص، وهو إجراء واضح لا يتطلب حنكة؛ تصرف فيج أخرق، وقد كان -بالنسبة لي- من الخرق بحيث ارتدَّ على صاحبه. لا بل أكثر من ذلك؛ لقد أعطاني هذا أفكاراً كما يُقال. نعم، أعطاني أفكاراً.

عطر. وآثار أحمر شفاه على فنجان القهوة. ولكن من السهل

(وكذلك أطفاله) أن مورين سمرهيز هي ابنة القاتل كريغ وإيفا كين. هذا الرجل يفضل الموت كما قلت، ولكن الموت لن يجدي، أليس كذلك؟ لذلك نُقِل -بدلاً من ذلك- إن لدينا هنا رجلاً مستعداً لأن يقتل.

نهض جوني سمرهيز من مقعده، وعندما تكلم كان صوته هادئاً، بل يكاد يكون ودياً؛ لقد تكلمت بالكثير من الهراء، أليس كذلك؟ نلكت تستمتع بالقاء الكثير من النظريات؟ فهذا كله مجرد نظريات! بتقولك أشياء عن زوجتي...

ثم انفجر غضبه فجأة بشدة وقال: "أيها الخزير القذر..."، واندفع بسرعة فائقة إلى الجانب الآخر من الغرفة بشكل فاجأ الحاضرين. تراجع بوارو برشاقة، وعلى الفور كان المفتش سينس بين بوارو وسمرهيز: لا، لا يا ميجر سمرهيز. على رسلك... على رسلك.

سيطر سمرهيز على نفسه، ثم رفع كتفيه وقال: آسف، هذا سخف حقاً! على كلِّ، بإمكان أي امرئ أن يضع صورة في درج. قال بوارو: تماماً، والشيء الحثير في هذه الصورة هو عدم وجود أية بصمات عليها.

توقف قليلاً، ثم أوماً برأسه بلطف وقال: ولكن كان ينبغي أن توجد عليها بصمات. إن كانت السيدة سمرهيز قد احتفظت بها، لكان احتفاظها بها من باب البراءة وسلامة النية، ولذلك فإن بصماتها يجب أن توجد على الصورة.

تعد حاجة لانلاف الصورة. ولكن الأمر مختلف بعد الجريمة الثانية؛ فالصورة -هذه المرة- مرتبطة بالجريمة بشكل قاطع. إنها الآن أخضر من أن يُحتفظ بها، ولذلك لا بد أن توافقوني على أنها ستلف بالتأكيد.

نظر من حوله إلى الرؤوس التي أومأت موافقة وقال: ولكن رغم ذلك كله فإن الصورة لم تُتلف! نعم، لم تُتلف! أعرف ذلك... لأنني وجدتها. وجدتها قبل بضعة أيام، وجدتها في هذا البيت، في درج المكتب الذي تروته يستند على الحائط. وهي معي هنا.

ثم رفع صورة باهتة لفتاة مبتسمة تحمل وروداً وقال: نعم. إنها إيفا كين وعلى ظهر الصورة كُتبت بقلم الرصاص كلمة واحدة. الأخير كم ما هي؟ «أمي».

استقرت عيناها الجديتان المُتَهمتتان على مورين سمرهيز. رفعت اشعر عن وجهها وحملتت به بعيون واسعة مرتبكة وقالت: أنا لا أفهم، إنني لم...

- نعم يا سيدة سمرهيز، أنت لا تفهمين. لا يمكن أن يكون سوى سببين اثنين للاحتفاظ بهذه الصورة بعد الجريمة الثانية. أولهما هو العاطفة البرية؛ فلم يكن لديك أنت إحساس بالذنب، ولذلك يمكنك الاحتفاظ بالصورة. لقد قُلْتُ لنا بنفسك (في بيت السيدة كارنتر ذات يوم) إنك كنت طفلة مُتَبينة. أشك أنك قد عرفت أبداً اسم والدتك الحقيقية، ولكن شخصاً آخر عرف اسمها. شخصاً لديه كل الاعتدال بالعائلة... اعتداد يجعله يلتصق ببيت أجداده اعتداداً بأسلافه ونسبه، وذلك الرجل يفضل أن يموت على أن يعرف الناس

لقد جاء إيفلين هوب، ابن إيفا كين، إلى إنكلترا. وهو موهوب، وقد جذب انتباه امرأة ثرية جداً لا تعرف شيئاً عن أصله... باستثناء القصة الرومانسية التي اختار أن يرويها لها. (وكانت قصة صغيرة رائعة عن راقصة باليه شابة تموت بداء السل في باريس). وهذه الثرية امرأة تشعر بالوحدة بعد أن فقدت ابنها مؤخراً. ويحمل الكاتب المسرحي الشاب الموهوب اسم المرأة بمعاملة رسمية.

ولكن اسمك الحقيقي هو إيفلين هوب، اليس كذلك يا سيد أبورد؟

صرخ روبن أبورد بحدة: بالطبع ليس كذلك! لا أعرف عن أي شيء تتكلم.

- لا أمل لك في الإنكار. يوجد أناس يعرفونك بذلك الاسم، اسم إيفلين هوب المكتوب على الكتاب بخط يدك... وهو نفس الخط الذي كتبت به كلمة «أمي» على ظهر هذه الصورة. لقد رأيت السيدة ماغتي الصورة والكتابة عليها عندما كانت تضع أشياءك في مكانها، وقد تكلمت معك بعد قراءة الصندي كوميت. افترضت السيدة ماغتي أنها صورة السيدة أبورد عندما كانت صغيرة، وذلك لأنها لم تكن تعرف أن السيدة أبورد ليست أمك الحقيقية. ولكنك عرفت أنها إذا ذكرت الموضوع على مسامح السيدة أبورد فستكون نهاية المطاف بالنسبة لك؛ فللسيدة أبورد آراء متشددة بالنسبة للوراثة والعرق، وما كانت لتطيق -للحظة واحدة- وجود ابن مُتبنى هو ابنٌ لقاتل شهير، ولن تغفر كذلك أكاذيبك حول الموضوع.

ولذلك لم يكن أمامك بُدٌ من إسكات السيدة ماغتي مهما كلف

هتفت مورين: أحسبك مجنوناً. أنا لم أزد هذه الصورة قط في حياتي... إلا في بيت السيدة أبورد ذلك اليوم.

- من حسن حظك أنني أعرف أنك تقولين الحقيقة. لقد وضعت هذه الصورة في درج المكتب قبل أن أجدها بدقائق معدودة فقط. لقد أفرغت محتويات ذلك الدرج مرتين على الأرض في ذلك الصباح، وأعدتُ أنا وضعها في الدرج مرتين. في المرة الأولى لم تكن الصورة في الدرج، وفي المرة الثانية كانت فيه. وقد وضعت هناك في الفترة الفاصلة بين المرتين... وأعرف من وضعها!

سرت في صوته نبرة جديدة. لم يعد مجرد رجل صغير مُضحك ذي شارب غريب، بل غداً صياداً قريباً جداً من فريسته. قال: لقد ارتكبت الجريمةتان من قبل رجل، وقد ارتكبتنا لأكثر الأسباب بساطة... من أجل المال. لقد عُثِر في منزل السيدة أبورد على كتاب، وعلى الغلاف الداخلي للكتاب اسم إيفلين هوب. كان ذلك هو الاسم الذي انتحلته إيفا كين عند مغادرتها إنكلترا، وكان من المرجح أن تُطلق هذا الاسم على طفلتها عند الولادة. ولكن إيفلين هو اسم رجل كما هو اسم امرأة. لماذا افترضنا أن طفل إيفا كين هو بنت؟ لمجرد أن الصندي كوميت قالت ذلك! ولكن حقيقة الأمر أن الصندي كوميت لم تقل ذلك بكلمات كثيرة، لقد افترضت ذلك بسبب مقابلة رومانسية قديمة مع إيفا كين. ولكن إيفا كين غادرت إنكلترا قبل أن يولد طفلها، ولذلك لا أحد يستطيع أن يجرّم بجنس المولود.

في هذه النقطة سمحت لنفسني بأن تُضلل، عن طريق الأخطاء الرومانسية التي ترتكبها الصحافة.

الفصل السادس والعشرون

- لا أدري حقاً كيف خطر ببالك أن تشبه بروين أبورد يا سيد

يوارو؟

نظر يوارو برضا إلى الوجوه التي التفتت إليه.

كان دائماً يستمتع بالشرح. قال: كان يجب أن أشبه به في وقت
أبكر من ذلك. أما المفتاح الذي أرشدني (وكان مفتاحاً بسيطاً جداً)
فهو الجملة التي قالتها السيدة سمرهيز في الحفلة تلك الليلة؛ إذ
قالت لروين: "ألا أحب حقيقة كونني متبناة، هل تحب أنت ذلك؟".
كانت تلك هي الكلمات الواجبة. "هل تحب أنت؟"، وقد عنت لي
أن السيدة أبورد لم تكن الأم الحقيقية لروين، وهو المعنى الوحيد
لتلك العبارة.

لقد كانت السيدة أبورد حريصة للغاية على أن لا يعرف أحد
أن روين ليس ابنها الحقيقي، فربما تناهى إلى سماعها الكثير من
الكلام الفصيح عن شبان لامعين أذكيا يعيشون عائلة على نساء في سن
الكهولة. ولم يعرف تلك الحقيقة إلا نفرٌ قليلٌ جداً من الناس... هم
النخبة المسرحية حيث التفتت ضمنها بروين أساساً، ولأنها عاشت

الأم. ولعلك وعدتها بهدية صغيرة تسناً لتكتمها، ثم مررت عليها في
المساء التالي وأنت في طريقك إلى الإذاعة... وقتنتها! هكذا...

وبحركة مفاجئة أمسك يوارو قِطَاعَةَ السكر من الرف وأدارها
وهوى بها وكأنه يضربها لتخطم رأس روين. كانت الحركة خطيرة
بحيث صرخ العديد من الموجودين. وصرخ روين أبورد صرخة رعب
عالية وناح قائلاً: لا تفعل، لا تفعل... كان حادثاً... أقسم أنه كان
حادثاً. لم أقصد قتلها؛ لقد فقدت عقلي... أقسم أنني فقدت عقلي.

- لقد غسنت الدم عن قِطَاعَةِ السكر وأعدتها إلى هذه الغرفة
حيث وجدتها. ولكن توجد طرق علمية حديثة لتحديد بقع الدم
ولإظهار البصمات المستترة.

- أقول لك إنني لم أقصد أبداً قتلها. كان ذلك كله خطأ،
والخضاً ليس خطئي على كل حال... نست مسؤولاً. إن ذلك في
دمي، لا أمك تغييره. لا يمكن أن تشفقوني على شيء ليس لي يد
فيه...

دمدم سينسر هامساً: "أحقاً؟ ستري إن لم نشفقك!". ثم تكلم
بصوت عال وبسيرة رسمية جدية قائلاً: يجب أن أحذرك يا سيد أبورد
أن كل شيء تقوله...

ولكن ما كان روبن ليخاطر بأية مجازفة. وهكذا سرق مطرقة السكر (التي أشارت إليها السيدة سمرهيز ضاحكة - ذات مرة - باعتبارها سلاحاً مثالياً للقتل)، وفي المساء التالي توقف عند كوخ السيدة ماغتي في طريقه إلى الإذاعة. أخذته إلى الردهة دون أن تشبه أبداً بشيء، فقتلها. وهو يعرف أين تحتفظ بمدخراتها (إذ يبدو أن جميع من في بروديني يعرفون ذلك)، وهكذا لَقِقَ عملية سرقة، وأخفى النقود خارج المنزل. وقد أشبّه بجيمس بنتلي وتم اعتقاله، وغدا كل شيء الآن آمناً بالنسبة لروبن الذكي.

ولكن بعد ذلك أعمدُ أنا -فجأة- إلى عرض أربع صور، وتتعرف السيدة أبورد على صورة إيفا كين على أنها مطابقة لصورة والدة روبن راقصة الباليه! ولكنها بحاجة لبعض الوقت لتفكر جيداً بمخرج، فالأمر ينطوي على جريمة قتل. أيمن أن يكون روبن...؟ كلا، إنها ترفض تصديق ذلك.

لا أعرف ماذا كانت ستفعل في النهاية، ولكن روبن لم يكن مستعداً لأية مجازفة. ولذلك خطط للمشهد كله: الذهاب إلى المسرحية في ليلة إجازة جانبية، والمكالمات الهاتفية، وفنجان القهوة الملطخ -بعناية- بأحمر الشفاه المأخوذ من حقيبة إيفا كاريتير. بل إنه اشترى زجاجة من عطرها المميز. كانت العملية بكاملها مشهداً مسرحياً مخططاً بعناية فائقة. وبينما كانت السيدة أوليفر تنتظره في السيارة ركض عائداً إلى المنزل مرتين. كانت الجريمة مسألة ثوان فقط، وبعد ذلك كان التوزيع السريع للدعائم والأدلة. ويموت السيدة أبورد يكون قد ورت ثروة كبيرة حسب وصيتها، ولن يكون مثارَ أيِّ اشتباهٍ إذ سيبدو مؤكداً أن امرأة هي التي ارتكبت الجريمة. ومع

في الخارج فترة طويلة فليس لها من الأصدقاء الحميمين في هذه البلد إلا القليل، وقد اختارت القدوم والاستقرار هنا بعيداً عن مكانها الأصلي في يوركشاير. وحتى عندما كانت تلقي أصدقاءها القدامى، لم تكن تُصحح لهم عندما يفترضون أن هذا هو روبن نفسه الذي عرفوه وهو ولدٌ صغير.

ولكن منذ البداية الأولى استوفيتني شيء ما، شيء لم أراه طبيعياً تماماً في منزل لبيرتنامز. فموقف روبن من السيدة أبورد لم يكن موقف الطفل المدلل ولا موقف الابن المخلص لأمه. لقد كان وضعه وضع أديب تحت وصاية ورعاية شخصية أكبر منه. وقد كان يخاطب السيدة أبورد مُستخدماً نبرة مسرحية خيالية بعض الشيء، كما أن السيدة أبورد -وغم ولعها الواضح به- كانت تعامله لاشعورياً كما لو كان شيئاً نعتياً اقتنته ودفعت ثمنه.

إذن، كان روبن مستقراً هناك في وضع مريح ومحفوظة السيدة أبورد جاهزة لدعم كل مشاريعه، وفجأة تدخل عالمه المستقر السيدة ماغتي التي تعرفت على الصورة التي يحتفظ بها في درج مكتبه... الصورة التي كتب على ظهرها «أمي». أمه التي أخبر السيدة أبورد بأنها كانت راقصة باليه موهوبة توفيت بداء السل! أما السيدة ماغتي فقد ظنت -طبعاً- أن الصورة هي صورة السيدة أبورد عندما كانت صغيرة، طالما افترضت -آلياً- أن السيدة أبورد هي والدة روبن الحقيقية. لا أظن أن الابتزاز الفعلي قد خطر ببال السيدة ماغتي، ولكن لعلها أملت في الحصول على «هدية صغيرة لطيفة» كمكافأة لامتناعها عن أي ثروة تخص الماضي البعيد لن تكون سارة لامرأة فخوراً مثل السيدة أبورد.

السيدة أبورد، فإن إيفلين هوب إما أن تكون السيدة أبورد... أو روبن أبورد!

لقد ضللتني اسم إيفلين هوب؛ فقد ربطته مع السيدة كارينتر لأن اسمها كان إيف. ولكن إيفلين اسم رجل كما هو اسم امرأة.

ثم تذكرت المحادثة التي أخبرتني عنها السيدة أوليفر في المسرح الجوال في كولنكيه. كان الممثل الشاب الذي يتكلم معها هو الشخص الذي أردت أن أتأكد منه من نظريتي، النظرية التي تقول إن روبن لم يكن ابناً حقيقياً للسيدة أبورد. فقد بدا من طريقة كلام ذلك الممثل أنه يعرف الحقائق الصحيحة، وكانت في قصته دلالة عن انتقام السيدة أبورد السريع من شاب خدعها بنسبه.

لقد كان عليّ - في الحقيقة - أن أرى الأمر كله منذ مدة طويلة، ولكن خطأ جسيماً أقعدني عن ذلك؛ فقد ظننت أنني دفعت عن عمد لأقع تحت عجلات القطار، وأن الشخص الذي قام بذلك كان قاتل السيدة ماغنتي. وكان روبن - عملياً - الشخص الوحيد في بروديني الذي لا يمكن أن يكون في محطة كيلشستر في ذلك الوقت.

أطلق جوني سمرهيز ضحكة مفاجئة وقال: ربما كان من دفعك امرأة عجوزاً تحمل سلة؛ فهن يتدافعن.

قال بواردو: والحقيقة أن روبن أبورد كان أشد غروراً من أن يخشاني. إنها صفة المجرمين، ولعل ذلك كان من حسن الحظ، إذ لم يكن في قضيتنا هذه إلا القليل من الأدلة.

تململت السيدة أوليفر وسألت بارتياح: أتريد القول إن روبن

قدوم ثلاث نساء إلى المنزل في تلك الليلة، لا بد أن يتم الاشتباه بواحدة منهن. وهذا فعلاً ما كان.

ولكن روبن - شأنه شأن كل المجرمين - كان مهملاً زائد الثقة بنفسه، فلم يكتب بوجود كتاب في المنزل يحمل اسمه الحقيقي، بل احتفظ أيضاً - ولأسباب خاصة به - بصورة مُميتة. كان من الأسلم له كثيراً أن يتلف تلك الصورة، ولكنه تمسك باعتقاد مفاده أنه سيستطيع استخدامها لتجريم شخص آخر في اللحظة المناسبة.

ونعله فكر عندها بتجريم السيدة سمرهيز، ولعل هذا هو سبب خروجه من منزل السيدة أبورد للعيش في لونغ ميدوز؛ فقد كانت قطاعة السكر تخصصاً هي في نهاية المطاف، وهو يعرف أن السيدة سمرهيز كانت طفلة متبناة، ومن الصعب عليها أن تثبت أنها ليست ابنة إيفا كين.

ولكن، عندما اعترفت ديردرا هندرسن بحضورها إلى موقع الجريمة في تلك الليلة، وادوته فكرة وضع الصورة بين أغراضها هي. وحاول القيام بذلك باستخدام السلم الذي تركه البستاني ملقى على النافذة، ولكن السيدة وبذري كانت متوترة وأصرّت على إبقاء جميع التوافذ موصدة، ولذلك لم ينجح روبن في غايته. رجع مباشرة إلى هنا ووضع الصورة في درج كنت - لسوء حظه - قد فتشته قبل ذلك بوقت قصير. وبذلك عرفت أن الصورة قد وضعت عمداً، وعرفت من قام بذلك. إنه الشخص الوحيد الموجود في البيت... الذي كان يطمع جاهدأ على آلتة الكاتبة فوق رأسي.

ولأن اسم إيفلين هوب كان مكتوباً على الكتاب في منزل

الفصل السابع والعشرون

قالت مود ويليامز: لن أعود للعمل مع بريذر وسكاتل. إنها شركة سخيقة على أية حال.

- وقد أدت الغرض منها.

- ماذا تعني بذلك يا سيد بوارو؟

- لماذا قدمتِ إلى هذا الجزء من العالم؟

- أحسب أنك تستطيع (وأنت السيد العارف بكل شيء) أن تخمن ذلك؟

- إن لديّ فكرة بسيطة.

- وما هي تلك الفكرة العظيمة؟

كان بوارو ينظر متأملاً في شعر مود، ثم قال: لقد كنتُ كنوماً جداً، وقد افترض أن السيدة التي دخلت إلى بيت السيدة أبورد (أي الشقراء التي رأتها إدنا) هي السيدة كاربتر، وأنها قد أنكرت ذهابها إلى هناك لمجرد الخوف. وما دام روبن هو قاتل السيدة أبورد، فلم يعد لوجودها هناك أهمية أكثر من أهمية وجود الأتسة هندرسن. ولكنني لا أرى -مع ذلك- أنها هي التي كانت هناك. أعتقد -يا آنسة

قتل أمه بينما كنت أجلس في السيارة خارج المنزل، ولم تكن لديّ أي فكرة عن ذلك؟ ما كان الوقت ليُسمح له!

- بل سيسمح؛ فغالباً ما تكون أفكار الناس عن الوقت خاطئة بشكل لا يُصدّق. لاحظي -فقط- السرعة التي يتم بها تغيير خلفية المسرح بين المَشَاهِد. وفي هذه الحالة، كانت المسألة مسألة ديكور متحرك يمكن ترتيبه على عجل.

تمتت السيدة أوليفر بشكل آلي: المسرح الجيد!

- نعم. لقد كانت في جوهرها جريمة مسرحية، وتم إعداد كل شيء بإتقان.

- وأنا التي جلست في السيارة... دون أدنى فكرة.

تمتم بوارو: أخشى أن حدس المرأة لديك كان في إجازة ذلك اليوم!

* * *

ويليامز- أن المرأة التي رأتها إنا هي أنت.

-- ولماذا أنا؟

ضعيفاً ومفتوناً بها، وقد أخذ جزاءه عن أمر رأيت -دوماً- أنها هي التي فعلته. نعم، أعرف أنه كان مشاركاً في الجريمة بعد حدوثها، ولكن هذا ليس تماماً كمن يُقدم على القتل بنفسه، أليس كذلك؟ وحرصت دوماً على أن أعرف ما الذي حدث لها، وعندما كبرت كلفْتُ رجال تحرُّ بالأمر، وقد تعقبوها إلى أستراليا، وأخيراً أبلغوني أنها ماتت وأنها تركت ولداً... يسمي نفسه إيفلين هوب.

وقد بدا أن ذلك يشكّل خاتمة للموضوع. ثم عرفتُ مثلاً شاباً ذكر شخصاً اسمه إيفلين هوب قادماً من أستراليا، ولكنه يدعو نفسه الآن روبن أبورد ويكتب مسرحيات. وقد أثار ذلك اهتمامي. وفي إحدى الليالي أشار صاحبي من بعيد إلى روبن ليُعزفني به... وكان مع أمه. لذلك ظننتُ أن إيفا كين لم تمت، وأنها -بدلاً من ذلك- تتبخر متباهية بثرائها الكبير.

وحصلتُ على وظيفة هنا، وكنتُ أشعر بالفضول... وربما بشيء أبعد قليلاً من الفضول. حسناً، سأعترف بالأمر، رأيتُ أنني أرغب بالانتقام منها بطريقة ما. وعندما أثرتُ أنت موضوع جيمس بنتلي ففزتُ إلى نتيجة مفادها أن السيدة أبورد هي التي قتلت السيدة ماغتي، وأن إيفا كين تُظهر قذاراتها من جديد. وصدف أن سمعت من مايكل وست أن روبن أبورد والسيدة أوليفر كانا قادمين ليشهدا ذلك العرض في مسرح كوليتيكيه الجوال، ولذلك قررت الذهاب إلى بروديني ومواجهة المرأة. لقد قصدتُ... لا أعرف بالضبط ما الذي قصدته. إنني أخبرك بكل شيء. أخذت معي مسدساً صغيراً حصلت عليه أثناء الحرب. أكان ذلك لأخيفها؟ أو ربما لأكثر من ذلك؟ أنا -بصدق- لا أعرف.

كان صوتها جافاً. وأجابها بوارو بسؤال آخر: ما سر اهتمامك ببروديني؟ ولماذا طلبت من روبن -عندما ذهبت إلى هناك- أن يوقع لك على الأوتوغراف؟ أنت لست من ذلك النوع الذي يسعى وراء التواقيع. ما الذي كنت تعرفينه عن عائلة أبورد؟ لماذا قدمت إلي هذا الجزء من العالم في المقام الأول؟ كيف عرفت أن إيفا كين ماتت في أستراليا، وكيف عرفت الاسم الذي انتحلته عندما غادرت إنكلترا؟

- أنت ماهر في التخمين، أليس كذلك؟ حسناً، ليس لدي ما أخفيه حقاً.

فتحت حقيبة يدها وأخرجت من دفتر ملاحظات قديم قصاصة جريدة صغيرة اهتمت من الزمن، وعليها صورة الوجه الذي أصبح بوارو يعرفه الآن جيداً، صورة الوجه المتسم لإيفا كين. وكان مكتوباً عليها: «هذه قتلت أومي».

أعادها بوارو إليها وقال: نعم، لقد ظننتُ ذلك. إن اسمك الحقيقي هو كيرغ، أليس كذلك؟

أومأت مود برأسها بالإيجاب وقالت: لقد تكفل بتربيتي بعض الأقارب، وكانوا طبيين جداً. ولكنني كنت -عند حدوث الأمر- أكبر من أنسائه، واعتدت أن أفكر كثيراً بما حدث، وخاصة بها. لقد كانت امرأة سيئة تماماً... إن الأطفال يعرفون حقيقة الناس! كان والدي

خاتمة

كان هيركيول بوارو والمفتش سبنس يحتفلان في مطعم فيل
غرانددير.

عند تقديم القهوة استند سبنس إلى الخلف في كرسيه وأطلق
زفرة شبح قائلاً باستحسان: ليس بالطعام السيء أبداً. صحيح أنه
«مُتفَرِّسٌ» قليلاً، ولكن أين يمكن للمرء أن يتناول شرائح لحم
ويطاطا محترمة هذه الأيام؟

قال بوارو متذكراً: لقد تناولتُ العشاء هنا عندما جتني أول
مرة.

- آه، أمور كثيرة حدثت منذ ذلك الحين. كان عليّ أن أسلم
الأمر لك يا بوارو، وقد قمت بدورك بشكل جيد.

ظهرت ابتسامة خفيفة على محياه الجامد وأضاف: من حسن
الحظ أن ذلك الشاب لم يدرك قلة حجم الأدلة لدينا. لقد كان من
شأن محام ذكي أن ينسف الموضوع من أساسه! ولكنه فقد صوابه
تماماً واعترف باللعبة كلها. لقد أفضى بكل شيء وجزم نفسه حتى
أذنيه. من حسن حظنا!

وصلتُ إلى هناك. لم يكن في المنزل أي صوت، ولم يكن
الباب موصداً، فدخلت. وتعرف كيف وجدتها؛ جالسةً هناك وهي
ميتة، ووجهها أرجواني ومفتح. كل الأمور التي كانت تدور بذهني
بدت لي سخيفة وسيفودرامية. وأدركت أنني لم أَرِدُ أبداً قتل أي
شخص عندما يجذّ الجد، ولكنني أدركت أنه سيكون من الصعب
عليّ أن أفسر وجودي في المنزل. كانت ليلة باردة وكنت أضع
قفازات ولذا تيقنت أنني لم أترك أية بصمات، ولم أحسب أبداً أن
أحدًا قد رأيني. هذا كل شيء.

توقفت ثم أضافت فجأة: ما الذي ستفعله إزاء هذا الأمر؟

قال هيركيول بوارو: لا شيء. أتسنى لك حظاً سعيداً في الحياة،
هذا كل شيء.

* * *

ولذلك نسجت له قصة مختلفة تماماً. وقد جئْتُ خشية أن ينكشف الأمر كله ما دمنا قد بدأنا نبحث في أصول الناس ومناهم.

ارتشف قهوته وأطلق ضحكة خفيفة وقال: ثم عائلة ويذري. بيت سيء شرير؛ كراهية وحقد، وفتاة محبطة خرقاء. وماذا وراء ذلك؟ لا يوجد في الأمر ما هو شرير. مجرد المال!

- بهذه البساطة!

- الفتاة هي صاحبة المال... وهو مبلغ كبير جداً ورثته من عمه لها، ولهذا تحكّم الأم قبضتها على الفتاة خوفاً من أن تزوج، وزوج أمها يبغضها لأنها تمتلك المال وتدفع النفقات. وقد فهمتُ أنه فشل في كل أمر أقدم عليه. رجل وضع... أما بالنسبة للسيدة ويذري فإنها شتم خالص محلول في سكر.

أوماً بوارو برأسه مظهرأ رضاء وقال: أوافقك الرأي. من حسن الحظ أن لدى الفتاة مالاً. إن هذا يجعل تدبير أمر زواجها بجيمس بتلي أمراً أسهل بكثير.

بدا المفتش سنبنس مدهوشاً وقال: تزوج جيمس بتلي؟ ديردرا هندرسن؟ من يقول هذا؟

- أنا أقول هذا. إنني أشغل نفسي بالموضوع. إن لدي -بعد انتهاء مشكلتنا الصغيرة هذه- الكثير من الوقت، وسأشغل نفسي بتيسير هذا الزواج. حتى الآن، ليس لدى الشخصين المعنيين أدنى فكرة عن الموضوع، ولكنهما يميلان لبعضهما إلى بعض. وإذا تُركا وشأنهما فلن يحدث شيء، ولكن يجب أن يعتمدا على هيركيول

قال بوارو مؤثراً: لم يكن ذلك مجرد حظ. لقد أوقعته به كما توقع بالمسكة الكبيرة! وبالإضافة إلى ذلك فهو جبان. لقد هويت بقصاعة السكر فظن أنني أريد قتله. الخوف الشديد دائماً يظهر الحقيقة.

قال سنبنس ضاحكاً: من حسن حظك أنك لم تعانٍ من رد فعل الميجر سمرهيز. إنه عصبي المزاج وسريع الحركة، ولقد تدخلت بينكما في الوقت المناسب. هل سامحك على ذلك بعد؟

- آه، نعم، ونحن الآن من أفضل الأصدقاء. وكذلك أعطيت السيدة سمرهيز كتاب طبخ وعلمتها -بنفسى- كيف تعمل العجة. يا إنهي، كم عايت في ذلك المنزل!

ثم أغمض عينيه فقال سنبنس غير آبه بذكريات بوارو المؤلمة: كان الأمر كله معقداً، وهو يُظهر مدى صحة المقولة القديمة التي تقول إن نكل امرئ ما يخيفه. لقد نجحت السيدة كاربتنر -بشق الأنفس- من الاعتقال بتهمة القتل، ولكن كانت امرأة تتصرف بشكل مريب فإنها هي، وكل ذلك من أجل ماذا؟

سأل بوارو بفضول: نعم، من أجل ماذا؟

- القصة السبعادة لا غير: ماضٍ بغيبض؛ فقد كانت من أولئك الثلاثي يستأجرهن المرء ليرقصن في حفلة ما... وكانت فتاة جميلة لها الكثير من الأصدقاء! لم تكن أرملة حرب عندما قدمت واستقرت في بروديني. بل كانت فقط ما يسمونه هذه الأيام زوجة «غير رسمية». وبالطبع، كل ذلك لا يرضي رجلاً معتاداً بنفسه مثل غاي كاربتنر،

عق الفتاة من قبضة تلك الأم السامة... سيوف تحاربك بأسانها
وأظافرها!

- سيكون النجاح حليف الألوية الكبيرة.

قال سينس: "أحسبك تعني حليف الشوارب الكبيرة". ثم
زمجر ضاحكاً، فيما مسد بوراو شاربه برضا واقترح فنجاناً آخر من
القهوة.

- لا بأس بذلك يا عزيزي بوراو.

طلب بوراو القهوة، وقال سينس: آه، أمرٌ آخر يجب أن أخبرك
به. أتذكر عائلة ريندل؟

- بالطبع.

- حسناً، عندما كنا تحرى عنه اتضح لنا أمر غريب؛ فعند وفاة
زوجته الأولى في ليدز (حيث كان يمارس الطب في تلك الأثناء)
تلقى الشرطة هناك رسائل مجهولة المصدر فيها كلام سيء عنه
وتقول إنه قام بوضع السم لزوجته. وبالطبع فإن الناس يقولون مثل
هذه الأشياء عادة. لقد كانت تحت رعاية طبيب آخر ذي سمعة طيبة،
وقد رأى ذلك الطبيب أن وفاتها كانت عادية. ولم يكن من شيء
يتهمونه به باستثناء وثائق التأمين (حيث أثن أحدهما لصالح الآخر،
والناس كثيراً ما يفعلون ذلك)، لا شيء يمكن الاعتماد عليه، ومع
ذلك... أنساءل؟ ما رأيك أنت؟

تذكر بوراو وسلوك السيدة ريندل الخائف وذكرها رسائل
مجهولة المصدر وإصرارها على أنها لا تؤمن بأي شيء تقوله تلك

بوراو. سوف ترى؛ سوف يتم هذا الأمر!

ضحك سينس وقال: أنت لا تمنع في التدخل في شؤون
الآخرين، أليس كذلك؟

قال بوراو مؤنباً: يا عزيزي! لا يحسن بك قول ذلك.

- آه، أنت على حق في هذا، وعلى كل حال فإن جيمس بتلي
شخص مسكين.

- من المؤكد أنه شخص مسكين! وهو في الوقت الحاضر
مكروب تماماً لأنه لن يُعَدَم!

- يجب عليه أن يجتو على ركبته امتناناً لك.

- بل قل لك أنت. ولكن من الواضح أنه لا يرى هذا الرأي.

- شخص غريب.

- كما نقول. ومع ذلك توجد فتاتان على الأقل مستعدتان
للاهتام به. إن أمر الأذواق البشرية غريب!

- لقد كنت أحسب أنك ستوفق بينه وبين مود ويليامز.

- سوف يختار خياره، ولكني أظنه سيختار ديردرا هندرسن،
إذ أن مود ويليامز ذات طاقة وحيوية عالية، وإذا عاش معها فإنه
سينزوي في قوقته أكثر فأكثر.

- لا أفهم لماذا ترغب به أيُّ منهما! ومع ذلك، فيوجد من
سيُفسد عليك مشروعك. فعليك أولاً إعداد بتلي لتقتل ذلك، ثم

قاطععه بوارو بذعر: يا إلهي! لا أحسبك تشك الآن بجرمة
روبن، أليس كذلك؟ لا تقل لي أنك تتبدأ من جديد!
ضحك المفتش سبنس وقال مُطْطِئاً: "يا إلهي! كلا، إنه
قاتل دون شك". ثم أضاف: لديه من الغرور ما يكفي لارتكاب أية
جرمة!

* * *

The End

الرسائل. وتذكر أيضاً ثقتها بأن تحقيقه في موت السيدة ماغنتي لم
يكن سوى ذريعة. قال: بخيل إلي أن الشرطة ليسوا وحدهم الذين
تلقوا الرسائل المجهولة.

- هل أرسنوها لزوجته أيضاً؟

- أظن ذلك؛ فعندما قدمت إلى يروديني اعتقدت أنني كنت
في إثر زوجها، وأن موضوع السيدة ماغنتي لم يكن سوى ذريعة.
نعم، كما ظنن هو ذلك أيضاً. هذا يفسر ما حصل! لقد كان الدكتور
ريندل هو الذي حاول دفعي تحت القطار في تلك الليلة!
- أنتظن أنه سيحاول قتل هذه الزوجة أيضاً؟

- أظننا ستكون من الحكمة بحيث لا تؤمن على حياتها
لصالحه، ولكن إذا اعتقد أننا نراقبه فسيكون أكثر حرصاً.

- سنبذل ما في وسعنا؛ سنبقى أعيننا مفتوحة على طيبننا التودود
ونوضح له أننا نقوم بذلك.

ارتشف بوارو من قهوته وقال: والسيدة أوليفر.

- ما الذي ذكرك بها فجأة؟

- حدس المرأة لديها.

خيم السكوت نيرة، ثم قال سبنس ببطء: ستتم محاكمة
روبن أبورد الأسبوع القادم. أعرف يا بوارو، لا أملك إلا أن أشعر
بالشك...